UNIVERSAL LIBRARY

الجزء السادس والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٩ هجريه



الجزء السادس والعشرون

﴿ تفسير سورة الأحقاف ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ قد تقدم بياننا فى معنى قوله حم تنزيل الكتاب بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق يقول تعالى ذكره ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقا مصنوعا وما بينهما من أصناف العالم الا بالحق يعنى الا لاقامة الحق والعدل فى الخلق وقوله وأجل مسمى يقول والا بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه اذا هو بلغه ويعدمه بعد أن كان موجودا بايجاده اياه وقوله والذين كفروا عما أنذروا معرضون يقول تعالى ذكره والذين جحدوا وحدانية الله عن انذار الله اياهم معرضون لا يتعظون به ولا يتفكرون فيعتبرون

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التى تعبدون من دون الله أرونى أى شئ خلقوا من الأرض فان ربى خلق الأرض كلها فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا فيكون لكم بذلك فى عبادتكم اياها حجة فان من حجتى على عبادتى الهى وافرادى له الالوهة أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل وقوله أم لهم شرك

﴿سورة الأحقاف مكية غير آية نزلت فى عبد الله بن سلام قل أرأيتم الآية حروفها ألفان وثلثمائة كلماتها ثلثمائة وأربع وأربعون آياتها خمس وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الىّ وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين

فى السموات يقول تعالى ذكره أم لآلهتكم التى تعبدونها أيها الناس شرك مع الله فى السموات
السبع فيكون لكم أيضا بذلك حجة فى عبادتكموها فان من حجتى على إفرادى العبادة لربى أنه
لاشريك له فى خلقها وأنه المنفرد بخلقها دون كل ماسواه وقوله ائتونى بكتاب من قبل هذا يقول
تعالى ذكره بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذى أنزل على بأن ما تعبدون من الآلهة
والأوثان خلقوا من الأرض شيأ أو أن لهم مع الله شركا فى السموات فيكون ذلك حجة لكم على
عبادتكم اياها لأنها اذا صح لها ذلك صحت لها الشركة فى النعم التى أنتم فيها ووجب لها عليكم الشكر
واستحقت منكم الخدمة لأن ذلك لا يقدر أن يخلقه الا الله وقوله أو أثارة من علم اختلفت القراء
فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق أو أثارة من علم بالألف بمعنى أو ائتونى ببقية من علم
وروى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه كان يقرؤه أو أثرة من علم بمعنى أو خاصة من علم أوتيتموه
وأوثرتم به على غيركم والقراءة التى لا أستجيز غيرها أو أثارة من علم بالالف لاجماع قراء الامصار
عليها واختلف أهل التأويل فى تأويلها فقال بعضهم معناه أو ائتونى بعلم بأن آلهتكم خلقت من
الارض شيأ وأن لها شركا فى السموات من قبل الخط الذى تخطونه فى الارض فانكم معشر
العرب أهل عيافة وزجر وكهانة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن آدم قال ثنا أبو عاصم
عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة عن ابن عباس أو أثارة من علم قال خط كان يخطه
العرب فى الارض حدثنا أبو كريب قال قال أبو بكر يعنى ابن عياش الخط هو العيافة * وقال
آخرون بل معنى ذلك أو خاصة من علم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن قتادة أو أثارة من علم قال أو خاصة من علم حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة أو أثارة من علم قال أى خاصة من علم حدثنا عبد الوارث بن
عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنى أبى عن الحسين عن قتادة أو أثارة من علم قال خاصة
من علم * وقال آخرون بل معنى ذلك أو علم تثيرونه فتستخرجونه ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن فى قوله أو أثارة من علم قال أثارة شئ
يستخرجونه فطرة * وقال آخرون بل معنى ذلك أو تأثرون ذلك علما عن أحد ممن قبلكم ذكر
من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو أثارة من علم قال أحد
يأثر علما * وقال آخرون بل معنى ذلك أو بينة من الامر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن
سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أو أثارة من علم يقول
بينة من الامر * وقال آخرون بل معنى ذلك ببقية من علم ذكر من قال ذلك حدثنا
أبو كريب قال سئل أبو بكر يعنى ابن عياش عن أثارة من علم قال بقية من علم * وأولى الاقوال
فى ذلك بالصواب قول من قال الأثارة البقية من علم لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب وهى
مصدر من قول القائل أثر الشئ أثارة مثل سمج سماجة وقبح قباحة كما قال راعى الابل

* وذات أثارة أكلت عليه * يعنى وذات بقية من شحم فأما من قرأه أو أثرة فانه جعله
أثرة من الاثر كما قيل قترة وغبرة وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه أو أثرة بسكون الثاء مثل الرجفة
والخطفة واذا وجه ذلك الى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط ومن
علم استثير من كتب الاولين ومن خاصة علم كانوا أوثروا به وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى ذلك خبر بأنه تأوله أنه بمعنى الخط سنذكره ان شاء الله تعالى فتأويل الكلام اذا ائتونى

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها
جزاء بما كانوا يعملون ووصينا
الانسان بوالديه احسانا حملته أمه
كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله
ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده
وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى
أن أشكر نعمتك التى أنعمت على
وعلى والدى وأن أعمل صالحا
ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت
اليك وانى من المسلمين أولئك
الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا
ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة
وعد الصدق الذى كانوا يوعدون
والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى
أن أخرج وقد خلت القرون
من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك
آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا
الا أساطير الاولين أولئك الذين
حق عليهم القول فى أمم قد خلت من
قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين ولكل درجات مما عملوا
وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون
ويوم يعرض الذين كفروا على النار
أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض
بغير الحق وبما كنتم تفسقون

۞ القراآت لتنذر على الخطاب
أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن
عامر وسهل ويعقوب الباقون على
الغيبة والضمير للكتاب احسانا
حمزة وعلى وخلف وعاصم الباقون
حسنا كرها فى الموضعين بالفتح
أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو
عمرو وجبلة وهشام الباقون
بالضم وفصله يعقوب الآخرون

أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدّعون لآلهتكم أو ببقية من علم يوصل بها الى علم صحة ما تقولون من ذلك ان كنتم صادقين فى دعواكم لها ما تدعون فان الدعوى اذا لم يكن معها حجة لم تغن عن المدّعى شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ يقول تعالى ذكره وأىّ عبد أضل من عبد يدعو من دون الله آلهة لا يستجيب له الى يوم القيامة يقول لا يجيب دعاءه أبدا لأنها حجر أو خشب ونحو ذلك وقوله وهم عن دعائهم غافلون يقول تعالى ذكره وآلهتهم التى يدعونهم عن دعائهم اياهم فى غفلة لأنها لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وانما عنى بوصفها بالغفلة تمثيلها بالانسان الساهى عما يقال له اذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيأ كما لا يفهم الغافل عن الشئ ما غفل عنه وانما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم وقبح اختيارهم فى عبادتهم من لا يعقل شيأ ولا يفهم وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته ومن به استغاثتهم عند ما ينزل بهم من الحوائج والمصائب وقيل من لا يستجيب له فأخرج ذكر الآلهة وهى جماد مخرج ذكر بنى آدم ومن له الاختيار والتمييز اذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التى تخدم فى خدمتهم اياها فأجرى الكلام فى ذلك على نحو ما كان جاريا فيه عندهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين﴾ يقول تعالى ذكره واذا جمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب كانت هذه الآلهة التى يدعونها فى الدنيا لهم أعداء لأنهم يتبرؤن منهم وكانوا بعبادتهم كافرين يقول تعالى ذكره وكانت آلهتهم التى يعبدونها فى الدنيا بعبادتهم جاحدين لانهم يقولون يوم القيامة ما أمرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بعبادتهم ايانا تبرأنا اليك منهم يا ربنا وقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات يقول تعالى ذكره واذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا يعنى حججنا التى احتججناها عليهم فيما أنزلناه من كتابنا على محمد صلى الله عليه وسلم بينات يعنى واضحات نيرات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم يقول تعالى ذكره قال الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله للحق لما جاءهم من عند الله فأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم هذا سحر مبين يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر مبين يقول يبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش افترى محمد هذا القرآن فاختلقه وتخرّصه كذبا قل لهم يا محمد ان افتريته وتخرّصته على الله كذبا فلا تملكون لى يقول فلا تغنون عنى من الله ان عاقبنى على افترائى اياه وتخرّصه عليه شيأ ولا تقدرون أن تدفعوا عنى سوأ ان أصابنى به وقوله هو أعلم بما تفيضون فيه يقول ربى أعلم من كل شئ سواه بما تقولون بينكم فى هذا القرآن والهاء من قوله تفيضون فيه من ذكر القرآن * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله تفيضون فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اذ تفيضون فيه قال تقولون وقوله كفى به شهيدا بينى وبينكم يقول كفى بالله شاهدا علىّ وعليكم بما تقولون من تكذيبكم لى فيما جئتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم بأن لا يعذبهم عليها بعد توبتهم منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا

ما

وصه الله أوزعنى أنْ بالفتح ابن كثير غير القواس والنجارى عن ورش وقالون غير الحلوانى نتقبل بالنون أحسن بالنصب ونتجاوز بالنون حمزة وعلى وخلف وحفص الآخرون بياء الغيبة مبنيا للمفعول فى الفعلين أحسن بالرفع أف بالكسر والتنوين أبو جعفر ونافع وحفص والمفضل وقرأ ابن كثير بالفتح من غير تنوين الباقون بالكسر ولا تنوين أتعداننى أن بفتح الياء أبو جعفر ونافع وقرأ هشام مدغمة النون وليوفيهم بالياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الباقون بالنون أءذهبتم بتحقيق الهمزتين ابن ذكوان آذهبتم بالمد ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وهشام الباقون بهمزة واحدة ۞ الوقوف حم ه كوفى الحكيم ه مسمى ط معرضون ه السموات ه لانتهاء الاستفهام الى الخطاب صادقين ه غافلون ه كافرين ه مبين ه لان أم تتضمن استفهام انكار افتراه ط شيأ ط فيه ط وبينكم ط الرحيم ه بكم ط مبين ه ط واستكبرتم ط الظالمين ه اليه ط قديم ه ورحمة ط للمحسنين ه يحزنون ه فيها ج لان جزاء يصلح مفعولا له ومفعول فعل محذوف اى يجزون جزاء يعملون ه احسانا ط ووضعته كرها ط شهرا ط سنة لا لأن ما بعده جواب اذا ذريتى ط الابتداء بان مع اتحاد الكلام المسلمين ه الجنة ط لان التقدير وعد الله وعدا صدقا وهو مصدر مؤكد لأن قوله نتقبل فى معنى الوعد يوعدون ه الاولين ه

مايوحى الىّ وما أنا الانذير مبين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك من قريش ما كنت بدعا من الرسل يعنى ما كنت أوّل رسل الله التى أرسلها الى خلقه قد كان من قبلى له رسل كثيرة أرسلت الى أمم قبلكم يقال منه هو بدع فى هذا الامر و بديع فيه اذا كان فيه أوّل ومن البدع قول عدى بن زيد

فلا أنا بدع من حوادث تعترى * رجالا عرت من بعد بؤسى وأسعد

ومن البديع قول الاحوص

فخرت فانتمت فقلت انظرينى * ليس جهل أتيته ببديع

يعنى بأوّل يقال هو بدع من قوم أبداع * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما كنت بدعا من الرسل يقول لست بأوّل الرسل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كنت بدعا من الرسل قال يقول ما كنت أوّل رسول أرسل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما كنت بدعا من الرسل قال ما كنت أوّلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الوهاب بن معاوية عن أبى هبيرة قال سألت قتادة قل ما كنت بدعا من الرسل قال اى قد كانت قبلى رسل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ما كنت بدعا من الرسل يقول اى ان الرسل قد كانت قبلى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بدعا من الرسل قال قد كانت قبله رسل وقوله وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له قل للمؤمنين بك ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة وإلام نصير هنالك قالوا ثم بين الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به حالهم فى الآخرة فقيل له انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر وقال ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم فأنزل الله بعد هذا ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال فى حم الأحقاف وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الىّ وما أنا الا نذير مبين فنسختها الآية التى فى سورة الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الآية فخرج نبىّ الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية فبشرهم بأنه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر فقال له رجال من المؤمنين هنيأ لك يا نبىّ الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل فى سورة الأحزاب فقال و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وقال ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله الآية فبين الله ما يفعل به و بهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ثم درى أو علم من الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما يفعل به يقول انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم قال قد بين له أنه قد غفر

والانس ط خاسرين ٥ عملوا ج لأن الواو قد تكون مقحمة ويتصل اللام بما قبله وقد يكون المعلل محذوفا كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم لا يظلمون ٥ ط لتقدير القول وهو العامل فى يوم بها ج لابتداء التهديد مع الفاء تفسقون ٥ ۞ التفسير انما كرر تنزيل الكتاب لأنه بمنزلة عنوان الكتب ثم ذكر ما أنزل فقال (ما خلقنا) الى قوله (وأجل مسمى) وقد مر فى أوّل الروم أنه الوقت الذى عينه لافناء الدنيا وحين بين الدليل على وجود الاله ووقوع الحشر فرع عليه الرّد على عبدة الاوثان بقوله (قل أرأيتم) وقد مر فى فاطر والمراد أنهم لا يستحقون العبادة أصلا لأنهم ما خلقوا شيأ فى هذا العالم لا فى الارض ولا فى السماء ولم يدل وحى من الله على عبادتهم لأن هذا القرآن ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب قبله الا هو ناطق بمثل ذلك فقوله (ائتونى) من باب ارخاء العنان وتوسيع المجال على الخصم أى ان كنتم فى شك مما قلت فقد امهلتكم حتى تأتونى بعد الاستقراء (بكتاب) فيه شئ من ذلك (أو أثارة من علم) قال الواحدى كلام أهل اللغة فى تفسير هذا الحرف يدور على ثلاثة أوجه أحدها البقية من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب والثانى أنه من الاثر بمعنى الرواية والثالث من الاثر بمعنى العلامة والمراد ما بقى أو روى عن أسلافهم و يعدّونه علما عن ابن عباس مرفوعا أنه الخط قال كان نبى من

من ذنبه ما تقدم وما تأخر * وقال آخرون بل ذلك أمر من الله جل ثناؤه نبيه عليه السلام أن يقوله للمشركين من قومه ويعلم أنه لا يدري إلام يصير أمره وأمرهم في الدنيا أيصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم أو يؤمنوا به فيتبعوه وأمرهم الى الهلاك كما أهلكت الامم المكذبة رسلها من قبلهم أو الى التصديق له فيما جاءهم به من عند الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر الهذلي عن الحسن في قوله وما أدري ما يفعل بي ولا بكم فقال أما في الآخرة فمعاذ الله قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الانبياء قبلي أو أقتل كما قتلت الانبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم أمتي المكذبة أم أمتي المصدقة أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا أم مخسوف بها خسفا ثم أوحى اليه واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس يقول أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك فعرف أنه لا يقتل ثم أنزل الله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا يقول أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان ثم قال له في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأخبره الله ما يصنع به وما يصنع بأمته * وقال آخرون بل معنى ذلك وما أدري ما يفترض علي وعليكم أو ينزل من حكم وليس يعني ما أدري ما يفعل بي ولا بكم غدا في المعاد من ثواب الله من أطاعه وعقابه من كذبه * وقال آخرون انما أمر أن يقول هذا في أمر كان ينتظره من قبل الله عز وجل في غير الثواب والعقاب * وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه التنزيل القول الذي قاله الحسن البصري الذي رواه عنه أبو بكر الهذلي وانما قلنا ذلك أولاها بالصواب لأن الخطاب من مبتدا هذه السورة الى هذه الآية والخبر خرج من الله عز وجل خطابا للمشركين وخبرا عنهم وتوبيخا لهم واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم وتوبيخ لهم أو خبر عنهم واذا كان ذلك كذلك فمحال أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووحيه اليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون والمؤمنون به في الجنان منعمون وبذلك يرهبهم مرة ويرغبهم أخرى ولو قال لهم ذلك لقالوا له فعلام نتبعك اذا وأنت لا تدري الى أي حال تصير غدا في القيامة الى خفض ودعة أم الى شدة وعذاب وانما اتباعنا اياك ان اتبعناك وتصديقنا بما تدعونا اليه رغبة في نعمة وكرامة نصيبها أو رهبة من عقوبة وعذاب نهرب منها ولكن ذلك كما قال الحسن ثم بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ماهو فاعل به وبمن كذب بما جاء به من قومه وغيرهم وقوله ان أتبع الا ما يوحى الي يقول تعالى ذكره قل لهم ما أتبع فيما آمركم به وفيما أفعله من فعل الا وحي الله الذي يوحيه الي وما أنا الا نذير مبين يقول وما أنا لكم الا نذير أنذركم عقاب الله على كفركم به مبين يقول قد أبان لكم انذاره وأظهر لكم دعاءه الى ما فيه نصيحتكم يقول فكذلك أنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين أرأيتم أيها القوم ان كان هذا القرآن من عند الله أنزله علي وكفرتم أنتم به يقول وكذبتم أنتم به وقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وشهد شاهد من بني اسرائيل وهو موسى بن عمران عليه السلام على مثله يعني على

الانبياء يخط فمن صادف مثل خطه علم علمه ثم زاد في تبكيتهم وتوبيخهم بقوله (ومن أضل) الآية وبالجملة فالدليل الاول دل على نفي القدرة عنهم من كل الوجوه وهذا الدليل دل على نفي العلم عنهم من كل الوجوه فاذا انتفى العلم والقدرة عن الجسم لم يكن الا جمادا وعبادة الجماد محض الضلال وقوله (الى يوم القيامة) تأبيد على عادة العرب ويحتمل أن يكون توقيتا بدليل قوله (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) وهذا التبري والتخاطب نوع من الاستجابة ثم قرر غاية عنادهم بقوله (واذا تتلى) ثم عجب من حالهم بقوله (أم يقولون افتراه) الآية أي ان كذبت على الله كما زعمتم عاجلني بالعقوبة فلا تقدرون على دفع عذابه عني فأي فائدة لي في الافتراء ثم فوض أمرهم الى الله قائلا (هو أعلم بما تفيضون) أي تندفعون فيه من القدح في الوحي وتسميته سحرا تارة وافتراء أخرى وفي قوله (وهو الغفور الرحيم) اشارة الى أنهم لو رجعوا الى الحق وتابوا عن الشرك قبل الله توبتهم وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوه ثم أراد أن يزيل شبهتهم بنوع آخر من البيان فقال (قل ما كنت بدعا) هو بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف أي لست بأول رسول أرسله الله ولا جئتكم بأمر بديع لم يكن الى مثله سابق وفيه ان اقتراح الآيات الغريبة فيه غير موجه لانه لا يتبع الا الوحي وما هو الا نذير وليس اليه أن يأتي بكل ما يقترح عليه وفيه أنه غير عالم بالمغيبات الا بطريق الوحي فلا وجه لاستدعاء الغيوب عنه سواء

مثل القرآن قالوا ومثل القرآن الذى شهد عليه موسى بالتصديق التوراة ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالوهاب قال ثنا داود عن عامر عن مسروق فى هذه الآية
وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة التوراة مثل القرآن
وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال سئل
داود عن قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به الآية قال داود قال عامر قال مسروق والله
ما نزلت فى عبدالله بن سلام ما نزلت الا بمكة وما أسلم عبدالله الا بالمدينة ولكنها خصومة خاصم
محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه قال فنزلت قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من
بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم قال فالتوراة مثل القرآن وموسى مثل محمد صلى الله عليه
وسلم فآمنوا بالتوراة وبرسولهم وكفرتم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت
داود بن أبى هند عن الشعبى قال أناس يزعمون أن شاهدا من بنى اسرائيل على مثله عبدالله بن
سلام وانما أسلم عبدالله بن سلام بالمدينة وقد أخبرنى مسروق أن آل حم انما نزلت بمكة
وانما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فقال أرأيتم ان كان من عند الله يعنى
القرآن وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن موسى ومحمد عليهما السلام على
الفرقان حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن داود عن الشعبى قال ان ناسا يزعمون
أن الشاهد على مثله عبدالله بن سلام وأنا أعلم بذلك وانما أسلم عبدالله بالمدينة وقد أخبرنى مسروق
أن آل حم انما نزلت بمكة وانما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه فقال قل أرأيتم ان
كان من عند الله يعنى الفرقان وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فمثل التوراة الفرقان التوراة
شهد عليها موسى ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال
أخبرنا داود عن الشعبى عن مسروق فى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية قال كان اسلام
ابن سلام بالمدينة ونزلت هذه السورة بمكة انما كانت خصومة بين محمد عليه السلام وبين قومه
فقال قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال التوراة
مثل الفرقان وموسى مثل محمد فآمن به واستكبرتم ثم قال آمن هذا الذى من بنى اسرائيل بنبيه وكتابه
واستكبرتم أنتم فكذبتم أنتم نبيكم وكتابكم ان الله لا يهدى الى قوله هذا افك قديم ❊ وقال آخرون
عنى بقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله عبدالله بن سلام قالوا ومعنى الكلام وشهد
شاهد من بنى اسرائيل على مثل هذا القرآن بالتصديق قالوا ومثل القرآن التوراة ذكر من قال
ذلك حدثنى يونس قال ثنا عبدالله بن يوسف التنيسى قال سمعت مالك بن انس يحدث
عن أبى النضر عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لأحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبدالله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد
شاهد من بنى اسرائيل على مثله حدثنا الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبو داود الطيالسى
قال ثنا شعيب بن صفوان قال ثنا عبدالملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام
قال قال عبدالله أنزل فىّ قل أرأيتم ان كان من عند الله الى قوله فآمن واستكبرتم حدثنى على
ابن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا أبو محمد يحيى بن يعلى عن عبدالملك بن عمير عن ابن
أخى عبدالله بن سلام قال قال عبدالله بن سلام نزلت فىّ وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله
فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية قال كان

تتعلق بأحوال الدنيا أو بأحوال
الآخرة من الاحكام والتكاليف
وما يؤل أمر المكلفين اليه وفيه أنه
لا وجه لتعييره بالفقر وبأكل الطعام
والمشى فى الاسواق لان الرسل
كلهم أو جلهم كانوا كذلك قال ابن
عباس فى رواية الكلبى لما اشتد البلاء
على أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأى فى المنام أنه يهاجر
الى أرض ذات نخل وشجر فقصها
على أصحابه فاستبشروا بذلك ثم انهم
مكثوا برهة من الدهر لا يرون
أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا
الذى قلت ومتى تهاجر فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل
الله الآية وعنه فى رواية أخرى أنه
لما نزلت هذه الآية فرح المشركون
والمنافقون واليهود وقالوا كيف
نتبع نبيا لا يدرى ما يفعل به
ولا بأمته فأنزل الله تعالى انا فتحنا
لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما
فبين الله تعالى ما يفعل به وبأمته
ونسخت هذه الآية والأصح عند
العلماء أنه لا حاجة الى التزام النسخ
فان الدراية المفصلة غير حاصلة
وعلى تقدير حصولها فانه لم ينف
الا الدراية من قبل نفسه والمنفى
الدراية من جهة الوحى وقوله ولا بكم
فى حيز النفى ولا أدرى ما يفعل بكم
وما موصولة أو استفهامية ومحل
الاولى نصب والثانية رفع ثم قرر
أنه لا أظلم منهم فقال (قل أرأيتم)
الآية وقدمر نظيره فى آخر حم
السجدة الا أنه زاد ههنا حديث
الشاهد وفيه أقوال أحدها أنه
عبدالله بن سلام لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى
وجهه وتأمله فتحقق أنه النبى المنتظر

رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال انا نجده فى التوراة وكان أفضل رجل
منهم وأعلمهم بالكتاب فخاصمت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فقال أترضون ان يحكم بينى و بينكم
عبد الله بن سلام أتؤمنون قالوا نعم فأرسل الى عبد الله بن سلام فقال أتشهد أنى رسول الله مكتوبا
فى التوراة والانجيل قال نعم فأعرضت اليهود وأسلم عبد الله بن سلام فهو الذى قال الله جل ثناؤه
وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم يقول فآمن عبد الله بن سلام **حدثنى**
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال عبد الله
ابن سلام **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل أرأيتم ان كان من عند الله
الآية كنا نحدث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله و برسوله و بالاسلام وكان من أحبار اليهود
حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل
على مثله قال هو عبد الله بن سلام **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال
سمعت الضحاك يقول فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله الشاهد عبد الله بن سلام
وكان من الأحبار من علماء بنى اسرائيل و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود فأتوه
فسألهم فقال أتعلمون أنى رسول الله تجدونى مكتوبا عندكم فى التوراة قالوا لا نعلم ما تقول وانا
بما جئت به كافرون فقال أى رجل عبد الله بن سلام عندكم قالوا أعلمنا وخيرنا قال أترضون به
بينى و بينكم قالوا نعم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن سلام فجاءه فقال
ما شهادتك يا ابن سلام قال أشهد أنك رسول الله وان كتابك جاء من عند الله فآمن وكفروا يقول
الله تبارك وتعالى فآمن واستكبرتم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا
عوف عن الحسن قال بلغنى أنه لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال يا رسول الله قد علمت اليهود
أنى من علمائهم وأن أبى كان من علمائهم وأنى أشهد أنك رسول الله وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم
فى التوراة فأرسل الى فلان وفلان ومن سماه من اليهود وأخبئنى فى بيتك وسلهم عنى وعن أبى فانهم
سيحدثونك أنى أعلمهم وأن أبى من أعلمهم وأنى سأخرج اليهم فأشهد أنك رسول الله وأنهم
يجدونك مكتوبا عندهم فى التوراة وأنك بعثت بالهدى ودين الحق قال ففعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخبأه فى بيته وأرسل الى اليهود فدخلوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما عبد الله بن سلام فيكم قالوا أعلمنا نفسا وأعلمنا أبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان
أسلم تسلمون قالوا لا يسلم ثلاث مرار فدعاه فخرج ثم قال أشهد أنك رسول الله وأنهم يجدونك
مكتوبا عندهم فى التوراة وأنك بعثت بالهدى ودين الحق فقالت اليهود ما كنا نخشاك على هذا
يا عبد الله بن سلام قال فخرجوا كفارا فأنزل الله عز وجل فى ذلك قل أرأيتم ان كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم الآية **حدثنى** يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم
قال هذا عبد الله بن سلام شهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه حق وهو فى التوراة حق
فآمن واستكبرتم **حدثنى** أبو شرحبيل الحمصى قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان بن عمرو
عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الاشجعى قال انطلق النبى صلى الله
عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود أرونى اثنى عشر رجلا يشهدون أنه لا اله الا هو

نآمن به وعن سعد بن أبى وقاص
ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لأحد يمشى على الارض
انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن
سلام وفيه نزل (وشهد شاهد
من بنى اسرائيل على مثله) على مثل
القرآن والمعنى وهو ما فى التوراة من
المعانى المطابقة للقرآن من التوحيد
والمعاد وعلى هذا فقوله على مثله
يتعلق بشاهد أى و يشهد على
صحة القرآن و يجوز أن يعود الضمير
فى مثله الى المذكور وهو كونه من
عند الله فيكون الجار متعلقا بشهد
قال جار الله الواو الاخيرة عاطفة
لاستكبرتم على شهد وأما الواو فى
وشهد فقد عطفت جملة قوله وشهد
الى آخره على جملة قوله كان من
عند الله وكفرتم به والمعنى أخبرونى
ان اجتمع كون القرآن من عند
الله مع كفركم به واجتمع شهادة
أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله
وايمانه به مع استكباركم عنه ألستم
أضل الناس وأظلمهم يدل على هذا
الجواب المحذوف قوله (ان الله
لا يهدى القوم الظالمين) قلت هذا
كلام حسن ويجوز أن يكون قوله
واستكبرتم معطوفا على قوله نآمن
ويجوز أن يكون الواو فى وشهد للحال
باضمار قد قال وقد جعل الايمان
فى قوله فآمن مسببا عن الشهادة
لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى
وأنصف من نفسه اعترف بصحته
وآمن القول الثانى ماذكر الشعبى
فى جماعة أن السورة مكية وقد أسلم
ابن سلام بالمدينة فالشاهد هو
موسى وشهادته هو ما فى التوراة من
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وايمانه
تصديقه ذلك القول الثالث

وأن محمدا رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه قال فأسكتوا فما أجابه منهم أحد ثم ثلث فلم يجبه أحد فانصرف وأنا معه حتى اذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا كما أنت يا محمد قال فأقبل فقال ذلك الرجل أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود قالوا والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدك قبل أبيك قال فاني أشهد بالله أنه النبي صلى الله عليه وسلم الذي تجدونه في التوراة والانجيل قالوا كذبت ثم ردّوا عليه قوله وقالوا له شرا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم لن نقبل قولكم أما آنفا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم وأما اذ آمن كذبتموه وقلتم ما قلتم فلن نقبل قولكم قال فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وعبد الله بن سلام فأنزل الله فيه قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية * والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل لأن قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش واحتجاجا عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر فتوجه هذه الآية الى أنها فيهم نزلت ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن والسبب الذي فيه نزل وما أريد به فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك وشهد عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني اسرائيل على مثله يعني على مثل القرآن وهو التوراة وذلك شهادته أن محمدا مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوبا عندهم في التوراة كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي وقوله فآمن واستكبرتم يقول فآمن عبد الله بن سلام وصدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله واستكبرتم أنتم على الايمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشر اليهود ان الله لا يهدي القوم الظالمين يقول ان الله لا يوفق لاصابة الحق وهدى الطريق المستقيم القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بايجابهم لها سخط الله بكفرهم به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل للذين آمنوا به لو كان تصديقكم محمدا على ما جاءكم به خيرا ما سبقتمونا الى التصديق به وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أنه معنيّ به عبد الله بن سلام فأما على تأويل من تأوّل أنه عني به مشركو قريش فانه ينبغي أن يوجه تأويل قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أنه عني به مشركو قريش وكذلك كان يتأوّله قتادة وفي تأويله اياه كذلك ترك منه تأويله قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أنه معنيّ به عبد الله بن سلام ذكر الرواية عنه بذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قال قال ذلك أناس من المشركين نحن أعز ونحن ونحن فلو كان خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان فان الله يختص برحمته من يشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قال قد قال ذلك قائلون من الناس كانوا أعز منهم في الجاهلية قالوا والله لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه بنو فلان وبنو فلان ويختص الله برحمته من يشاء ويكرم الله برحمته من يشاء تبارك وتعالى وقوله واذ لم يهتدوا به يقول تعالى ذكره

أن الشاهد ليس شخصا معينا وتقدير الكلام لو أن رجلا منصفا عارفا بالتوراة أقر بذلك واعترف به ثم آمن بمحمد واستكبرتم أنتم ألم تكونوا ظالمين ضالين والمقصود أنه ثبت بالمعجزات القاهرة أن هذا الكتاب هو من عند الله وثبت بشهادة الثقات أن التوراة مشتملة على البشارة بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم ومع ثبوت هذين الامرين كيف يليق بالعاقل انكار نبوته ثم ذكر شبهة أخرى لهم وهي أنهم قالوا (للذين آمنوا) أي لأجلهم وفي حقهم (لو كان) ما أتى به محمد (خيرا ما سبقونا اليه) وقيل اللام كما في قولك قلت له وضعف بأنه لو كان كذلك لقيل ما سبقتمونا اليه وأجيب بأنه وارد على طريقة الالتفات أو المراد أن الكفار لما سمعوا أن جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين بأنه لو كان هذا الدين خيرا لما سبقنا اليه أولئك الغائبون قال المفسرون لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان ما دخل فيه هؤلاء من الدين خيرا ما سبقونا اليه ونحن أرفع منهم حالا وأكثر مالا وهؤلاء رعاة الغنم وقيل قاله أغنياء قريش للفقراء المؤمنين كعمار وصهيب وابن مسعود وقيل هم اليهود قالوه عند اسلام عبد الله ابن سلام وأصحابه والعامل في قوله (واذ لم يهتدوا به) محذوف وهو ظهر عنادهم وذلك أن اذ للمضي والسين للاستقبال وبينهما تدافع والافك القديم كقولهم أساطير الاولين وقيل كذب ككذب عيسى عليه السلام

واذ لم يبصروا بمحمد و بما جاء به من عند الله من الهدى فيرشدوا به الطريق المستقيم فسيقولون هذا افك قديم يقول فسيقولون هذا القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكاذيب من أخبار الأولين قديمة كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا و بشرى للمحسنين﴾ يقول تعالى ذكره ومن قبل هذا الكتاب كتاب موسى وهو التوراة اماما لبنى اسرائيل يأتمون به ورحمة لهم أنزلناه عليهم وخرج الكلام مخرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر اكتفاء بدلالة الكلام على تمامه وتمامه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أنزلناه عليه وهذا كتاب أنزلناه لسانا عربيا * اختلف فى تأويل ذلك وفى المعنى الناصب لسانا عربيا أهل العربية فقال بعض نحويى البصرة نصب اللسان والعربى لانه من صفة الكتاب فانتصب على الحال أو على فعل مضمر كأنه قال أعنى لسانا عربيا قال وقال بعضهم على مصدق جعل الكتاب مصدق اللسان فعلى قول من جعل اللسان نصبا على الحال وجعله من صفة الكتاب ينبغى أن يكون تأويل الكلام وهذا كتاب بلسان عربى مصدق التوراة كتاب موسى بأن محمدا لله رسول وأن ما جاء به من عند الله حق وأما القول الثانى الذى حكيناه عن بعضهم أنه جعل الناصب للسان مصدق فقول لا معنى له لأن ذلك يصير اذا يؤول كذلك الى أن الذى يصدق القرآن نفسه ولا معنى لان يقال وهذا كتاب يصدق نفسه لأن اللسان العربى هو هذا الكتاب إلا أن يجعل اللسان العربى محمدا عليه السلام و يوجه تأويله الى وهذا كتاب وهو القرآن يصدق محمدا وهو اللسان العربى فيكون ذلك وجها من التأويل * وقال بعض نحويى الكوفة قوله لسانا عربيا من نعت الكتاب وانما نصب لأنه أريد به وهذا كتاب يصدق التوراة والانجيل لسانا عربيا فخرج لسانا عربيا من يصدق لأنه فعل كما تقول مررت برجل يقوم محسنا ومررت برجل قائم محسنا قال ولو رفع لسان عربى جاز على النعت للكتاب وقد ذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود وهذا كتاب مصدق لما بين يديه لسانا عربيا فعلى هذه القراءة يتوجه النصب فى قوله لسانا عربيا من وجهين أحدهما على ما بينت من أن يكون اللسان خارجا من قوله مصدق والآخر أن يكون قطعا من الهاء التى فى بين يديه * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يكون منصوبا على أنه حال مما فى مصدق من ذكر الكتاب لأن قوله مصدق فعل فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمدا نبى مرسل لسانا عربيا وقوله لينذر الذين ظلموا يقول لينذر هذا الكتاب الذى أنزلناه الى محمد عليه السلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره وقوله و بشرى للمحسنين يقول وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا فى ايمانهم وطاعتهم اياه فى الدنيا فحسن الجزاء من الله لهم فى الآخرة على طاعتهم اياه وفى قوله وبشرى وجهان من الاعراب الرفع على العطف على الكتاب بمعنى وهذا كتاب مصدق وبشرى للمحسنين والنصب على معنى لينذر الذين ظلموا و يبشر فاذا جعل مكان يبشر و بشرى أو و بشارة نصبت كما تقول أتيتك لأزورك وكرامة لك وقضاء لحقك بمعنى لأزورك وأكرمك وأقضى حقك فتنصب الكرامة والقضاء بمعنى مضمر * واختلفت القراء فى قراءة لينذر فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز لتنذر بالتاء بمعنى لتنذر أنت يا محمد وقرأته عامة قراء العراق بالياء بمعنى لينذر الكتاب وبأى القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾

قوله (ومن قبله كتاب موسى) خبر ومبتدأ وقوله (اماما) أى قدوة يؤتم به فى أصول شرائع الله نصب على الحال كقولك فى الدار زيد قائما وقوله (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق أى لما بين يديه وهو العامل فيه و يجوز أن يكون حالا من كتاب لانه موصوف والعامل معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق على حذف المضاف أى يصدق ذا لسان عربى هو الرسول قوله (و بشرى) معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له وحين قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبه المنكرين مع أجوبتها أراد أن يذكر طريقة المحقين فقال (ان الذين قالوا) الآية وقدمر فى حم السجدة الا أنه رفع واسطة الملائكة ههنا من البين ثم ان أعظم أنواع الاستقامة كان هو الشفقة على خلق الله ولاسيما على الوالدين فلذلك قال (ووصينا) الآية وقدمر فى الروم ولقمان والكره بالضم والفتح المشقة أى ذات كره أو حملا ذا كره والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمقصود بيان مدة الرضاع ولما كان منتهيا بالفصال صح التعبير عن آخر الرضاع بالفصال والفائدة فيه الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال وقد يستدل من هذه الآية ومن قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين أن مدة الحمل ستة أشهر وعن عمر أن امرأة ولدت لستة أشهر فرفعت اليه فأمر برجمها فأخبر عليا رضى الله عنه بذلك فمنعه محتجا بالآية فصدقه عمر وقال لولا على لهلك عمر قال جالينوس انى كنت شديد الفحص

يقول تعالى ذكره ان الذين قالوا ربنا الله الذى لا اله غيره ثم استقاموا على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك ولم يخالفوا الله فى أمره ونهيه فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله ولاهم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم وقوله أولئك أصحاب الجنة يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين قالوا هذا القول واستقاموا أهل الجنة وسكانها خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا جزاء بما كانوا يعملون يقول ثوابا منالهم آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التى كانوا فى الدنيا يعملونها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن فى صحبته اياهما أيام حياتهما والبر بهما فى حياتهما وبعد مماتهما * واختلفت القراء فى قراءة قوله حسنا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة حسنا بضم الحاء على التأويل الذى وصفت وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة احسانا بالالف بمعنى ووصيناه بالاحسان اليهما وبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب لتقارب معانى ذلك واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما فى القراء وقوله حملته أمه كرها ووضعته كرها يقول تعالى ذكره ووصينا الانسان بوالديه احسانا برا بهما لما كان منهما اليه حملا ووليدا وناشئا ثم وصف جل ثناؤه ماله يه من نعمة أمه وما لاقت منه فى حال حمله ووضعه ونبهه على الواجب لها عليه من البر واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة فقال حملته أمه يعنى فى بطنها كرها يعنى مشقة ووضعته كرها يقول وولدته كرها يعنى مشقة بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حملته أمه كرها ووضعته كرها يقول حملته مشقة ووضعته مشقة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والحسن فى قوله حملته أمه كرها ووضعته كرها قالا حملته فى مشقة ووضعته فى مشقة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حملته أمه كرها قال مشقة عليها * واختلفت القراء فى قراءة قوله كرها فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة كرها بفتح الكاف وقرأته عامة قراء الكوفة كرها بضمها وقد بينت اختلاف المختلفين فى ذلك قبل اذا فتح واذا ضم فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا يقول تعالى ذكره وحمل أمه اياه جنينا فى بطنها وفصالها اياه من الرضاع وفطمها اياه شرب اللبن ثلاثون شهرا * واختلفت القراء فى قراءة قوله وفصاله فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار غير الحسن البصرى وحمله وفصاله بمعنى فاصلته أمه فصالا ومفاصلة وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه وحمله وفصله بفتح الفاء بغير ألف بمعنى وفصل أمه اياه * والصواب من القول فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وقوله حتى اذا بلغ أشده اختلف أهل التأويل فى مبلغ حد ذلك من السنين فقال بعضهم هو ثلاث وثلاثون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس قال أشده ثلاث وثلاثون سنة واستواؤه أربعون سنة والعمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة حتى اذا بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين * وقال آخرون هو بلوغ الحلم ذكر من قال ذلك

عن مقادير أزمنة الحمل فرأيت امرأة ولدت فى المائة والاربع والثمانين ليلة وزعم أبو على بن سينا أنه شاهد ذلك وذكر أهل التجارب قاعدة كلية قالوا ان لتكون الجنين زمانا مقدرا فاذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين ثم اذا انضاف الى المجموع مثلاه انفصل الجنين وعلى هذا فلو تمت خلقة الجنين فى ثلاثين يوما فاذا أتى عليه مثل ذلك أى تصير مدة علوقه ستين تحرك فاذا انضاف الى هذا المقدار مثلاه وهو مائة وعشرون وصار المبلغ مائة وثمانين انفصل ولو تمت خلقته فى خمسة وثلاثين يوما تحرك فى سبعين وانفصل فى مائتين وعشرة وهو سبعة أشهر ولو تمت خلقته فى أربعين تحرك فى ثمانين وانفصل فى مائتين وأربعين وهو ثمانية أشهر وقلما يعيش هذا المولود الا فى بلاد معينة مثل مصر وقدمر هذا المعنى فى هذا الكتاب ولو تمت فى خمسة وأربعين تحرك فى تسعين وانفصل فى مائتين وسبعين وهى تسعة أشهر وهو الأكثر أما أكثر مدة الحمل فليس يعرف له دليل من القرآن وذكر أبو على بن سينا فى كتاب الحيوان من الشفاء فى الفصل السادس من المقالة التاسعة أن امرأة ولدت بعد الرابع من سنى الحمل ولدا قد نبتت أسنانه وعاش وعن ارسطاطاليس أن زمان الولادة لكل الحيوان مضبوط سوى الانسان هذا وقد روى الواحدى فى البسيط عن عكرمة أنه قال اذا حملت تسعة أشهر أرضعته أحدا وعشرين شهرا وعلى هذا قوله (حتى اذا بلغ أشده) أكثر المفسرين

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مجالد عن الشعبي قال الأشد الحلم اذا كتبت له الحسنات وكتبت عليه السيآت وقد بينا فيما مضى الأشد جمع شد وأنه تناهي قوته واستوائه واذا كان ذلك كذلك كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم لان المرء لا يبلغ فى حال حلمه كمال قواه ونهاية شدته فان العرب اذا ذكرت مثل هذا من الكلام فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه كما قال جل ثناؤه ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله ولا أخذت قليلا من مال أو كله ولكن تقول أخذت عامة مالى أو كله فكذلك ذلك فى قوله حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة لاشك أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه اذ كان يراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة وقوله وبلغ أربعين سنة ذلك حين تكاملت حجة الله عليه وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحق فى بر والديه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبلغ أربعين سنة وقد مضى من سيء عمله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني حتى بلغ من المسلمين وقد مضى من سيء عمله ما مضى وقوله قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى يقول تعالى ذكره قال هذا الانسان الذى هداه الله لرشده وعرف حق الله عليه فيما ألزمه من بر والديه رب أوزعني أن أشكر نعمتك يقول أغرني بشكر نعمتك التى أنعمت على فى تعريفك اياى توحيدك وهدايتك لى للاقرار بذلك والعمل بطاعتك وعلى والدى من قبلى وغير ذلك من نعمك علينا وألهمنى ذلك وأصله من وزعت الرجل على كذا اذا دفعته عليه وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أوزعني أن أشكر نعمتك قال اجعلنى أشكر نعمتك وهذا الذى قاله ابن زيد فى قوله رب أوزعني وان كان يؤل اليه معنى الكلمة فليس بمعنى الايزاع على الصحة وقوله وأن أعمل صالحا ترضاه يقول تعالى ذكره أوزعني أن أعمل صالحا من الأعمال التى ترضاها وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله وأصلح لى فى ذريتى يقول وأصلح لى امورى فى ذريتى الذين وهبتهم بأن تجعلهم هداة للايمان بك واتباع مرضاتك والعمل بطاعتك (١) فوصفه جل ثناؤه بالبر بالآباء والأمهات والبنين والبنات وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقوله انى تبت اليك وانى من المسلمين يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الانسان انى تبت اليك يقول تبت من ذنوبى التى سلفت منى فى سالف أيامى اليك وانى من المسلمين يقول وانى من الخاضعين لك بالطاعة المستسلمين لأمرك ونهيك المنقادين لحكمك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون ﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم هم الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا فى الدنيا من صالحات الأعمال فيجازيهم به ويثيبهم عليه ويتجاوز عن سيآتهم يقول ويصفح لهم عن سيآت أعمالهم التى عملوها فى الدنيا فلا يعاقبهم عليها فى أصحاب الجنة يقول نفعل ذلك بهم فعلنا مثل ذلك فى أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها كما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا المعتمر بن سليمن عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته فيقتص بعضها ببعض فان بقيت حسنة وسع الله له فى الجنة قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا الحديث

قال

كما مر فى آخر الانعام وأول يوسف والقصص على أن وقت الأشد هو زمان الوصول الى آخر سن النشوء والنماء وهو ثلاث وثلاثون سنة تقريبا أو أن فى الاربعين يتم الشباب وتأخذ القوى الطبيعية والحيوانية فى الانتقاص والقوة العقلية والنطقية فى الاستكمال وهذا أحد مايدل على أن النفس غير البدن ومن جملة الكمال أنه حينئذ يقول (رب أوزعني) اى ألهمني ووفقني كما مر فى النمل قال علماء المعانى قوله (فى ذريتى) كقوله يجرح فى عراقيبها نصلى فكأنه سأل أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له وقوله (أحسن ما عملوا) اما بمعنى الحسن أو المراد الواجب والندب دون المباح وقوله (فى أصحاب الجنة) فى موضع الحال أى معدودين فيهم عن ابن عباس وجم غفير من المفسرين أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم ولم يكن أحد من الصحابة المهاجرين والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر قالوا ومما يؤيد هذا القول أنه سبحانه حكى عن ذلك الانسان أنه قال بعد أربعين سنة رب أوزعني الخ ومعلوم أنه ليس كل انسان يقول هذا القول والأظهر أن هذا عام لهذا الجنس وأن الانسان قد يقول هذا القول ولا أقل من أن يكون واردا على طريقة الارشاد والتعليم سلمنا ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قوله (والذى قال) مبتدأ خبره أولئك والمراد بالذى جنس القائل فلذلك أورد

(١) لعله فوصاه تأمل

قال قلت فان ذهبت الحسنة قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سيآتهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال دعا أبو بكر عمر رضى الله عنهما فقال له انى أوصيك بوصية ان تحفظها ان لله فى الليل حقا لا يقبله بالنهار و بالنهار حقا لا يقبله بالليل انه ليس لأحد نافلة حتى يؤدى الفريضة انه انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يثقل وخفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة لاتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يخف ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم فيقول قائل أين يبلغ عملى من عمل هؤلاء وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن أسوإ أعمالهم فلم يبده ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم حتى يقول قائل أنا خير عملا من هؤلاء وذلك بأن الله ردّ عليهم أحسن أعمالهم ألم تر أن الله عز وجل أنزل آية الشدّة عند آية الرخاء وآية الرخاء عند آية الشدّة ليكون المؤمن راغبا راهبا لئلا يلقى بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحق * واختلفت القراء فى قراءة قوله نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة يتقبل و يتجاوز بضم الياء منهما على ما لم يسم فاعله ورفع أحسن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة نتقبل ونتجاوز بالنون وفتحها ونصب أحسن على معنى اخبار الله جل ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم وردّا للكلام على قوله و وصينا الانسان ونحن نتقبل منهم أحسن ما عملوا ونتجاوز وهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وعد الصدق الذى كانوا يوعدون يقول وعدهم الله هذا الوعد وعد الحق لا شك فيه أنه موف لهم به الذى كانوا اياه فى الدنيا يعدهم الله تعالى ونصب قوله وعد الصدق لأنه مصدر خارج من قوله يتقبل عنهم أحسن ما عملوا و يتجاوز عن سيآتهم وانما أخرج من هذا الكلام مصدر وعد وعدا لأن قوله يتقبل عنهم و يتجاوز وعد من الله لهم فقال وعد الصدق على ذلك المعنى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين ﴾ وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر و بوالديه عاق وهما مجتهدان فى نصيحته ودعائه الى الله فلا يزيده دعاؤهما اياه الى الحق ونصيحتهما له الا عتوا وتمردا على الله وتماديا فى جهله يقول الله جل ثناؤه والذى قال لوالديه أن دعواه الى الايمان بالله والاقرار ببعث الله خلقه من قبورهم ومجازاته اياهم بأعمالهم أف لكما يقول قذرا لكما ونتنا أتعدانني أن أخرج يقول أتعدانني أنى أخرج من قبرى من بعد فنائى و بلائى فيه حيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أتعدانني أن أخرج أن أبعث بعد الموت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله أتعدانني أن أخرج قال يعنى البعث بعد الموت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني الى آخر الآية قال الذى قال هذا ابن لأبى بكر رضى الله عنه قال أتعدانني أن أخرج أتعدانني أن أبعث بعد الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج قال هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثم نعت عبد سوء عاقا لوالديه فاجرا فقال والذى قال لوالديه أف لكما الى قوله أساطير الاولين وقوله وقد خلت القرون من قبلى يقول أتعدانني أن أبعث وقد مضت قرون من الأمم قبلى فهلكوا

الخبر مجموعا ويجوز أن يكون الخبر عاما فى القائل وفى أمثاله فيندرج فيه القائل وقيل تقديره واذكر الذى ومن القائل عن الحسن وقتادة هو الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وذهب السدى الى أن الآية نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه وأنه كان يقول (لوالديه أف لكما) وهى كلمة تضجر وتبرم كامر فى سبحان والانبياء (أتعدانني أن أخرج) من القبر (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يرجع أحدهم (وهما) يعنى أبويه (يستغيثان الله) أى بالله لحذف الجار وأوصل الفعل والمراد يسألانه أن يوفقه للايمان ويقولان له (ويلك آمن) بالله و بالبعث والمراد بالدعاء عليه الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك قال السدى فاستجاب الله دعوة أبى بكر فيه فأسلم وحسن اسلامه ولما أسلم نزل فيه ولكل درجات مما عملوا وأكثر المفسرين ينكرون هذا القول لانه سبحانه قال فيه (أولئك الذين حق عليهم القول) كائنين (فى أمم) الى آخره وأن عبد الرحمن لم يبق كافرا بل كان من سادات المسلمين وروى عن عائشة انكاره أيضا وذلك أنه حين كتب معاوية الى مروان بن الحكم ابن ابى العاص بأن يبايع الناس ليزيد ردّ عليه عبد الرحمن وقال مروان يا أيها الناس هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه ثم ميز حال المؤمن من حال الكافر بقوله (ولكل) أى من الجنسين (درجات) من جزاء ما عملوا فغلب

فلم يبعث منهم أحدا ولوكنت مبعوثا بعد وفاتى كما تقولان لكان قد بعث من هلك قبلى من القرون وهما يستغيثان الله يقول تعالى ذكره ووالداه يستصرخان الله عليه و يستغيثانه عليه أن يؤمن بالله و يقر بالبعث و يقولان له و يلك آمن أى صدّق بوعد الله وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك ان وعد الله الذى وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم ومخرجهم منها الى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حق لا شك فيه فيقول عدوّ الله مجيبا لوالديه و رادّا عليهما نصيحتهما وتكذيبا بوعد الله ما هذا الذى تقولان لى وتدعوانى اليه من التصديق بأنى مبعوث من بعد وفاتى من قبرى الا ما سطره الاولون من الناس من الاباطيل فكتبوه فأصبتماه أنتما فصدقتما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم الذين وجب عليهم عذاب الله وحلت بهم عقوبته وسخطه فيمن حل به عذاب الله على مثل الذى حل بهؤلاء من الامم الذين مضوا قبلهم من الجن والانس الذين كذبوا رسل الله وعتوا عن أمر ربهم وقوله انهم كانوا خاسرين يقول تعالى ذكره انهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة عن الحسن قال الجن لا يموتون قال قتادة فقلت أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت الآية وقوله ولكل درجات مما عملوا يقول تعالى ذكره ولكل هؤلاء الفريقين فريق الايمان بالله واليوم الآخر والبر بالوالدين وفريق الكفر بالله واليوم الآخر وعقوق الوالدين اللذين وصف صفتهم ربنا عز وجل فى هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة مما عملوا يعنى من عملهم الذى عملوه فى الدنيا من صالح وحسن وسيئ يجازيهم الله به وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولكل درجات مما عملوا قال درج أهل النار يذهب سفالا ودرج أهل الجنة يذهب علوا وليوفيهم أعمالهم يقول جل ثناؤه وليعطى جميعهم اجور اعمالهم التى عملوها فى الدنيا المحسن منهم باحسانه ما وعد الله من الكرامة والمسىء منهم باساءته ما أعدّه من الجزاء وهم لا يظلمون يقول وجميعهم لا يظلمون لا يجازى المسىء منهم الا عقوبة على ذنبه لا على مالم يعمل ولا يحمل عليه ذنب غيره ولا يبخس المحسن منهم ثواب احسانه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و يوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق و بما كنتم تفسقون ﴾ يقول تعالى ذكره و يوم يعرض الذين كفروا بالله على النار يقال لهم أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله و يوم يعرض الذين كفروا على النار قرأ يزيد حتى بلغ و بما كنتم تفسقون تعلمون والله أن أقواما يسترطون حسناتهم استبقى رجل طيباته ان استطاع ولا قوة الا بالله ذكر أن عمر بن الخطاب كان يقول لو شئت كنت أطيبكم طعاما وألينكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى وذكر لنا أنه لما قدم الشأم صنع له طعام لم ير قبله مثله قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا فى الحطام وذهبوا «قال أبو جعفر فيما أرى أنا» بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصفة مكانا يجتمع فيه فقراء المسلمين وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا قال أنتم اليوم خير أو يوم يغدو أحدكم فى حلة ويروح فى أخرى و يغدى عليه بجفنة و يراح عليه بأخرى و يستر بيته كما تستر الكعبة

أهل الدرجات على أهل الدركات أو الدرجات هى المراتب متصاعدة أو متنازلة والباقى واضح مما مرّ والاستكبار عن قبول الحق ذنب القلب والفسق عمل الجوارح والاول أولى بالتقديم لعظم موقعه وقد يحتج بالآية على أن الكفار مخاطبون بالفروع قال مؤلف الكتاب والاشياء الطيبة اللذيذة غير منهى عنها لقوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ولكن التقشف وترك التكلف دأب الصالحين لئلا يشتغل بغير المهم عن المهم ولأن ماعدا الضرورى لا حصر له وقد يجر بعضه بعضا الى أن يقع المرء فى حدّ البعد عن الله وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم فى حلة ويروح فى أخرى و يغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر البيت كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وعن عمر لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى لأن الله وصف قوما فقال أذهبتم طيباتكم وعنه أن رجلا دعاه الى طعام فأكل ثم قدم شيأ حلوا فامتنع وقال رأيت الله نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم الآية فقال الرجل اقرأ يا أمير المؤمنين ماقبلها و يوم يعرض الذين كفروا ولست منهم فأكل وسرّه ما سمع والتحقيق أن المراد هو أنه ما كتب للكافر حظ من الطيبات الا الذى أصابه فى دنياه وليس فى الآية

قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قال حدثنا صاحب لنا عن أبي هريرة قال انما كان طعامنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الأسودين
الماء والتمر والله ما كنا نرى سمراءكم هذه ولا ندري ماهي * قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي بردة
ابن عبدالله بن قيس الأشعري عن أبيه قال أي بني لو شهدتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن مع نبينا اذا أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن انما كان لباسنا الصوف حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
الى آخر الآية ثم قرأ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
وقرأ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وقرأ من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى آخر الآية وقال هؤلاء الذين أذهبوا طيباتهم
في حياتهم الدنيا * واختلفت القراء في قراءة قوله أذهبتم طيباتكم فقرأته عامة قراء الأمصار أذهبتم
بغير استفهام سوى أبي جعفر القارئ فانه قرأه بالاستفهام والعرب تستفهم بالتوبيخ وتترك
الاستفهام فيه فتقول أذهبت ففعلت كذا وكذا وذهبت ففعلت وفعلت وأعجب القراءتين الي ترك
الاستفهام فيه لاجماع الحجة من القراء عليه ولأنه أفصح اللغتين وقوله فاليوم تجزون عذاب الهون
يقول تعالى ذكره يقال لهم فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا تجزون أي
تثابون عذاب الهون يعني عذاب الهوان وذلك عذاب النار الذي يهينهم كما حدثنا محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عذاب الهون قال الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
يقول بما كنتم تتكبرون في الدنيا على ظهر الارض على ربكم فتأبون أن تخلصوا له العبادة وأن
تذعنوا لأمره ونهيه بغير الحق أي بغير ما أباح لكم ربكم وأذن لكم به وبما كنتم تفسقون يقول
بما كنتم فيها تخالفون طاعته فتعصونه ۞ القول في تأويل قوله تعالى {واذكر أخا عاد اذ أنذر
قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب
يوم عظيم} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد لقومك الرادين عليك
ما جئتهم به من الحق هودا أخا عاد فان الله بعثك اليهم كالذي بعثه الى عاد فخوفهم أن يحل بهم من
نقمة الله على كفرهم ما حل بهم اذ كذبوا رسولنا هودا اليهم اذ أنذر قومه عادا بالأحقاف والأحقاف
جمع حقف وهو من الرمل ما استطال ولم يبلغ أن يكون جبلا واياه عنى الأعشى

فبات الى أرطاة حقف تكفه * حريق شمال يترك الوجه أقتما

* واختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف فقال بعضهم هي جبل بالشام ذكر
من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن
عباس واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف قال الأحقاف جبل بالشام حدثت عن الحسين
قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ أنذر قومه بالاحقاف
جبل يسمى الأحقاف * وقال آخرون بل هي واد بين عمان ومهرة ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذكر أخا عاد
اذ أنذر قومه بالأحقاف قال فقال الأحقاف الذي أنذر هود قومه واد بين عمان ومهرة حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانت منازل عاد وجماعتهم حيث بعث الله اليهم هودا
الأحقاف الرمل فيما بين عمان الى حضرموت فاليمن كله وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض كلها

أن كل من أصاب الطيبات في الدنيا
فانه لا يكون له منها حظ في الآخرة
والله أعلم بالصواب {واذكر أخا عاد
اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه
ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا
لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين قال انما
العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به
ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه
عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا
عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ
بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا
مساكنهم كذلك نجزي القوم
المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة
فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم
ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون
بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم
يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا
عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا
أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم
منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا
أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين
يديه يهدي الى الحق والى طريق
مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض
وليس له من دونه أولياء أولئك
في ضلال مبين أولم يروا ان الله الذي

وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله * وقال آخرون هي أرض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار
قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال الاحقاف الأرض حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ أنذر قومه بالأحقاف
قال حشاف أو كلمة تشبهها قال أبو موسى يقولون مستحشف حدثني الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ أنذر قومه بالاحقاف حشاف من حسمى
* وقال آخرون هي رمال مشرفة على البحر بالشحر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف ذكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن
أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن قتادة في قوله واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف قال بلغنا أنهم كانوا على أرض
يقال لها الشحر مشرفين على البحر وكانوا أهل رمل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
أخبرنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة أنه قال كان مساكن
عاد بالشحر * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا
أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة كما قال العجاج
* بات الى أرطاة حقف أحقفا * وكما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
في قوله واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف قال الأحقاف الرمل الذي يكون كهيئة الجبل
تدعوه العرب الحقف ولا يكون أحقافا الا من الرمل قال وأخو عاد هود وجائز أن يكون ذلك
جبلا بالشام وجائز أن يكون واديا بين عمان وحضرموت وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به
أداء فرض ولا في الجهل به تضييع واجب وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم
الرمال المستعلية المستطيلة وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله يقول
تعالى ذكره وقد مضت الرسل بانذار أممها من بين يديه يعني من قبل هود ومن خلفه يعني ومن بعد
هود وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وقد خلت النذر من بين يديه ومن بعده ألا تعبدوا الا الله
يقول لا تشركوا مع الله شيأ في عبادتكم اياه ولكن أخلصوا له العبادة وأفردوا له الألوهة انه لا اله
غيره وكانوا فيما ذكر أهل أوثان يعبدونها من دون الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول في قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله قال لم يبعث الله رسولا
الا بأن يعبد الله وقوله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود
لقومه اني أخاف عليكم أيها القوم بعبادتكم غير الله عذاب الله في يوم عظيم وذلك يوم يعظم هوله وهو
يوم القيامة * القول في تأويل قوله تعالى (قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين) يقول تعالى ذكره قالت عاد لهود اذ قال لهم لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا الى عبادة ما تدعونا اليه والى اتباعك على
قولك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا قال لتزيلنا وقرأ ان كاد ليضلنا عن آلهتنا
لولا أن صبرنا عليها قال تضلنا وتزيلنا وتأفكنا فأتنا بما تعدنا من العذاب على عبادتنا ما نعبد من
الآلهة ان كنت من أهل الصدق في قوله وعداته * القول في تأويل قوله تعالى (قال انما العلم
عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون) يقول تعالى ذكره قال هود لقومه عاد

خلق السموات والارض ولم يعي
بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى
انه على كل شئ قدير ويوم يعرض
الذين كفروا على النار أليس هذا
بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر
كما صبر أولوا العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون)
* القراآت اني أخاف بفتح الياء
أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو
وخلف لا يرى بالياء التحتانية
مبنيا للمفعول الا مساكنهم بالرفع
عاصم وحمزة وخلف وسهل
ويعقوب الباقون لا ترى على
خطاب كل راء مساكنهم بالنصب
بل ضلوا بادغام اللام في الضاد علي
واذ صرفنا بادغام الذال في الصاد
وكذا ما يشبهه أبو عمرو وعلي
وهشام وحمزة في رواية خلاد وابن
سعدان وأبي عمرو يقدر فعلا
مضارعا من القدرة سهل ويعقوب
* الوقوف عاد ط لان اذ يتعلق
باذكر محذوفا وهو مفعول به هذا قول
السجاوندي وعندي أن لا وقف
وقوله اذ بدل الاشتمال من أخا عاد
الا الله ط عظيم ه آلهتنا ج
لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفاء
الصادقين ه عند الله ز لاختلاف
الجملتين لفظا ولكن التقدير وأنا
أبلغكم تجهلون ه ممطرنا ط لتقدير
القول به ط لأن التقدير هذه ريح أليم
ه لا لأن ما بعده صفة مساكنهم
ط المجرمين ه وأفئدة ز لعطف
الجملتين المختلفتين والوصل أولى للفاء
واتحاد الكلام يستهزؤن ه يرجعون
ه آلهة ج لتمام الاستفهام عنهم ج

انما العلم بوقت مجيء ما أعد كم به من عذاب الله على كفركم به عند الله لا أعلم من ذلك الا ما علمني
وأبلغكم ما أرسلت به يقول وانما أنا رسول اليكم من الله مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة
ولكني أراكم قوما تجهلون مواضع حظوظ أنفسكم فلا تعرفون ما عليها من المضرة بعبادتكم غير الله
وفي استعجال عذابه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا
هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءهم
عذاب الله الذي استعجلوه فرأوه سحابا عارضا في ناحية من نواحي السماء مستقبل أوديتهم والعرب
تسمي السحاب الذي يرى في بعض أقطار السماء عشيا ثم يصبح من الغد قد استوى وحبا بعضه
الى بعض عارضا وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ كما قال الأعشى

يا من يرى عارضا قد بت أرمقه ✻ كأنما البرق في حافاته الشعل

قالوا هذا عارض ممطرنا ظنا منهم برؤيتهم اياه أن غيثا قد أتاهم يحيون به فقالوا هذا الذي كان هود
يعدنا وهو الغيث كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما رأوه عارضا
مستقبل أوديتهم الآية وذكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا فلما رأوا العذاب مقبلا قالوا هذا
عارض ممطرنا وذكر لنا أنهم قالوا كذب هود كذب هود فلما خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فشامه
قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
قال ساق الله السحابة السوداء التي اختار قيل بن عنز بما فيها من النقمة الى عاد حتى تخرج عليهم
من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل
هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم وقوله بل هو ما استعجلتم به يقول تعالى ذكره مخبرا عن
قيل نبيه صلى الله عليه وسلم هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب قد عرض لهم
في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به ماهو بعارض غيث ولكنه عارض عذاب لكم بل هو
ما استعجلتم به أي هو العذاب الذي استعجلتم به فقلتم ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
ريح فيها عذاب أليم والريح مكررة على ما في قوله هو ما استعجلتم به كأنه قيل بل هو ريح فيها
عذاب أليم ✻ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن
المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال كان هود
جلدا في قومه وانه كان قاعدا في قومه فجاء سحاب مكفهر فقالوا هذا عارض ممطرنا فقال بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم قال فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط وتجيء بالرجل الغائب
فتلقيه حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثني أبي عن أبيه عن جده قال قال سليمن
ثنا أبو اسحق عن عمرو بن ميمون قال لقد كانت الريح تحمل الظعينة فترفعها حتى ترى كأنها جرادة
حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس
قوله فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم الى آخر الآية قال هي الريح اذا أثارت سحابا قالوا هذا عارض
ممطرنا فقال نبيهم بل ريح فيها عذاب أليم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تدمر كل شئ بأمر
ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ وقوله تدمر كل شئ بأمر ربها
يقول تعالى ذكره تخرب كل شئ وترمي بعضه على بعض فتهلكه كما قال جرير

وكان لكم كبكر ثمود لما ✻ رغا ظهرا فدمرهم دمارا

يعني بقوله دمرهم ألقى بعضهم على بعض صرعى هلكى وانما عنى بقوله تدمر كل شئ بأمر ربها ما
أرسلت بهلاكه لأنها لم تدمر هودا ومن كان آمن به حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق عن

لعطف الجملتين يفترون ٥ القرآن
ج لكلمة المجازاة مع الفاء أنصتوا ج
لذلك منذرين ٥ مستقيم ٥ أليم ٥
أولياء ط مبين ٥ الموتى ط قدير
٥ النار ط لتقدير القول بالحق ط
وربنا ط تكفرون ٥ لهم ط
يوعدون ٥ لا لان ما بعده خبر
كأن نهار ط بلاغ ج للاستفهام
مع الفاء الفاسقون ٥ ﴿ التفسير
انه سبحانه بعد حكاية شبه المكذبين
والأجوبة عنها وبعد تمام ما انجر
الكلام اليه أمر نبيه صلى الله عليه
وسلم أن يذكر قومه بقصة هود أعني
أخا عاد لأنه واحد منهم والأحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل
مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشئ اذا اعوج ويقال له الشحر من
بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة
والنذر جمع نذير مصدر أو صفة
والواو في قوله (وقد خلت) اما أن
تكون للحال والمعنى أنذرهم وهم
عالمون بانذار الرسل من قبل ومن
بعده واما أن يكون اعتراضا والمعنى
واذكر وقت انذار هود قومه
(ألا تعبدوا الا الله) وقد أنذر من
تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه
مثل ذلك فاذكرهم قوله (لتأفكنا)
أي لتصرفنا عن عبادة آلهتنا قوله
(انما العلم عند الله) أي لا علم لي
بالوقت الذي عينه الله لتعذيبكم فلا
معنى لاستعجالكم ولهذا نسبهم الى
الجهالة وأي جهل أعظم من نسبة
نبي الله الى الكذب ومن ترك طريقة
الاحتياط ومن استعجال ما فيه
هلاكهم والضمير في قوله فلما رأوه
عائد الى الموعود أو هو مبهم يوضحه
قوله عارض أي سحاب عرض
في نواحي السماء والاضافة في قوله

زائدة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما أرسل الله على عاد من
الريح إلا قدر خاتمي هذا فنزع خاتمه وقوله فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم يقول فأصبح قوم هود
وقد هلكوا وفنوا فلا يرى فى بلادهم شئ إلا مساكنهم التى كانوا يسكنونها واختلفت القراء فى
قراءة قوله فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة لا ترى إلا مساكنهم
بالتاء نصبا بمعنى فأصبحوا لا ترى أنت يا محمد إلا مساكنهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا يرى إلا
مساكنهم بالياء فى يرى ورفع المساكن بمعنى ما وصفت قبل أنه لا يرى فى بلادهم شئ إلا مساكنهم
وروى الحسن البصرى لا ترى بالتاء وبأى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والكوفة
قرأ ذلك القارئ فمصيب وهو القراءة برفع المساكن اذا قرئ قوله يرى بالياء وضمها وبنصب
المساكن اذا قرئ قوله ترى بالتاء وفتحها وأما التى حكيت عن الحسن فهى قبيحة فى العربية وان
كانت جائزة وانما قبحت لأن العرب تذكر الافعال التى قبل إلا وان كانت الأسماء التى بعدها
أسماء إناث فتقول ما قام إلا أختك ما جاءنى إلا جاريتك ولا يكادون يقولون ما جاءتنى إلا جاريتك
وذلك أن المحذوف قبل إلا أحد أو شئ وأحد وشئ يذكر فعلهما العرب وان عنى بهما المؤنث فتقول
ان جاءك منهن أحد فأكرمه ولا يقولون ان جاءتك وكان الفراء يجيزها على الاستكراه ويذكر أن
ابن المفضل أنشده

نارنا لم تر نارا مثلها * قد علمت ذاك معد كرما

فأنث فعل مثل لانه للنار قال وأجود الكلام أن تقول ما رؤى مثلها وقوله كذلك نجزى القوم
المجرمين يقول تعالى ذكره كما جزينا عادا بكفرهم بالله من العقاب فى عاجل الدنيا فأهلكناهم
بعذابنا كذلك نجزى القوم الكافرين بالله من خلقنا اذا تمادوا فى غيهم وطغوا على ربهم ﷺ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما
أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره لكفار قريش ولقد مكنا أيها القوم عادا الذين أهلكناهم بكفرهم
فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا وأعطيناهم منها الذى لم نعطكم منها من كثرة الاموال وبسطة الأجسام
وشدة الأبدان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على
قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه يقول لم نمكنكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم وقوله وجعلنا لهم سمعا يسمعون به مواعظ
ربهم وأبصارا يبصرون بها حجج الله وأفئدة يعقلون بها ما يضرهم وينفعهم فما أغنى عنهم
سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ يقول فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد اذ
لم يستعملوها فيما أعطوها له ولم يعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله ولكنهم استعملوها فيما يقربهم من
سخطه اذ كانوا يجحدون بآيات الله يقول اذ كانوا يكذبون بحجج الله وهم رسله وينكرون
نبوتهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وعاد عليهم ما استهزؤا به ونزل بهم ما سخروا به
فاستعجلوا به من العذاب وهذا وعيد من الله جل ثناؤه لقريش يقول لهم فاحذروا أن يحل بكم من
العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله ما حل بعاد وبادروا بالتوبة قبل النقمة ﷺ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾

يقول

(مستقبل أوديتهم) وممطرنا لفظية
ولهذا صح وقوعها صفة للنكرة والتدمير
الاهلاك والاستئصال وفى قوله
(بأمر ربها) اشارة الى ابطال قول
من زعم أن مثل هذه الآثار مستند
الى تأثيرات الكواكب بالاستقلال
ثم زاد فى تخويف كفار مكة وذكر
فضل عاد فى القوة الجسمانية
وفى الاسباب الخارجية عليهم
فقال (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه) قال المبرد ما موصولة وان نافية
أى فى الذى لم نمكنكم فيه وقال ابن
قتيبة ان زائدة وهذا فيه ضعف لان
الاصل حمل الكلام على وجه لا يلزم
منه زيادة فى اللفظ ولان المقصود
فضل أولئك القوم على هؤلاء حتى
يلزم المبالغة فى التخويف وعند
تساويهما يفوت هذا المقصود
وقيل ان للشرط والجزاء مضمر
أى فى الذى ان مكناكم فيه كان
بغيكم أكثر قوله (من شئ) أى شيئا
من الاغناء وهو القليل منه وقوله
(اذ كانوا) ظرف لما أغنى وفيه معنى
التعليل كقولك ضربته اذ أساء
قوله (من القرى) يريد من قريات
عاد وثمود ولوط وغيرهم بالشام
والحجاز واليمن وتصريف الآيات
أى تكريرها قيل للعرب المخاطبين
والاظهر أنه للماضين لقوله (لعلهم
يرجعون) عن شركهم والاولون
حملوه على الالتفات ثم وبخهم بأن
أصنامهم لم يقدروا على نصرتهم
وشفاعتهم فقوله آلهة مفعول ثان
لاتخذوا والمفعول الاول محذوف
وهو الراجع الى الذين وقربانا حال
أو مفعول له أى متقربين الى الله
أو لأجل القربة بزعمهم والقربان
مصدر أو اسم لما يتقرب به الى الله

يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذرهم بأسه وسطوته أن يحل بهم على كفرهم ولقد أهلكنا أيها
القوم من القرى ما حول قريتكم كحجر ثمود وأرض سذوم ومأرب ونحوها فأنذرنا أهلها بالمثلات
وخربنا ديارها فجعلناها خاوية على عروشها وقوله وصرفنا الآيات يقول ووعظناهم بأنواع
العظات وذكرناهم بضروب من الذكر والحجج وبيناها لهم ذلك كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد فى قوله وصرفنا الآيات قال بيناها لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا عما كانوا
عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته وفى الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه
وهو فأبوا الا الاقامة على كفرهم والتمادى فى غيهم فأهلكناهم فلن ينصرهم منا ناصر يقول جل
ثناؤه فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الامم الخالية قبلهم أوثانهم وآلهتهم التى اتخذوا عبادتها
قربانا يتقربون بها فيما زعموا الى ربهم منا اذ جاءهم بأسنا فتنقذهم من عذابنا ان كانت تشفع لهم عند
ربهم كما يزعمون وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى قومه يقول لهم
لو كانت آلهتكم التى تعبدون من دون الله تغنى عنكم شيأ أوتنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم انما
تعبدونها لتقربكم الى الله زلفى لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التى أهلكتها بعبادتهم اياها
فدفعت عنها العذاب اذ نزل أولشفعت لهم عند ربهم فقد كانوا من عبادتها على مثل الذى عليه
أنتم ولكنها ضرتهم ولم تنفعهم يقول تعالى ذكره بل ضلوا عنهم يقول بل تركتهم آلهتهم التى كانوا
يعبدونها فأخذت غير طريقهم لأن عبدتها هلكت وكانت هى حجارة أونحاسا فلم يصبها ما أصابهم
ودعوها فلم تجبهم ولم تغثهم وذلك ضلالها عنهم وذلك إفكهم يقول عزوجل هذه الآلهة التى ضلت
عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم وفى حال طمعهم فيها أن تغيثهم
فخذلتهم هو إفكهم يقول هو كذبهم الذى كانوا يكذبون ويقولون هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون
يقول وهو الذى كانوا يفترون فيقولون هى تقربنا الى الله زلفى وهى شفعاؤنا عند الله وأخرج
الكلام مخرج الفعل والمعنى المفعول به فقيل وذلك افكهم والمعنى فيه المأفوك به لان الافك
انما هو فعل الآفك والآلهة مأفوك بها وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل قال وكذلك قوله وما
كانوا يفترون واختلفت القراء فى قراءة قوله وذلك افكهم فقرأته عامة قراء الأمصار وذلك
افكهم بكسر الالف وسكون الفاء وضم الكاف بالمعنى الذى بينا وروى عن ابن عباس رضى
الله عنهما فى ذلك ما حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن عوف
عمن حدثه عن ابن عباس أنه كان يقرؤها وذلك أفكهم يعنى بفتح الالف والكاف وقال أضلهم
فمن قرأ القراءة الاولى التى عليها قرأة الأمصار فالهاء والميم فى موضع خفض ومن قرأ هذه القراءة
التى ذكرناها عن ابن عباس فالهاء والميم فى موضع نصب وذلك أن معنى الكلام على ذلك وذلك
صرفهم عن الايمان بالله والصواب من القراءة فى ذلك عندنا القراءة التى عليها قرأة الأمصار
لاجماع الحجة عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين﴾ يقول تعالى ذكره مقرعا
كفار قريش بكفرهم بما آمنت به الجن واذ صرفنا اليك يا محمد نفرا من الجن يستمعون القرآن
ذكر أنهم صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحادث الذى حدث من رجمهم بالشهب
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد عن سعيد بن جبير
قال كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا ان هذا الذى حدث فى السماء لشئ حدث فى الارض
فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر

عزوجل ويجوز أن يكون قربانا
مفعولا ثانيا وآلهة بدلا أو بيانا قوله
(وذلك افكهم) أى عدم نصرة
آلهتهم وضلالهم عنهم وقت الحاجة
محصول افكهم وافترائهم أو عاقبة
شركهم وثمرة كذبهم على الله وحين
بين أن فى الانس من آمن وفيهم من
كفر أراد أن يبين أن نوع الجن أيضا
كذلك وفى كيفية الواقعة قولان
أحدهما عن سعيد بن جبير وعليه
الجمهور كانت الجن تسترق فلما رجموا
قالوا هذا انما حدث فى السماء لشئ
حدث فى الارض فذهبوا يطلبون
السبب فوافوا النبى صلى الله عليه
وسلم بمكة يصلى بأصحابه أو منفردا
فمنهم من قال صلاة العشاء الآخرة
ومنهم من قال صلاة الصبح فقرأ
فيها سورة اقرأ فسمعوا القرآن
وعرفوا أن ذلك هو السبب وعلى
هذا لم يكن ذلك بعلم منه صلى الله
عليه وسلم حتى أوحى الله اليه والقول
الثانى أنه صلى الله عليه وسلم أمر
بذلك فقال لأصحابه انى أمرت
أن أقرأ القرآن على الجن فأيكم
يتبعنى فاتبعه ابن مسعود فدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شعب
الحجون وخط على ابن مسعود وقال
لاتبرح حتى آتيك قال فسمعت
لغطا شديدا حتى خفت على النبى
صلى الله عليه وسلم ثم علا بالقرآن
أصواتهم فلما رجع رسول الله صلى
عليه وسلم سألته عن اللغط فقال
اختصموا الى فى قتيل كان بينهم
فقضيت فيهم وفى رواية أخرى عن
ابن مسعود قال قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمعك ماء قلت
يارسول الله معى اداوة فيها شئ من
نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده

فذهبوا الى قومهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد ابن جبير قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حرست السماء فقال الشيطان ما حرست إلا لأمر قد حدث في الارض فبعث سراياه في الارض فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي صلاة الفجر بأصحابه بنخلة وهو يقرأ فاستمعوا حتى اذا فرغ ولوا الى قومهم منذرين الى قوله مستقيم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى آخر الآية قال لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يقعدون مقاعد للسمع فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السماء حرسا شديدا ورجمت الشياطين فأنكروا ذلك وقالوا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فقال ابليس لقد حدث في الارض حدث واجتمعت اليه الجن فقال تفرقوا في الارض فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء وكان أول بعث ركب من أهل نصيبين وهي أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الله الى تهامة فاندفعوا حتى بلغوا الوادي وادي نخلة فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة فاستمعوا فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا أنصتوا ولم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا اليه وهو يقرأ القرآن فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين * واختلف أهل التأويل في مبلغ عدد النفر الذين قال الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن فقال بعضهم كانوا سبعة نفر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الحميد قال ثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم * وقال آخرون بل كانوا تسعة نفر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن عاصم عن زر واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال كانوا تسعة نفر فيهم زوبعة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش قال أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة فلما حضروه قال كانوا تسعة أحدهم زوبعة وقوله فلما حضروه يقول فلما حضر هؤلاء النفر من الجن الذين صرفهم الله الى رسوله نبي الله صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العلم في صفة حضورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعرفون الأمر الذي حدث من قبله ما حدث في السماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشعر بمكانهم كما قد ذكرنا عن ابن عباس قبل وكما حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال ما شعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاؤا فأوحى الله عز وجل اليه فيهم وأخبر عنهم * وقال آخرون بل أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم القرآن وأنهم جمعوا له بعد أن تقدم الله اليه بانذارهم وأمره بقراءة القرآن عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قال ذكر لنا أنهم صرفوا اليه من نينوى قال فان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني أمرت أن أقرأ القرآن على الجن فأيكم يتبعني فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا فقال رجل يا رسول الله انك (١) لذو بدئه فاتبعه عبد الله بن مسعود فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون قال وخط نبي الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله خطا ليثبته به قال فجعلت تهوي بي وأرى أمثال النسور تمشي في دفوفها وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله

عليه

فتوضأ فقال تمرة طيبة وماء طهور واختلفوا في عددهم عن ابن عباس كانوا تسعة من جن نصيبين أو نينوى وقال عكرمة كانوا عشرة من جزيرة الموصل وزر بن حبيش كانوا تسعة ومنهم زوبعة وقيل اثنى عشر ألفا ولنرجع الى التفسير قوله (واذ صرفنا) معطوف على قوله اذكر أخا عاد اذ أنذر ومعنى صرفنا أملناهم اليك والنفر ما دون العشرة ويجمع على أنفار والضمير في (حضروه) للنبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) والانصات السكوت لاستماع الكلام (فلما قضي) أي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة وانما قالوا (أنزل من بعد موسى) لانهم كانوا يهودا أو لانهم لم يسمعوا أمر عيسى قاله ابن عباس (أجيبوا داعي الله) عنوا رسول الله أو أنفسهم بناء على أنهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم ومنه يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن أيضا وهذا من جملة خصائصه وحين عمموا الامر باجابة الداعي خصصوه بقولهم (وآمنوا به) لأن الايمان أشرف أقسام التكاليف ومن في قوله (من ذنوبكم) للتبعيض فمن الذنوب ما لا يغفر بالايمان كالمظالم وقد مر في ابراهيم واختلفوا في أن الجن هل لهم ثواب أم لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار بقوله (ويجركم من عذاب أليم) وهو قول أبي حنيفة والصحيح أنهم في حكم بني آدم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقد جرت بين مالك وأبي حنيفة مناظرة في هذا الباب

---

(١) في ابن كثير لذو ندبة وجرر

عليه وسلم ثم تلا القرآن فلما رجع نبي الله قلت يا نبي الله ما اللغط الذي سمعت قال اجتمعوا اليّ
في قتيل كان بينهم فقضى بينهم بالحق ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من
الزط فراعوه قال من هؤلاء قالوا هؤلاء نفر من الأعاجم قال ما رأيت للذين قرأ عليهم النبي صلى الله
عليه وسلم الاسلام من الجن شبها أدنى من هؤلاء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن قتادة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجن نخط النبي
صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود خطا ثم قال له لا تخرج منه ثم ذهب النبي صلى الله عليه وسلم
الى الجن فقرأ عليهم القرآن ثم رجع الى ابن مسعود فقال هل رأيت شيأ قال سمعت لغطا شديدا قال
ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينها فقضى بينهم بالحق وسألوه الزاد فقال كل عظم لكم عرق وكل
روث لكم خضرة قالوا يا رسول الله تقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى
بأحدهما فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزط وهم قوم طوال سود فأفزعوه فقال أظهروا
فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
* قال ثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه
قال لابن مسعود حدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل قال
فكيف كان فذكر الحديث كله وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم خط عليه خطا وقال لا تبرح
منها فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذعر ثلاث مرات
حتى اذا كان قريبا من الصبح أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنمت قلت لا والله ولقد
هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال لو خرجت
لم آمن أن يختطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قال نعم رأيت رجالا سودا مستشعري ثياب
بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة
فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم قال انهم لن يجدوا عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل
ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فلا يستنقين أحد منكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة
ولا روثة حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهب بن راشد قال
قال يونس قال ابن شهاب أخبرني أبو عثمان بن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام أن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة
فليفعل فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني
أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته اسودة كبيرة حالت بيني وبينه حتى
ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق متبرزا ثم أتاني فقال ما فعل الرهط قلت هم أولئك يا رسول الله
فأخذ عظما أو روثا أو جمجمة فأعطاهم اياه زادا ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث حدثني
أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن
أبي عثمان بن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام أن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر مثله سواء الا أنه قال فأعطاهم روثا أو عظما زادا ولم يذكر الجمجمة حدثني
أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي قال أخبرني يونس عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله أن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بت الليلة أقرأ على الجن ربعا
بالحجون * واختلفوا في الموضع الذي تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه القرآن فقال عبد الله

قوله (فليس بمعجز) أي لا يفوته هارب قوله (ولم يعي) يقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه، قوله (بقادر) في محل الرفع لانه خبر أن وانما دخلت الباء لاشتمال الآية على النفي كأنه قيل أليس الله بقادر والمقصود تأكيد ما مر في أول السورة من دلائل البعث والنبوة ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (فاصبر كما صبر أولوا العزم) وقوله (من الرسل) بيان لان جميع الرسل أرباب عزم وجد في تبليغ ما أمروا بأدائه أو هو للتبعيض فنوح صبر على أذى قومه وابراهيم على النار وذبح الولد واسحق على الذبح ويعقوب على فراق الولد ويوسف على السجن وأيوب على الضر وموسى على سفاهة قومه وجهالاتهم وأما يونس فلم يصبر على دعاء القوم فذهب مغاضبا وقال الله تعالى في حق آدم ولم نجد له عزما (ولا تستعجل لهم) أي لا تدع لكفار قريش بتعجيل العذاب فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى ظنوا أنها ساعة من نهار (هذا) الذي وعظهم به كفاية في بابه وقد مر في آخر سورة ابراهيم عليه السلام

﴿سورة محمد صلى الله عليه وآله وهي مدنية حروفها الفان وثلثمائة وتسعة وأربعون كلماتها خمسمائة وأربعون آياتها ثمان وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم ذلك

ابن مسعود قرأ عليهم بالحجون وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك * وقال آخرون قرأ عليهم بنخلة وقد ذكرنا
بعض من قال ذلك ونذكر من لم نذكره حدثنا أبو كريب قال ثنا خلاد عن زهير بن معاوية
عن جابر الجعفى عن عكرمة عن ابن عباس أن النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جن
نصيبين أتوه وهو بنخلة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وإذ صرفنا اليك نفرا
من الجن قال لقيهم بنخلة ليلتئذ وقوله فلما حضروه قالوا أنصتوا يقول تعالى ذكره فلما حضروا
القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قال بعضهم لبعض أنصتوا لنستمع القرآن كما حدثنا
ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن عاصم عن زر فلما حضروه قالوا أنصتوا قالوا صه * قال ثنا
أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة فى قوله فلما حضروه قالوا أنصتوا قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا وقوله
فلما قضى يقول فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراءة وتلاوة القرآن * وبنحو الذى
قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلما قضى يقول فلما فرغ من الصلاة ولوا الى قومهم
منذرين وقوله ولوا الى قومهم منذرين يقول انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به وذكر
عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا الى قومهم حدثنا بذلك أبو كريب
قال ثنا عبد الحميد الحمانى قال ثنا النضر عن عكرمة عن ابن عباس وهذا القول خلاف القول
الذى روى عنه أنه قال لم يكن نبى الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا اليه وهو يقرأ القرآن لأنه
محال أن يرسلهم الى آخرين الا بعد علمه بمكانهم الا أن يقال لم يعلم بمكانهم فى حال استماعهم للقرآن
ثم علم بعد قبل انصرافهم الى قومهم فأرسلهم رسلا حينئذ الى قومهم وليس ذلك فى الخبر الذى روى
القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يهدى الى الحق والى طريق مستقيم) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين صرفوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن لقومهم لما انصرفوا اليهم من عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا قومنا من الجن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد كتاب موسى مصدقا لما بين يديه يقول يصدق
ما قبله من كتب الله التى أنزلها على رسله وقوله يهدى الى الحق يقول يرشد الى الصواب ويدل
على ما فيه لله رضا والى طريق مستقيم يقول والى طريق لا اعوجاج فيه وهو الاسلام وكان قتادة
يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أنه قرأ قالوا يا قومنا انا سمعنا
كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم فقال ما أسرع
ما عقل القوم ذكر لنا أنهم صرفوا اليه من نينوى القول فى تأويل قوله تعالى (يا قومنا أجيبوا
داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز
فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل
هؤلاء النفر من الجن لقومهم يا قومنا من الجن أجيبوا داعى الله قالوا أجيبوا رسول الله محمدا الى
ما يدعوكم اليه من طاعة الله وآمنوا به يقول وصدقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه وغير ذلك
مما دعاكم الى التصديق به يغفر لكم يقول يتغمد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم
بها فى الآخرة بعقوبته اياكم عليها ويجركم من عذاب أليم يقول وينقذكم من عذاب موجع
اذا أنتم تبتم من ذنوبكم وأنبتم من كفركم الى الايمان بالله وبداعيه وقوله ومن لا يجب داعى الله

بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن
الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم
كذلك يضرب الله للناس أمثالهم
فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا
الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى
تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء
الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم
ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله
فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها
الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم والذين كفروا
فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم
كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم
أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها
ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن
الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الأنهار
والذين كفروا يتمتعون ويأكلون
كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم
وكأين من قرية هى أشد قوة من
قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا
ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه
كمن زين له سوء عمله واتبعوا
أهواءهم مثل الجنة التى وعد المتقون
فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من
لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة
للشاربين وأنهار من عسل مصفى
ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من
ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا
ماء حميما فقطع أمعاءهم ومنهم من
يستمع اليك حتى اذا خرجوا من
عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال
آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم

فليس بمعجز فى الأرض يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر لقومهم ومن لا يجب أيها القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا وداعيه الى ما بعثه بالدعاء اليه من توحيده والعمل بطاعته فليس بمعجز فى الأرض يقول فليس بمعجز ربه بهرب به اذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه وتركه تصديقه وان ذهب فى الأرض هاربا لأنه حيث كان فهو فى سلطانه وقبضته وليس له من دونه أولياء يقول وليس لمن لم يجب داعى الله من دون ربه نصراء ينصرونه من الله اذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه وقوله أولئك فى ضلال مبين يقول هؤلاء الذين لم يجيبوا داعى الله فيصدقوا به وبما دعاهم اليه من توحيد الله والعمل بطاعته فى جور عن قصد السبيل وأخذ على غير استقامة مبين يقول يبين لمن تأمله أنه ضلال وأخذ على غير قصد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء المنكرون احياء الله خلقه من بعد وفاتهم وبعثه اياهم من قبورهم بعد بلائهم القائلون لآبائهم وأمهاتهم أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم فيروا ويعلموا أن الله الذى خلق السموات السبع والأرض فابتدعهن من غير شئ ولم يعى بانشائهن فيعجز عن اختراعهن وإحداثهن بقادر على أن يحيى الموتى فيخرجهم من بعد بلائهم فى قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم * واختلف أهل العربية فى وجه دخول الباء فى قوله بقادر فقال بعض نحويى البصرة هذه الباء كالباء فى قوله كفى بالله وهو مثل تنبت بالدهن وقال بعض نحويى الكوفة دخلت هذه الباء للم قال والعرب تدخلها مع الجحود اذا كانت رافعة لما قبلها وتدخلها اذا وقع عليها فعل يحتاج الى اسمين مثل قولك ما أظنك بقائم وما أظن أنك بقائم وما كنت بقائم فاذا خلعت الباء نصبت الذى كانت تعمل فيه بما تعمل فيه من الفعل قال ولو ألقيت الباء من قادر فى هذا الموضع رفع لانه خبر لأن قال وأنشدنى بعضهم

فما رجعت بخائبة ركاب * حكيم بن المسيب منتهاها

فأدخل الباء فى فعل لو ألقيت منه نصبت بالفعل لا بالباء يقاس على هذا ما أشبهه * وقال بعض من أنكر قول البصرى الذى ذكرنا قوله هذه الباء دخلت للجحد لان المجحود فى المعنى وان كان قد حال بينهما بأن أولم يروا أن الله قادر على أن يحيى الموتى قال فأن اسم يروا وما بعدها فى صلتها ولا تدخل فيه الباء ولكن معناه جحد فدخلت للمعنى وحكى عن البصرى أنه كان يأبى ادخال الا وأن النحويين من أهل الكوفة يجيزونه ويقولون ماظننت أن زيدا الا قائما وماظننت أن زيدا بعالم وينشد

ولست بحالف لولدت منهم * على عمية الا زيادا

قال فأدخل الا بعد جواب اليمين قال فأما كفى بالله فهذه لم تدخل الا لمعنى صحيح وهى للتعجب كما تقول لظرف بزيد قال وأما تنبت بالدهن فأجمعوا على أنها صلة وأشبه الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال دخلت الباء فى قوله بقادر للجحد لما ذكرنا القائلى ذلك من العلل * واختلفت القراء فى قراءة قوله بقادر فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار عن أبى اسحق والجحدرى والأعرج بقادر وهى الصحيحة عندنا لاجماع قراء الأمصار عليها وأما الآخرون الذين ذكرتهم فانهم فيما ذكر عنهم كانوا يقرؤن ذلك يقدر بالياء وقد ذكر أنه فى قراءة عبد الله بن مسعود أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر بغير باء ففى ذلك حجة لمن قرأه بقادر بالباء والألف وقوله بلى انه على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره بلى يقدر الذى خلق السموات والأرض على احياء الموتى

واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ۞ القراآت والذين قتلوا مبنيا للمفعول ثلاثيا أبو عمرو وسهل ويعقوب وحفص الباقون قاتلوا ويثبت من الاثبات المفضل الباقون بالتشديد أسن بغير ألف كذر ابن كثير أنفا بدون الألف كما قلنا ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل ۞ الوقوف أعمالهم ٥ بالهم ٥ من ربهم ط أمثالهم ٥ الرقاب ط الوثاق لا للفاء ولتعلق بعد بما قبلها أى بعد ما شددتم الوثاق أوزارها ج ذلك ط أى ذلك كذلك وقد يحسن اتصاله بما قبله لانقطاعه عن خبره أو عن المبتدا أو الفعل أى الأمر ذلك أو فعلوا ذلك ببعض ط أعمالهم ٥ بالهم ٥ ج للآية مع العطف واتحاد الكلام لهم ٥ أقدامكم ٥ أعمالهم ٥ ج من قبلهم ط لتناهى الاستخبار عليهم ج للابتداء بالتهديد مع الواو أمثالها ٥ لهم ٥ الأنهار ط لهم ٥ أخرجتك ج لاحتمال أن ما بعده صفة قرية أو ابتداء اخبار لهم ٥ أهواءهم ٥ المتقون ط للحذف أى صفة الجنة فيما نقص عليكم ثم شرع فى قصتها آسن ج طعمه ج للشاربين ٥ ج لتفصيل أنواع النعم مع العطف مصفى ج من ربهم ط لحذف المبتدا والتقدير أفمن هذا حاله كمن هو خالد أمعاءهم ٥ اليك ج لاحتمال أن يكون حتى للانتهاء وللابتداء آنفا ط أهواءهم ٥ تقواهم ٥ بغتة ٥ لتناهى الاستفهام مع مجىء الفاء بعد

أى الذى خلق ذلك على كل شئ شاء خلقه وأراد فعله ذو قدرة لا يعجزه شئ أراده ولا يعييه شئ أراد فعله فيعييه انشاء الخلق بعد الفناء لأن من عجز عن ذلك فضعيف فلا ينبغى أن يكون الهاً من كان عما أراد ضعيفا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم يعرض هؤلاء المكذبون بالبعث وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة وعقابه اياهم على أعمالهم السيئة على النار نار جهنم يقال لهم حينئذ أليس هذا العذاب الذى تعذبونه اليوم وقد كنتم تكذبون به فى الدنيا بالحق توبيخا من الله لهم على تكذيبهم به كان فى الدنيا قالوا بلى وربنا يقول فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك بأن يقولوا بلى هو الحق والله قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يقول فقال لهم المقرر بذلك فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه فى الدنيا وتنكرونه وتأبون الاقرار اذا دعيتم الى التصديق به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مثبته على المضى لما قلده من عبء الرسالة وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم وآمره بالائتساء فى العزم على النفوذ لذلك بأولى العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد فاصبر يا محمد على ما أصابك فى الله من أذى مكذبيك من قومك الذين أرسلناك اليهم بالانذار كما صبر أولو العزم على القيام بأمر الله والانتهاء الى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره ما نالهم فيه من شدة وقيل ان أولى العزم منهم كانوا الذين امتحنوا فى ذات الله فى الدنيا بالمحن فلم تزدهم المحن الا جدا فى أمر الله كنوح وابراهيم وموسى ومن أشبههم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ثوابة بن مسعود عن عطاء الخراسانى أنه قال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل كنا نحدث أن ابراهيم كان منهم وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قال كل الرسل كانوا أولى عزم لم يتخذ الله رسولا الا كان ذا عزم فاصبر كما صبروا حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قال سماه الله من شدته العزم وقوله ولا تستعجل لهم يقول ولا تستعجل عليهم بالعذاب يقول لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فان ذلك نازل بهم لا محالة كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار يقول كأنهم يوم يرون عذاب الله الذى يعدهم أنه منزله بهم لم يلبثوا فى الدنيا الا ساعة من نهار لأنه ينسيهم شدة ما ينزل بهم من عذابه قدر ما كانوا فى الدنيا لبثوا ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور كما قال جل ثناؤه قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين وقوله بلاغ فيه وجهان أحدهما أن يكون معناه لم يلبثوا الا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ بمعنى ذلك بلاغ لهم فى الدنيا الى أجلهم ثم حذفت ذلك لبث وهى مرادة فى الكلام اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليها والآخر أن يكون معناه هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية ان فكروا واعتبروا فتذكروا

وقوله

فى الاخبار أشراطها ج لعكس ما مر ذكراهم ٥ ﴿ التفسير قال أهل النظم ان أول هذه السورة مناسب لآخر السورة كأنه قيل كيف يهلك الفاسق ان كان له أعمال صالحة فأجاب (الذين كفروا وصدوا) منعوا الناس عن الايمان صدا أو امتنعوا عنه صدودا (أضل الله (أعمالهم) أى أبطل ثوابها وكانوا يصلون الارحام ويطعمون الطعام ويعمرون المسجد الحرام وعن ابن عباس أنها نزلت فى المطعمين يوم بدر وقيل هم أهل الكتاب والأظهر العموم قال جار الله حقيقة اضلال الاعمال جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يثيب عليها كالضالة من الابل لا رب لها يحفظها أو أراد أنه يجعلها ضالة فى كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء فى اللبن وقيل أراد ابطال ما عملوه من الكيد للاسلام وذويه بأن نصر المسلمين عليهم وأظهر دينه على الدين كله وحين بين حال الكفار بين حال المؤمنين قائلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) بالهجرة والنصرة وغير ذلك (وآمنوا بما نزل على محمد) يعنى القرآن وهو تخصيص بعد تعميم ولم يقتصر على هذا التخصيص الموجب للتفضيل ولكنه أكده بجملة اعتراضية هى قوله وهو الحق من ربهم ولان الحق هو الثابت ففيه دليل على أن دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يرد عليه النسخ أبدا وتكفير السيآت من الكريم سترها بما هى خير منها فهو فى معنى قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات والبال الحال والشأن لا يثنى ولا يجمع وقيل هو بمعنى القلب أى يصلح أمر دينهم

وقوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون يقول تعالى ذكره فهل يهلك الله بعذابه اذا أنزله الا القوم الذين خالفوا أمره وخرجوا عن طاعته وكفروا به ومعنى الكلام ومايهلك الله الا القوم الفاسقين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون تعلموا مايهلك على الله الا هالك ولى الاسلام ظهره أو منافق صدق بلسانه وخالف بعمله ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أيما عبد من أمتى هم بحسنة كتبت له واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها وأيما عبد هم بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت سيئة واحدة ثم كان يتبعها ويمحوها الله ولا يهلك الا هالك

آخر تفسير سورة الاحقاق

* (تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدوا من أراد عبادته والاقرار بوحدانيته وتصديق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الذى أراد من الاسلام والاقرار والتصديق أضل أعمالهم يقول جعل الله أعمالهم ضلالا على غير هدى وغير رشاد لأنها عملت فى سبيل الشيطان وهى على غير استقامة والذين آمنوا وعملوا الصالحات يقول تعالى ذكره والذين صدقوا الله وعملوا بطاعته واتبعوا أمره ونهيه وآمنوا بما نزل على محمد يقول وصدقوا بالكتاب الذى أنزل الله على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم يقول محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيء ما عملوا من الأعمال فلم يؤاخذهم به ولم يعاقبهم عليه وأصلح بالهم يقول وأصلح شأنهم وحالهم فى الدنيا عند أوليائه وفى الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم فى جنانه وذكر أنه عنى بقوله الذين كفروا الآية أهل مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية أهل المدينة ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن عبد الله بن عباس فى قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قال نزلت فى أهل مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات قال الأنصار وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وأصلح بالهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن عبد الله بن عباس وأصلح بالهم قال أمرهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأصلح بالهم قال شأنهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأصلح بالهم قال أصلح حالهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأصلح بالهم قال حالهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأصلح بالهم قال حالهم والبال كالمصدر مثل الشأن لا يعرف منه فعل ولا تكاد العرب تجمعه الا فى ضرورة شعر فاذا جمعوه قالوا بالات القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الذين كفروا

والحاصل أن قوله وآمنوا بما نزل على محمد بازاء قوله وصدوا عن سبيل الله فأولئك امتنعوا عن اتباع سبيل محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء حثوا أنفسهم على اتباعه فلا جرم حصل لهؤلاء ضد ما حصل لأولئك فأضل الله حسنات أولئك وستر على سيآت هؤلاء وقد أشير الى هذا الحاصل بقوله (ذلك) الاضلال والتكفير بسبب اتباع أولئك الباطل الشيطان وحزبه وأولئك الحق محمدا والقرآن (كذلك) أى مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس) كلهم أمثال أنفسهم أو أمثال المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم وضرب المثل فى الآية هو أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين ولا ريب أن إخباره عن الفريقين بغير تصريح مثل لحالهما وهذا حقيقة ضرب المثل وقيل ان الاضلال مثل لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثل لفوز المؤمنين وقيل ان قوله كذلك لا يستدعى أن يكون هناك مثل مضروب ولكنه لما بين حال الكافر واضلال أعماله وحال المؤمن وتكفير سيآته وبين السبب فيهما كان ذلك نهاية الايضاح فقال كذلك أى مثل ذلك البيان يضرب الله للناس أمثالهم ويبين أحوالهم قال أصحاب النظم لما بين أن عمل الكفار ضلال والانسان حرمته باعتبار عمله نتج من ذلك قوله (فاذا لقيتم الذين كفروا) أى فى دار الحرب أو فى القتال (فضرب الرقاب) وأصله فاضربوا الرقاب ضربا

اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى فعلنا بهذين الفريقين من اضلالنا أعمال الكافرين وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات جزاء منا لكل فريق منهم على فعله أما الكافرون فأضللنا أعمالهم وجعلناها على غير استقامة وهدى بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه وهو الباطل كما حدثنى زكريا بن يحيى ابن أبى زائدة وعباس بن محمد قالا ثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرنى خالد أنه سمع مجاهدا يقول ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل قال الباطل الشيطان وأما المؤمنون فكفرنا عنهم سيئاتهم وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحق الذى جاءهم من ربهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان كذلك يضرب الله للناس أمثالهم يقول عز وجل كما بينت لكم أيها الناس فعلى بفريق الكفر والايمان كذلك نمثل للناس الأمثال ونشبه لهم الأشباه فنلحق بكل قوم من الامثال أشكالا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ يقول تعالى ذكره لفريق الايمان به وبرسوله فاذا لقيتم الذين كفروا بالله ورسوله من أهل الحرب فاضربوا رقابهم وقوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق يقول حتى اذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم فصاروا فى أيديكم أسرى فشدوا الوثاق يقول فشدوهم فى الوثاق كيلا يقتلوكم فيهربوا منكم وقوله فاما منا بعد واما فداء يقول فاذا أسرتموهم بعد الاثخان فاما أن تمنوا عليهم بعد ذلك باطلاقكم اياهم من الاسر وتحرروهم بغير عوض ولا فدية واما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضا حتى تطلقوهم وتخلوا لهم السبيل * واختلف أهل العلم فى قوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فقال بعضهم هو منسوخ نسخه قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغانى قالا ثنا ابن المبارك عن ابن جريج أنه كان يقول فى قوله فاما منا بعد واما فداء نسخها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى فاما منا بعد واما فداء قال نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاما منا بعد واما فداء نسخها قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا لقيتم الذين كفروا الى قوله واما فداء كان المسلمون اذا لقوا المشركين قاتلوهم فاذا أسروا منهم أسيرا فليس لهم الا أن يفادوه أو يمنوا عليه ثم يرسلوه فنسخ ذلك بعد قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم أى عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذكرون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى قال كتب الى أبى بكر رضى الله عنه فى أسير أسر فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا فقال أبو بكر اقتلوه لقتل رجل من المشركين أحب الى من كذا وكذا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الى آخر الآية قال الفداء منسوخ نسختها فاذا انسلخ الأشهر الحرم الى كل مرصد قال فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة وانسلاخ الأشهر الحرم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله

فاما

الا أنه اختصر للتوكيد لانه بذكر المصدر المنصوب دل على الفعل وكان كالحكم البرهانى وليس ضرب الرقبة مقصودا بالذات ولكنه وقع التعبير عن القتل به لانه أغلب أنواع القتل ولما فى ذكره من التخويف والتغليظ وفيه رد على من زعم أن القتل بل ايلام الحيوان قبيح مطلقا لأنه تخريب البنيان فبين الشرع أن أهل الكفر والطغيان يجب قتلهم لان فيه صلاح نوع الانسان كما أن الطبيب الحاذق يأمر بقطع العضو الفاسد ابقاء على سائر البدن (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشئ الثخين أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى لا يمكنهم النهوض وقد مر فى آخر الانفال (فشدوا الوثاق) وهو بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمراد فأسروهم وشدوهم بالحبال والسيور فاما تمنون منا واما تفدون فداء وهذا مما يلزم فيه حذف فعل المفعول المطلق لانه وقع المفعول تفصيلا لأثر مضمون جملة متقدمة وقال الشافعى للامام أن يختار أحد أربعة أمور هى القتل والاسترقاق والمن وهو الاطلاق من غير عوض والفداء بأسارى المسلمين أو بمال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبى عزة الجهنى وعلى ابن أثال الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وذهب بعض أصحاب الرأى أن الآية منسوخة وأن المن والفداء انما كان يوم بدر فقط وناسخها اقتلوا المشركين وليس للامام الا القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب

فاما منا بعد واما فداء هــذا منسوخ نسخه قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بعــد براءة * وقال آخرون هي محكمة وليست بمنسوخة وقالوا لا يجوز قتل الاسير وانمـا يجوز المنّ عليه والفداء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو عتاب سهل بن حماد قال ثنا خالد بن جعفر عن الحسن قال أتى الحجاج بأسارى فدفع الى ابن عمر رجلا يقتله فقال ابن عمر ليس بهذا أمرنا قال الله عز وجل حتى اذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال(١) الكاسن بدبه فقال الحسن لو كان هذا وأصحابه لابتدروا اليهم حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغاني قالا ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء أنه كان يكره قتل المشرك صبرا قال ويتلو هذه الآية فاما منا بعد واما فداء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال لا تقتل الاسارى الا في الحرب يهيب بهم العدو * قال ثنا ابن ثور عن معمر قال كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل وكان الحسن يكره أن يفادى بالمال * قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبــد العزيز وهو من بني أســد قال ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جيء بأسارى من الترك فأمر بهم أن يسترقوا فقال رجل ممن جاء بهم يا أمير المؤمنين لو كنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتــل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم فقال عمر فدونك فاقتله فقام اليه فقتله * والصواب من القول عندنا في ذلك أن هــذه الآية محكمة غير منسوخة وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بينا في غير موضع في كتابنا انه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المن والفداء والقتل الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى القائمــين بعــده بأمر الأمة وان لم يكن القتل مذكورا في هذه الآية لانه قد أذن بقتلهم في آية أخرى وذلك قوله اقتــلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية بل ذلك كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وســلم كذلك كان يفعل فيمن صار أســيرا في يده من أهــل الحرب فيقتل بعضا ويفادى ببعض ويمنّ على بعض مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبي معيط وقد أتى به أسيرا وقتل بني قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصاروا في يده سلما وهو على فدائهم والمن عليهم قادر وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببــدر ومنّ على ثمــامة بن أثال الحنفي وهو أسـير في يده ولم يزل ذلك ثابتا من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم الى أن قبضه اليه صلى الله عليه وســلم دائما ذلك فيهم وانمــا ذكر جل ثناؤه في هذه الآية المنّ والفداء في الأسارى فخص ذكرهما فيها لأن الامر بقتلهما والاذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر آي تنزيله مكررا فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكر في هذه الآية من المنّ والفداء ماله فيهم مع القتل وقوله حتى تضع الحرب أوزارها يقول تعالى ذكره فاذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهــم وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها المشركين بالله بأن يتوبوا الى الله من شركهــم فيؤمنوا به وبرسوله ويطيعوه في أمره ونهيــه فذلك وضع الحرب أوزارها وقيل حتى تضع الحرب أوزارها والمعنى حتى تلقى الحرب أوزار أهلها وقيل معنى ذلك حتى يضع المحارب أوزاره وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حتى تضع الحرب أوزارها قال حتى يخرج عيسى بن مريم فيسلم كل يهودي ونصراني وصاحب ملة وتأمن الشاة من الذئب ولا تقرض فأرة جرابا وتذهب العداوة من الاشياء كلها ذلك ظهور الاسلام على الدين كله وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دما اذا وضعها

وقوله (حتى تضع) يتعلق بالضرب والشدّ أو بالمنّ والفداء والمراد عند الشافعي أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وأوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الحرب الا بها قال الأعشى

وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

فاذا انقضت الحرب فكأنها وضعت أسبابها وقيل أوزارها آثامها والمضاف محذوف أي حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا وعلى هــذا جاز أن يكون الحرب جمع حارب كالصحب جمع صاحب فلا يحتاج الى تقــدير المضاف وفسر بعضهم وضع الحرب أوزارها بنزول عيسى عليه السلام عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى عليه السلام اماما هاديا وحكما عدلا يكسر الصليب ويقتــل الخنزير وتضع الحرب أوزارها حتى تدخل كلمة الاخلاص كل بيت من وبر ومدر وعند أبي حنيفــة اذا علق بالضرب والشدّ فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك اذا لم تبق شوكة للمشركين واذا علق بالمنّ والفداء فالحرب معهودة وهي حرب بدر ثم بين أنه منزه في الانتقام من الكفار عن الاســتعانة بأحد فقال (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) بغير قتال أو بتسليط الملائكة أو أضعف خلقه عليهم (ولكن) أمركم بقتالهم (ليبلو بعضكم ببعض) فيمتحن المؤمنين بالكافرين هل يجاهدون

(١) كذا في الخط بغير نقط وحرر

اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ يقول تعالى
ذكره هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من اضلالنا أعمال الكافرين وتكفيرنا عن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جزاء منا لكل فريق منهم على فعله أما الكافرون فأضللنا أعمالهم وجعلناها على
غير استقامة وهدى بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه وهو الباطل كما حدثني زكريا بن يحيى
ابن أبي زائدة وعباس بن محمد قالا ثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرني خالد أنه سمع مجاهدا
يقول ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل قال الباطل الشيطان وأما المؤمنون فكفرنا عنهم سيئاتهم
وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحق الذي جاءهم من ربهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم
به من عند ربه من النور والبرهان كذلك يضرب الله للناس أمثالهم يقول عز وجل كما بينت لكم
أيها الناس فعلي بفريق الكفر والايمان كذلك نمثل للناس الأمثال ونشبه لهم الأشباه فنلحق بكل
قوم من الامثال أشكالا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك
ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾
يقول تعالى ذكره لفريق الايمان به وبرسوله فاذا لقيتم الذين كفروا بالله ورسوله من أهل الحرب
فاضربوا رقابهم وقوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق يقول حتى اذا غلبتموهم وقهرتم من
لم تضربوا رقبته منهم فصاروا في أيديكم أسرى فشدوا الوثاق يقول فشدوهم في الوثاق كيلا يقتلوكم
فيهربوا منكم وقوله فاما منا بعد واما فداء يقول فاذا أسرتموهم بعد الاثخان فاما أن تمنوا عليهم بعد
ذلك باطلاقكم اياهم من الاسر وتحرروهم بغير عوض ولا فدية واما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من
أنفسهم عوضا حتى تطلقوهم وتخلوا لهم السبيل * واختلف أهل العلم في قوله حتى اذا أثخنتموهم
فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فقال بعضهم هو منسوخ نسخه قوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد
وابن عيسى الدامغاني قالا ثنا ابن المبارك عن ابن جريج أنه كان يقول في قوله فاما منا بعد واما فداء
نسخها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا
سفيان عن السدي فاما منا بعد واما فداء قال نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا
محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاما منا بعد واما فداء نسخها قوله فاما
تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
فاذا لقيتم الذين كفروا الى قوله واما فداء كان المسلمون اذا لقوا المشركين قاتلوهم فاذا أسروا منهم
أسيرا فليس لهم الا أن يفادوه أو يمنوا عليه ثم يرسلوه فنسخ ذلك بعد قوله فاما تثقفنهم في الحرب
فشرد بهم من خلفهم أي عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذكرون حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري قال كتب الى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أسر
فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا فقال أبو بكر اقتلوه لقتل رجل من المشركين أحب الي من كذا وكذا
حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا
لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الى آخر الآية قال الفداء منسوخ نسختها فاذا انسلخ الأشهر الحرم
الى كل مرصد قال فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة وانسلاخ الأشهر الحرم
حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله

الا أنه اختصر للتوكيد لانه بذكر
المصدر المنصوب دل على الفعل
وكان كالحكم البرهاني وليس ضرب
الرقبة مقصودا بالذات ولكنه
وقع التعبير عن القتل به لانه أغلب
أنواع القتل ولما في ذكره من
التخويف والتغليظ وفيه رد على
من زعم أن القتل بل ايلام الحيوان
قبيح مطلقا لأنه تخريب البنيان فبين
الشرع أن أهل الكفر والطغيان
يجب قتلهم لان فيه صلاح نوع
الانسان كما أن الطبيب الحاذق
يأمر بقطع العضو الفاسد ابقاء على
سائر البدن (حتى اذا أثخنتموهم)
أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشئ
الثخين أو أثقلتموهم بالقتل
والجراح حتى لا يمكنهم النهوض
وقد مر في آخر الانفال (فشدوا
الوثاق) وهو بالفتح والكسر اسم
ما يوثق به والمراد فأسروهم وشدوهم
بالحبال والسيور فاما تمنون منا
واما تفدون فداء وهذا مما يلزم فيه
حذف فعل المفعول المطلق لانه
وقع المفعول تفصيلا لأثر مضمون
جملة متقدمة وقال الشافعي للامام
أن يختار أحد أربعة أمور هي القتل
والاسترقاق والمن وهو الاطلاق
من غير عوض والفداء بأسارى
المسلمين أو بمال لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من على أبي عروة
الجهني وعلى ابن أثال الحنفي وفادى
رجلا برجلين من المشركين وذهب
بعض أصحاب الرأي أن الآية
منسوخة وأن المن والفداء انما كان
يوم بدر فقط وناسخها اقتلوا المشركين
وليس للامام الا القتل أو الاسترقاق
وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء
انما هو الاسلام أو ضرب العنق

فامامنا بعد واما فداء هــذا منسوخ نسخه قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بعــد براءة * وقال آخرون هي محكمة وليست بمنسوخة وقالوا لا يجوز قتل الاسير وانما يجوز المنّ عليه والفداء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو عتاب سهل بن حماد قال ثنا خالد بن جعفر عن الحسن قال أتى الحجاج بأسارى فدفع الى ابن عمر رجلا يقتله فقال ابن عمر ليس بهذا أمرنا قال الله عز وجل حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فامامنا بعد واما فداء قال (١) السكاىن ىدىه فقال الحسن لوكان هذا وأصحابه لابتدروا اليهم حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغانى قالا ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء أنه كان يكره قتل المشرك صبرا قال و يتلو هذه الآية فامامنا بعد واما فداء حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال لا تقتل الاسارى الا فى الحرب يهيب بهم العدو * قال ثنا ابن ثور عن معمر قال كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل وكان الحسن يكره أن يفادى بالمال * قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبــد العزيز وهو من بنى أســد قال ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جىء بأسارى من الترك فأمر بهم أن يسترقوا فقال رجل ممن جاء بهم يا أمير المؤمنين لوكنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتــل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم فقال عمر فدونك فاقتله فقام اليه فقتله * والصواب من القول عندنا فى ذلك أن هــذه الآية محكمة غير منسوخة وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بينا فى غير موضع فى كتابنا انه ما لم يجز اجتماع حكميهما فى حال واحدة أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار فى المن والفداء والقتل الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى القائمــين بعــده بأمر الأمة وان لم يكن القتل مذكورا فى هذه الآية لانه قد أذن بقتلهم فى آية أخرى وذلك قوله اقتــلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية بل ذلك كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وســلم كذلك كان يفعل فيمن صار أســيرا فى يده من أهــل الحرب فيقتل بعضا و يفادى ببعض و يمنّ على بعض مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبى معيط وقد أتى به أسيرا وقتل بنى قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصاروا فى يده سلما وهو على فدائهم والمن عليهم قادر وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببــدر ومنّ على ثمــامة بن أثال الحنفى وهو أســير فى يده ولم يزل ذلك ثابتا من سيره فى أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم الى أن قبضه اليه صلى الله عليه وســلم دائما ذلك فيهم وانمــا ذكر جل ثناؤه فى هذه الآية المنّ والفداء فى الأسارى فخص ذكرهما فيها لأن الامر بقتلهما والاذن منه بذلك قد كان تقدم فى سائر آى تنزيله مكررا فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكر فى هذه الآية من المنّ والفداء ماله فيهم مع القتل وقوله حتى تضع الحرب أوزارها يقول تعالى ذكره فاذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهــم وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها المشركين بالله بأن يتوبوا الى الله من شركهــم فيؤمنوا به و برسوله و يطيعوه فى أمره ونهيــه فذلك وضع الحرب أوزارها وقيل حتى تضع الحرب أوزارها والمعنى حتى تلقى الحرب أوزار أهلها وقيل معنى ذلك حتى يضع المحارب أوزاره و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حتى تضع الحرب أوزارها قال حتى يخرج عيسى بن مريم فيسلم كل يهودى ونصرانى وصاحب ملة وتأمن الشاة من الذئب ولا تقرض فأرة جرابا وتذهب العداوة من الاشياء كلها ذلك ظهور الاسلام على الدين كله و ينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دما اذا وضعها

وقوله (حتى تضع) يتعلق بالضرب والشدّ أو بالمنّ والفداء والمراد عند الشافعى أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وأوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لا تقوم الحرب الا بها قال الأعشى

وأعددت للحرب أوزارها ☆ رماحا طوالا وخيلا ذكورا

فاذا انقضت الحرب فكأنها وضعت أسبابها وقيــل أوزارهــا آثامها والمضاف محــذوف أى حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا وعلى هــذا جاز أن يكون الحرب جمع حارب كالصحب جمع صاحب فلا يحتاج الى تقــدير المضاف وفسر بعضهم وضع الحرب أوزارها بنزول عيسى عليه السلام عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى عليه الســلام اماما هاديا وحكما عدلا يكسر الصليب و يقتــل الخنزير وتضع الحرب أوزارها حتى تدخل كلمة الاخلاص كل بيت من وبر ومدر وعند أبى حنيفــة اذا علق بالضرب والشدّ فالمعنى أنهم يقتلون و يؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك اذا لم تبق شوكة للمشركين واذا علق بالمنّ والفداء فالحرب معهودة وهى حرب بدر ثم بين أنه منزه فى الانتقام من الكفار عن الاســتعانة بأحد فقال (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) بغير قتال أو بتسليط الملائكة أو أضعف خلقه عليهم (ولكن) أمركم بقتالهم (ليبلو بعضكم ببعض) فيمتحن المؤمنين بالكافرين هل يجاهدون

(١) كذا فى الخط بغير نقط وحرر

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى تضع الحرب أوزارها حتى لا يكون شرك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة حتى تضع الحرب أوزارها قال حتى لا يكون شرك * ذكر من قال عنى بالحرب فى هذا الموضع المحاربون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة حتى تضع الحرب أوزارها قال الحرب من كان يقاتلهم سماهم حربا وقوله ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم يقول تعالى ذكره هذا الذى أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين اذا لقيتموهم فى حرب وشدهم وثاقا بعد قهرهم وأسرهم والمنّ والفداء حتى تضع الحرب أوزارها هو الحق الذى ألزمكم ربكم ولو يشاء ربكم ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة وكفاكم ذلك كله ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم وعقوبتهم عاجلا الا بأيديكم أيها المؤمنون ليبلو بعضكم ببعض يقول ليختبركم بهم فيعلم المجاهدين منكم والصابرين ويبلوهم بكم فيعاقب بأيديكم من شاء منهم ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب الى الحق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو يشاء الله لانتصر منهم إى والله بجنوده الكثيرة كل خلقه له جند ولو سلط أضعف خلقه لكان جندا وقوله والذين قاتلوا فى سبيل الله اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة والذين قاتلوا بمعنى حاربوا المشركين وجاهدوهم بالألف وكان الحسن البصرى فيما ذكر عنه يقرؤه قتلوا بضم القاف وتشديد التاء بمعنى أنه قتلهم المشركون بعضهم بعد بعض غير أنه لم يسم الفاعلون وذكر عن الجحدرىّ عاصم أنه كان يقرؤه قتلوا بفتح القاف وتخفيف التاء بمعنى والذين قتلوا المشركين بالله وكان أبو عمرو يقرؤه والذين قتلوا بضم القاف وتخفيف التاء بمعنى والذين قتلهم المشركون ثم أسقط الفاعلين فجعلهم لم يسم فاعل ذلك بهم * وأولى القراآت بالصواب قراءة من قرأه والذين قاتلوا لاتفاق الحجة من القراء وان كان لجميعها وجوه مفهومة واذ كان ذلك أولى القراآت عندنا بالصواب فتأويل الكلام والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار فى دين الله وفى نصرة ما بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى فجاهدوهم فى ذلك فلن يضل أعمالهم فلن يجعل الله أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ضلالا عليهم كما أضل أعمال الكافرين وذكر أن هذه الآية عنى بها أهل أحد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون يومئذ أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم ان الحرب سجال ان لنا عزّى ولا عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففى النار يعذبون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم قال الذين قتلوا يوم أحد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرّفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ يقول تعالى ذكره سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويحب هؤلاء الذين قاتلوا فى سبيله ويصلح بالهم ويصلح أمرهم وحالهم فى الدنيا والآخرة ويدخلهم الجنة عرفها لهم يقول ويدخلهم الله جنته عرفها يقول عرفها وبينها لهم حتى ان الرجل ليأتى منزله منها اذا دخلها كما كان يأتى منزله فى الدنيا لا يشكل عليه ذلك كما حدثنا ابن عبد الاعلى

قال

فى سبيله حق الجهاد أم لا ويبتلى الكافرين بالمؤمنين هل يذعنون للحق أم لا الزاما للحجة وقطعا للعاذير ومعنى الابتلاء من الله سبحانه قد مر مرارا أنه مجاز أى يعاملهم معاملة المختبر أو ليظهر الأمر لغيره من الملائكة أو الثقلين ثم وعد الشهداء والمجاهدين بقوله (والذين قتلوا) أو قاتلوا على القراءتين (فلن يضل أعمالهم) خلاف الكفرة (سيهديهم) الى الثواب ويثبتهم على الهداية (ويصلح بالهم) أمر معاشهم فى المعاد أو فى الدنيا وكرر لأن الأول سبب النعيم والثانى نفس النعيم (ويدخلهم الجنة عرّفها لهم) جعل كل واحد بحيث يعرف ماله فى الجنة كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا وعن مقاتل يعرفها لهم الحفظة وعسى أنه عرفها بوصفها فى القرآن وقيل طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة ثم حث على نصرة دين الله بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دينه أو رسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواقف الحرب أو على جادة الشريعة (والذين كفروا) حالهم بالضد يقال تعسا له فى الدعاء عليه بالعثار والتردى عن ابن عباس هو فى الدنيا القتل وفى الآخرة الهوىّ فى جهنم وهو من المصادر التى يجب حذف فعلها سماعا والتقدير أتعسهم الله فتعسوا تعسا ولهذا عطف عليه قوله (وأضل أعمالهم) ثم بين سبب بقائهم على الكفر والضلال بقوله (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) من القرآن والتكاليف لالفهم بالاهمال واطلاق العنان (فأحبط أعمالهم) التى لا استناد لها

قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن أبي سعيد الخدري قال اذا نجى الله المؤمنين من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا ثم يؤذن لهم بالدخول في الجنة قال فما كان المؤمن بأدل بمنزله في الدنيا منه بمنزله في الجنة حين يدخلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال أي منازلهم فيها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا ابو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال يهتدي أهلها الى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم لا يخطؤن كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال بلغنا عن غير واحد قال يدخل أهل الجنة الجنة ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون اليها في عمر الدنيا قال فتلك قول الله جل ثناؤه ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقوله يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ان تنصروا الله ينصركم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم اياهم معه لتكون كلمته العليا ينصركم عليهم ويظفركم بهم فانه ناصر دينه وأوليائه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تنصروا الله ينصركم لأنه حق على الله أن يعطي من سأله وينصر من نصره وقوله ويثبت أقدامكم يقول ويقوكم عليهم ويجرئكم حتى لا تولوا عنهم وان كثر عددهم وقل عددكم

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله فجحدوا توحيده فتعسا لهم يقول فخزيا لهم وشقاء وبلاء كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين كفروا فتعسا لهم قال شقاء لهم وقوله وأضل أعمالهم يقول وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة لانها عملت في طاعة الشيطان لا في طاعة الرحمن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأضل أعمالهم قال الضلالة التي أضلهم الله لم يهدهم كما هدى الآخرين فان الضلالة التي أخبرك الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء قال وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالا ورد قوله وأضل أعمالهم على قوله فتعسا لهم وهو فعل ماض والتعس اسم لأن التعس وان كان اسما ففي معنى الفعل لما فيه من معنى الدعاء فهو بمعنى أتعسهم الله فلذلك صلح رد أضل عليه لأن الدعاء يجري مجرى الامر والنهي وكذلك قوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق مردودة على أمر مضمر ناصب لضرب وقوله ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله يقول تعالى ذكره هذا الذي فعلنا بهم من الاتعاس واضلال الاعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسخطوه فكذبوا به وقالوا هو سحر مبين وقوله فأحبط أعمالهم يقول فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا وذلك عبادتهم الآلهة لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة بل أوبقهم بها فأصلاهم سعيرا وهذا حكم الله جل جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم كما قال قتادة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله فتعسا لهم قال هي عامة للكفار

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يسر هؤلاء المكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب

الى القرآن أو السنة ثم هددهم بحال الأقدمين وهو ظاهر ودمر عليه ويقال دمره فالثاني الاهلاك مطلقا والاول اهلاك ما يختص به من نفسه وماله وولده وغيره (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة أو العقوبة والأول مذكور والثاني مفهوم بدلالة التدمير فان كان المراد الدعاء عليهم فاللام للعهد وهم كفار قريش ومن ينخرط في سلكهم وان كان المراد الاخبار جاز أن يراد هؤلاء والقتل والاسر نوع من التدمير وجاز أن يراد الكفار الاقدمون (ذلك) النصر والتعس (بأن الله مولى الذين آمنوا) أي وليهم وناصرهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) بمعنى النصرة والعناية وأما بمعنى الربوبية والمالكية فهو مولى الكل لقوله وردوا الى الله مولاهم الحق ثم برهن على الحكم المذكور وهو أن ولايته مختصة بالمؤمنين فقال (ان الله يدخل) الآية فشبه الكافرين بالأنعام من جهة أن الكافر غرضه من الحياة التنعم والأكل وسائر الملاذ لا التقوى والتوسل بالغذاء الى الطاعة وعمل الآخرة ومن جهة أنه لا يستدل بالنعم على خالقها ومن جهة غفلتهم عن مآل حالهم وأن النار مثوى لهم ثم زاد في تهديد قريش بقوله (وكأين من قرية) أي أهل قرية هم (أشد قوة من) أهل (قريتك التي أخرجتك) تسببوا لخروجك وقوله (فلا ناصر لهم) حكاية تلك الحال كقوله وكلبهم باسط ثم بين الفرق بين أهل الحق وحزب الشيطان بقوله على طريق الانكار (أفمن كان على بينة) معجزة ظاهرة وحجة باهرة (من ربه) يريد محمدا وأمته قوله (واتبعوا)

في الارض سفرا وانما هذا توبيخ من الله لهم لأنهم قدكانوا يسافرون الى الشام فيرون نقمة الله التي أحلها بأهل حجر ثمود ويرون في سفرهم الى اليمن ما أحل الله بسبا فقال لنبيه عليه السلام وللمؤمنين به أفلم يسر هؤلاء المشركون سفرا في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الامم المكذبة رسلها الرادّة نصائحها ألم نهلكها فندمر عليها منازلها ونخرّبها فيتعظوا بذلك ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم اياه فينيبوا الى طاعة الله في تصديقك ثم توعدهم جل ثناؤه وأخبرهم انهم أقاموا على تكذيبهم رسوله أنه محل بهم من العذاب ما أحل بالذين كانوا من قبلهم من الامم فقال وللكافرين أمثالها يقول وللكافرين من قريش المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب العاجل أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وللكافرين أمثالها قال مثل ما دمرت به القرون الاولى وعيد من الله لهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ يقول تعالى ذكره هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين فريق الايمان وفريق الكفر من نصرتنا فريق الايمان بالله وتثبيتنا أقدامهم وتدميرنا على فريق الكفر بأن الله مولى الذين آمنوا يقول من أجل أن الله ولي من آمن به وأطاع رسوله كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا قال وليهم وقد ذكرنا أن ذلك في قراءة عبد الله ذلك بأن الله ولي الذين آمنوا وأن التي في المائدة التي هي في مصاحفنا انما وليكم الله ورسوله انما مولاكم الله في قراءته وقوله وأن الكافرين لا مولى لهم يقول وبأن الكافرين بالله لا ولي لهم ولا ناصر وقوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يقول تعالى ذكره ان الله له الالوهة التي لا تنبغي لغيره يدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تجري من تحت أشجارها الانهار يفعل ذلك بهم تكرمة على ايمانهم به وبرسوله وقوله والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام يقول جل ثناؤه والذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدية لهم الى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك وغير معرفة مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها الا في الاعتلاف دون غيره والنار مثوى لهم يقول جل ثناؤه والنار نار جهنم مسكن لهم ومأوى اليها يصيرون من بعد مماتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكأين من قرية هي أشدّ قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ يقول تعالى ذكره وكم يا محمد من قرية هي أشدّ قوة من قريتك يقول أهلها أشدّ بأسا وأكثر جمعا وأعدّ عديدا من أهل قريتك وهي مكة وأخرج الخبر عن القرية والمراد به أهلها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكأين من قرية هي أشدّ قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم قال هي مكة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وكأين من قرية هي أشدّ قوة من قريتك قال

محمول على معنى من وهو تأكيد للتزيين كما أن كون البينة من الرب تأكيد لها وحين أثبت الفرق بين الفريقين أراد أن يبين الفرق بين جزائهما فقال (مثل الجنة) أي صفتها العجيبة الشأن وفي اعرابه وجهان أحدهما ما مر في الوقوف والثاني قول الزمخشري في الكشاف انه على حذف حرف الاستفهام والتقدير أمثل الجنة وأصحابها كمثل جزاء من هو خالد في النار أو كمثل من هو خالد وفائدة التعرية عن حروف الاستفهام زيادة تصوير مكابرة من يسوي بين الفريقين وقوله (فيها أنهار) كالبدل من الصلة أو حال والآسن المتغير اللون أو الريح أو الطعم ومصدره الأسون والنعت آسن (١) مقصورا واللذة صفة أو مصدر وصف به كما مر في الصافات والباقي ظاهر قال بعض علماء التأويل لا شك أن الماء أعم نفعا للخلائق من اللبن والخمر والعسل فهو بمنزلة العلوم الشرعية لعموم نفعها للمكلفين كلهم وأما اللبن فهو ضروري للناس كلهم ولكن في أول التربية والنماء فهو بمنزلة العلوم الغريزية الفطرية وأما الخمر والعسل فليسا من ضرورات التعيش فهما بمنزلة العلوم الحقيقية السببية الا أن الخمر يمكن أن تخص بالعلوم الذوقية والعسل بسائرها وقد يدور في الخلد أن هذه الانهار الاربعة يمكن أن تحمل على المراتب الانسانية الاربع فالعقل الهيولاني بمنزلة الماء لشموله وقبوله الآثار والعقل بالملكة بمنزلة اللبن لكونه ضروريا في أول النشوء والتربية والعقل بالفعل بمنزلة الخمر فان حصوله ليس بضروري

(١) لعله ممدودا أو في الكلام سقط تأمل كتبه مصححه

قريته مكة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن حبيش عن عكرمة
عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار أراه قال التفت الى مكة فقال
أنت أحب بلاد الله الى الله وأنت أحب بلاد الله اليّ فلو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك
فأعتى الأعداء من عتا على الله في حرمه أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية فأنزل الله تبارك
وتعالى وكأين من قرية هي أشدّ قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم وقال جل ثناؤه
أخرجتك فأخرج الخبر عن القرية فلذلك أنث ثم قال أهلكناهم لأن المعنى في قوله أخرجتك
ما وصفت من أنه أريد به أهل القرية فأخرج الخبر مرة على اللفظ ومرة على المعنى وقوله فلا ناصر
لهم فيه وجهان من التأويل أحدهما أن يكون معناه وان كان قد نصب الناصر بالتبرئة فلم يكن لهم
ناصر وذلك أن العرب قد تضمر كان أحيانا في مثل هذا والآخر أن يكون معناه فلا ناصر لهم الآن
من عذاب الله ينصرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له
سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ يقول تعالى ذكره أفمن كان على برهان وحجة وبيان من أمر ربه والعلم
بوحدانيته فهو يعبده على بصيرة منه بأن له ربا يجازيه على طاعته اياه الجنة وعلى اساءته ومعصيته
اياه النار كمن زين له سوء عمله يقول كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه فأراه جميلا فهو على
العمل به مقيم واتبعوا أهواءهم يقول واتبعوا ما دعتهم اليه أنفسهم من معصية الله وعبادة الأوثان
من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة وقيل ان الذي عنى بقوله أفمن كان
على بينة من ربه نبينا عليه السلام وان الذي عنى بقوله كمن زين له سوء عمله هم المشركون
۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن
لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة
من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾ يقول تعالى ذكره صفة الجنة
التي وعدها المتقون وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فيها أنهار من
ماء غير آسن يقول تعالى ذكره في هذه الجنة التي ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح يقال منه قد أسن
ماء هذه البئر اذا تغيرت ريح مائها فأنتنت فهو يأسن أسنا وكذلك يقال للرجل اذا أصابته ريح
منتنة قد أسن فهو يأسن وأما اذا أجن الماء وتغير فانه يقال له أسن فهو يأسن ويأسن أسونا
وماء آسن * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله من ماء غير آسن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله فيها أنهار
من ماء غير آسن يقول غير متغير حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
في قوله أنهار من ماء غير آسن قال من ماء غير منتن حدثني عيسى بن عمرو قال أخبرنا ابراهيم بن
محمد قال ثنا مصعب بن سلام عن سعد بن طريف قال سألت أبا اسحق عن ماء غير آسن قال
سألت عنها الحرث فحدثني أن الماء الذي غير آسن تسنيم قال بلغني أنه لا تمسه يد وأنه يجيء الماء
هكذا حتى يدخل في فيه وقوله وأنهار من لبن لم يتغير طعمه يقول تعالى ذكره وفيها أنهار من لبن
لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع ولكنه خلقه الله ابتداء
في الأنهار فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه وقوله وأنهار من خمر لذة للشاربين يقول وفيها أنهار
من خمر لذة للشاربين يلتذون بشربها كما حدثني عيسى قال ثنا ابراهيم بن محمد قال ثنا
مصعب عن سعد بن طريف قال سألت عنها الحرث فقال لم تدسه المجوس ولم ينفخ فيه الشيطان
ولم تؤذها شمس ولكنها (٣) فوحاء قال قلت لعكرمة ما الفوحاء قال الصفراء وكما حدثني سعد بن

لجميع الانسان الا أنه اذا حصل
وكان الشخص ذاهلا عنه غير
ملتفت اليه كان كالخمر الموجب
للغفلة وعدم الحضور والعقل
المستفاد بمنزلة العسل من جهة لذته
ومن جهة شفائه لمرض الجهل
ومن قبل ثباته في المذاق للزوجته
ودسومته والتصاقه والله تعالى أعلم
بمراده وقوله (ومغفرة من ربهم)
ان قدر ولهم مغفرة من الله قبل ذلك
فلا اشكال وان قدر لهم فيها مغفرة
أمكن أن يقال انهم مغفورون قبل
دخول الجنة فما معنى الغفران
بعد ذلك والجواب أن المراد رفع
التكليف يأكلون من غير حساب
ولا تبعة وآفة بخلاف الدنيا فان
حلالها حساب وحرامها عذاب
ثم ذكر نوعا آخر من قبيح خصال
الكافرين وقيل أراد المنافقين فقال
(ومنهم من يستمع اليك) كانوا
يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم والجمعات ويسمعون كلامه
ولا يعونه كما يعيه المسلم (حتى اذا
خرجوا) انصرفوا وخرج المسلمون
(من عندك) يا محمد قال المنافقون
للعلماء وهم بعض الصحابة كابن
عباس وابن مسعود وأبي الدرداء
أيّ شيء قال محمد (آنفا) أي في ساعتنا
هذه وأنف كل شيء ما تقدمه ومنه
قولهم استأنفت الامر ابتدأته ولا
يستعمل منه فعل ثلاثي بهذا المعنى
وانما توجه الذم عليهم لأن سؤالهم
سؤال استهزاء واعلام انهم لم يلتفتوا
الى قوله ولو كان سؤال بحث عما
لم يفهموه لم يكن كذلك على أن عدم
الفهم دليل قلة الاكتراث بقوله
ثم مدح أهل الحق بقوله (والذين
اهتدوا) بالايمان (زادهم) الله (هدى)

عبدالله بن عبدالحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله من
لبن لم يتغير طعمه قال لم يحلب وخفضت اللذة على النعت للخمر ولو جاءت رفعا على النعت للأنهار
جاز أو نصبا على يتلذذ بها لذة كما يقال هذا لك هبة كان جائزا فأما القراءة فلا أستجيزها فيها
الا الخفض لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله وأنهار من عسل مصفى يقول وفيها أنهار من عسل
قد صفى من القذى وما يكون فى عسل أهل الدنيا قبل التصفية وانما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه
ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق فى الانهار ابتداء سائلا جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها فهو
من أجل ذلك مصفى قد صفاه الله من الأقذاء التى تكون فى عسل أهل الدنيا الذى لا يصفو من
الاقذاء الا بعد التصفية لأنه كان فى شمع فصفى منه وقوله ولهم فيها من كل الثمرات يقول تعالى
ذكره ولهؤلاء المتقين فى هذه الجنة من هذه الانهار التى ذكرنا من جميع الثمرات التى تكون على
الأشجار ومغفرة من ربهم يقول وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التى أذنبوها فى الدنيا ثم تابوا منها
وصفح منه لهم عن العقوبة عليها وقوله كمن هو خالد فى النار يقول تعالى ذكره أمن هو فى هذه الجنة
التى صفتها ما وصفنا كمن هو خالد فى النار وابتدئ الكلام بصفة الجنة فقيل مثل الجنة التى وعد
المتقون ولم يقل أمن هو فى الجنة ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها كمن هو خالد فى النار
وانما قيل ذلك كذلك استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام ولدلالة قوله كمن هو خالد فى النار على
معنى قوله مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله وسقوا ماء حميما يقول تعالى ذكره وسقى هؤلاء الذين
هم خلود فى النار ماء قد انتهى حره فقطع ذلك الماء من شدة حره أمعاءهم كما حدثنى محمد بن خلف
العسقلانى قال ثنا حيوة بن شريح الحمصى قال ثنا بقية عن صفوان بن عمرو قال ثنى
عبيدالله بن بشر عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ويسقى من ماء
صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شرب
قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال يقول الله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم يقول الله عزوجل
يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومنهم من يستمع
اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على
قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء الكفار يا محمد من يستمع اليك وهو المنافق
فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه تهاونا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك وتغافلا عما تقوله
وتدعو اليه من الايمان حتى اذا خرجوا من عندك قالوا اعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك
من أهل العلم بكتاب الله وتلاوتك عليهم ما تلوت وقيلك لهم ما قلت أنهم لن يصغوا أسماعهم
لقولك وتلاوتك ماذا قال لنا محمد آنفا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك هؤلاء المنافقون دخل رجلان رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل
لم يعقل عن الله فلم ينتفع بما سمع كان يقال الناس ثلاثة فسامع عامل وسامع غافل وسامع تارك
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومنهم من يستمع اليك قال هم
المنافقون وكان يقال الناس ثلاثة سامع فعامل وسامع فغافل وسامع فتارك حدثنا أبو كريب
قال ثنا يحيى بن آدم قال ثنا شريك عن عثمان أبى اليقظان عن يحيى بن الجزار أو سعيد بن
جبير عن ابن عباس فى قوله حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا قال
ابن عباس أنا منهم وقد سئلت فيمن سئل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

بالتوفيق والتثبيت وشرح الصدر
ونور اليقين (وآتاهم تقواهم) أعانهم
عليها أو أعطاهم جزاء تقواهم وعن
السدى بين لهم ما يتقون وقيل
الضمير فى زادهم للاستهزاء أو لقول
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خوف
أهل الكفر والنفاق باقتراب القيامة
وقوله (أن تأتيهم) بدل اشتمال من
الساعة واشراط الساعة أماراتها من
انشقاق القمر وغيره ومنه مبعث محمد
صلى الله عليه وسلم فانه نبى آخر
الزمان ولهذا قال بعثت أنا والساعة
كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى
(فأنى لهم) من أين لهم (اذا جاءتهم)
الساعة (ذكراهم) أى لا ينفعهم
تذكرهم وايمانهم حينئذ فالذكرى
مبتدأ وأنى لهم الخبر وقيل فاعل
جاءتهم ضمير يعود الى الذكرى وجوز
أن يرتفع الذكرى بالفعل والمبتدأ
مقدر أى من أين لهم التذكر اذا
جاءتهم الذكرى والقول هو الاول
ولله المرجع والمآب واليه المصير
﴿فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله
يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين
آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت
الذين فى قلوبهم مرض ينظرون
اليك نظر المغشى عليه من الموت
فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا
عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا
لهم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا
فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك
الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى
أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم
على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا
على أدبارهم من بعد ما تبين لهم
الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم

في قوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون والذين أوتوا العلم الصحابة رضى الله عنهم وقوله أولئك الذين طبع الله على قلوبهم يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يهتدون للحق الذى بعث الله به رسوله عليه السلام واتبعوا أهواءهم يقول ورفضوا أمر الله واتبعوا ما دعتهم اليه أنفسهم فهم لا يرجعون مما هم عليه الى حقيقة ولا برهان وسوّى جل ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين فى أن جميعهم انما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله الذى ابتعث به محمدا صلى الله عليه وسلم أهواءهم فقال فى هؤلاء المنافقين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم وقال فى أهل الكفر به من أهل الشرك كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين وفقهم الله لاتباع الحق وشرح صدورهم للايمان به وبرسوله من الذين استمعوا اليك يا محمد فان ما تلوته عليهم وسمعوه منك زادهم هدى يقول زادهم الله بذلك ايمانا الى ايمانهم وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله الى البيان الذى كان عندهم وقد ذكر أن ذلك الذى تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فقال أهل النفاق منهم لأهل الايمان ماذا قال آنفا وزاد الله أهل الهدى منهم هدى كان بعض ما أنزل الله من القرآن ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضى به قبل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم قال لما أنزل الله القرآن آمنوا به فكان هدى فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى وقوله وآتاهم تقواهم يقول تعالى ذكره وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم وذلك استعماله اياهم تقواهم اياه وقوله فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها يقول تعالى ذكره فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التى وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها والمعنى هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا أن تأتيهم بغتة وأن من قوله الا أن فى موضع نصب بالرد على الساعة وعلى فتح الألف من أن تأتيهم ونصب تأتيهم بها قراءة أهل الكوفة وقد حدثت عن الفراء قال حدثنى أبو جعفر الرواسى قال قلت لأبى عمرو بن العلاء ما هذه الفاء التى فى قوله فقد جاء أشراطها قال جواب الجزاء قال قلت انها أن تأتيهم قال فقال معاذ الله انما هى ان تأتهم قال الفراء فظننت أنه أخذها عن أهل مكة لانه عليهم قرأ قال الفراء وهى أيضا فى بعض مصاحف الكوفيين بسنة واحدة تأتهم ولم يقرأ بها أحد منهم وتأويل الكلام على قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف ان وجزم تأتهم فهل ينظرون الا الساعة فيجعل الخبر عن انتظار هؤلاء الكفار الساعة متناهيا عند قوله الا الساعة ثم يبتدأ الكلام فيقال ان تأتهم الساعة بغتة فقد جاء أشراطها فتكون الفاء من قوله فقد جاء بجواب الجزاء وقوله فقد جاء أشراطها يقول فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدماتها وواحد الأشراط شرط كما قال جرير

ترى شرط المعزى مهور نسائهم * وفى شرط المعزى لهن مهور

ويروى ترى قدم المعزى يقال منه أشرط فلان نفسه اذا علمها بعلامة كما قال أوس بن حجر

فأشرط فيها نفسه وهو معصم * وألقى بأسباب له وتوكلا

ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ۞ القراآت وتقطعوا بالتخفيف من القطع سهل ويعقوب الآخرون بالتشديد من التقطيع وأملى لهم مبنيا للمفعول ماضيا أبو عمرو ويعقوب وأملى مضارعا مبنيا للفاعل سهل ورويس الباقون ماضيا مبنيا للفاعل اسرارهم بكسر الهمز على المصدر حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فقد جاء أشراطها يعنى أشراط الساعة
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم
بغتة قد دنت الساعة ودنا من الله فراغ للعباد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله فقد جاء أشراطها قال أشراطها آياتها وقوله فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يقول تعالى
ذكره فمن أى وجه لهؤلاء المكذبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيعوا وفرطوا فيه من طاعة الله اذا
جاءتهم الساعة يقول ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب
ولا استعمال * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يقول اذا جاءتهم الساعة أنى
لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن
قتادة فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم قال أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا اذا جاءتهم الساعة حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم قال الساعة لا ينفعهم
عند الساعة ذكراهم والذكرى فى موضع رفع بقوله فأنى لهم لان تأويل الكلام فأنى لهم ذكراهم
اذا جاءتهم الساعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم يا محمد
أنه لا معبود تنبغى أو تصلح له الالوهة ويجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذى هو خالق الخلق
ومالك كل شئ يدين له بالربوبية كل ما دونه واستغفر لذنبك وسل ربك غفران سالف
ذنوبك وحادثها وذنوب أهل الايمان بك من الرجال والنساء والله يعلم متقلبكم ومثواكم يقول
فان الله يعلم متصرفكم فيما تتصرفون فيه فى يقظتكم من الاعمال ومثواكم اذا ثويتم فى مضاجعكم
للنوم ليلا لا يخفى عليه شئ من ذلك وهو مجازيكم على جميع ذلك وقد حدثنا أبو كريب قال
ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا ابراهيم بن سليمن عن عاصم الأحول عن عبد الله بن سرجس
قال أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال رجل من القوم
أستغفر لك يا رسول الله قال نعم ولك ثم قرأ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها
القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة
وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم﴾ يقول تعالى ذكره ويقول الذين
صدقوا الله ورسوله هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار فاذا أنزلت سورة
محكمة يعنى أنها محكمة بالبيان والفرائض وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فاذا أنزلت سورة محدثة
وقوله وذكر فيها القتال يقول وذكر فيها الأمر بقتال المشركين وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنى
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا
أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال قال كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن
على المنافقين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وذكر فيها القتال
قال كل سورة ذكر فيها القتال فهى محكمة وقوله رأيت الذين فى قلوبهم مرض يقول رأيت الذين
فى قلوبهم شك فى دين الله وضعف ينظرون اليك يا محمد نظر المغشى عليه من الموت خوفا أن
تغزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين فهم خوفا من ذلك وتجبنا عن لقاء العدو ينظرون اليك

نظر

وليبلونكم حتى يعلم ويبلو بالياآت
أبو بكر وحماد الآخرون بالنون
فى الكل وقرأ يعقوب ونبلو بالنون
مرفوعا السلم بكسر السين حمزة
وخلف وأبو بكر وحماد ۞ الوقوف
والمؤمنات ط ومثواكم ٥ نزلت
سورة ج للشرط مع الفاء القتال لا
الموت ط للابتداء بالدعاء عليهم
لهم ٥ ج لاحتمال أن يكون الأولى
بمعنى الأقرب كما يجئ معروف
قف الامر ز لاحتمال أن التقدير
فاذا عزم الأمر كذبوا وخالفوا
خيرا لهم ٥ ج لابتداء الاستفهام
مع الفاء أرحامكم ٥ أبصارهم ٥
أقفالها ٥ الهدى لا لأن الجملة
بعده خبر ان سول لهم ط لأن فاعل
وأملى ضمير اسم الله ويجوز الوصل
على جعله حالا أى وقد أملى أو على
أن فاعله ضمير الشيطان من حيث
أنه يمنيهم ويعدهم والوقف اجوز
وأعزم والحال على قراءة وأملى بفتح
الياء أجوز والوقف به جائز ومن
سكن الياء فالوقف به أليق لأن
المستقبل لا ينعطف على الماضى
ومع ذلك لو جعل حالا على تقدير
وانا أملى جاز لهم ٥ الامر ج لأن
ما بعده يصلح استئنافا وحالا
والوقف أجوز لان الله يعلم الاسرار
فى الاحوال كلها إسرارهم ٥
وأدبارهم ٥ اعمالهم ٥ أضغانهم
٥ بسيماهم ط للابتداء بما هو
جواب القسم القول ط أعمالكم
٥ والصابرين ط لمن قرأ ونبلو
بسكون الواو أى ونحن نبلو أخباركم
٥ الهدى لا لأن ما بعده خبر ان
شيئا ط أعمالهم ٥ اعمالكم ٥
لهم ٥ الى السلم قف قد قيل على
أن قوله وانتم مبتدأ وجعله حالا

نظر المغشى عليه الذى قد صرع وانما عنى بقوله من الموت من خوف الموت وكان هذا فعل أهل النفاق كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت قال هؤلاء المنافقون طبع الله على قلوبهم فلا يفقهون ما يقول النبى صلى الله عليه وسلم وقوله فأولى لهم يقول تعالى ذكره فأولى لهؤلاء الذين فى قلوبهم مرض وقوله فأولى لهم وعيد توعد الله به هؤلاء المنافقين كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فأولى لهم قال هذه وعيد فأولى لهم ثم انقطع الكلام فقال طاعة وقول معروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأولى لهم قال وعيد كما تسمعون وقوله طاعة وقول معروف وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة ويذكر فيها القتال وأنهم اذا قيل لهم ان الله مفترض عليكم الجهاد قالوا سمع وطاعة فقال الله عز وجل لهم اذا أنزلت سورة وفرض القتال فيها عليهم فشق ذلك عليهم وكرهوه طاعة وقول معروف قبل وجوب الفرض عليكم فاذا عزم الأمر كرهتموه وشق عليكم وقوله طاعة وقول معروف مرفوع بمضمر وهو قولكم قبل نزول فرض القتال طاعة وقول معروف وروى عن ابن عباس باسناد غير مرتضى أنه قال قال الله تعالى فأولى لهم ثم قال للذين آمنوا منهم طاعة وقول معروف فعلى هذا القول تمام الوعيد فأولى ثم يستأنف بعد فيقال لهم طاعة وقول معروف فتكون الطاعة مرفوعة بقوله لهم وكان مجاهد يقول فى ذلك كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد طاعة وقول معروف قال أمر الله بذلك المنافقين وقوله فاذا عزم الأمر يقول فاذا وجب القتال وجاء أمر الله بفرض ذلك كرهتموه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاذا عزم الأمر قال اذا جدّ الامر هكذا قال محمد بن عمرو فى حديثه عن أبى عاصم وقال الحرث فى حديثه عن الحسن يقول جدّ الأمر وقوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم يقول تعالى ذكره فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم اذ قيل لهم ان الله سيأمركم بالقتال طاعة فوفوا له بذلك لكان خيرا لهم فى عاجل دنياهم وآجل معادهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا عزم الأمر يقول طواعية الله ورسوله وقول معروف عند حقائق الامور خير لهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يقول طاعة الله وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم اذا نزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال نظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغشى عليه فهل عسيتم أيها القوم يقول فلعلكم ان توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعما جاءكم به أن تفسدوا فى الأرض يقول أن تعصوا الله فى الأرض فتكفروا به وتسفكوا فيها الدماء وتقطعوا أرحامكم وتعودوا لما كنتم عليه فى جاهليتكم من التشتت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالاسلام وألف به بين قلوبكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من

أولى الأعلون قف كذلك أعمالكم ه قف ولهو ط أموالكم ه أضغانكم ه سبيل الله ج لانقطاع النظم مع الفاء من يبخل ج لابتداء الشرط مع العطف عن نفسه ط الفقراء ه للشرط مع العطف غيركم لا للعطف أمثالكم ه

۞ التفسير لما ذكر حال الفريقين المؤمن والكافر من السعادة والشقاوة قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاثبت على ما أنت عليه من التوحيد ومن هضم النفس باستغفار ذنبك او ذنوب أمتك أو المراد فاعلم خبرا يقينا على ما علمته نظرا واستدلالا أو أراد فاذكر لا اله الا الله والهاء فى أنه لله أو للأمر والشأن أو الاول اشارة الى أصول الحكمة النظرية والثانى الى اصول الحكمة العملية أمره بالحكمة العملية بعد الحكمة النظرية عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فتلا هذه الآية وذلك انه أمر بالعمل بعد العلم والفاآت فى هذه الآية وما تقدمها لعطف جملة على جملة بينهما اتصال وفى الآية نكتة وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم له أحوال ثلاث حال مع الله وهى توحيده وحال مع نفسه وهى طلب العصمة من الذنوب وأن يستر الله عليه جنس الآثام حتى لا يقع فيها وحال مع غيره وهى طلب ستر الذنوب عليهم بعد وقوعهم فيها أو أعم ويندرج فيها الشفاعة ثم قال (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) فقيل التقلب فى الأسفار والمثوى فى الحضر وقيل أراد منتشركم فى النهار ومستقركم بالليل وقيل الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة وقيل لكل متقلب مثوى

قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل عسيتم ان توليتم الآية يقول فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال فعلوا حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر وسليمن بن بلال قالا ثنا معاوية بن أبي المزرد المدني عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خلق الله الخلق فلما فرغ منهم تعلقت الرحم بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال فما ترضين أن أقطع من قطعك وأصل من وصلك قالت نعم قال فذلك لك * قال سليمن في حديثه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وقد تأوله بعضهم فهل عسيتم ان توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الارض بمعنى الولاية وأجمعت القراء غير نافع على فتح السين من عسيتم وكان نافع يكسرها عسيتم * والصواب عندنا قراءة ذلك بفتح السين لاجماع الحجة من القراء عليها وأنه لم يسمع في الكلام عسى أخوك يقوم بكسر السين وفتح الياء ولو كان صوابا كسرها اذا اتصل بها مكني جاءت بالكسر مع غير المكني وفي اجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكني وان التي تلي عسيتم مكسورة وهي حرف جزاء وأن التي مع تفسدوا في موضع نصب بعسيتم وقوله أولئك الذين لعنهم الله يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يفعلون هذا يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله فأبعدهم من رحمته فأصمهم يقول فسلبهم فهم ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله في تنزيله وأعمى أبصارهم يقول وسلبهم عقولهم فلا يتبينون حجج الله ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم) يقول تعالى ذكره أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه السلام ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون أم على قلوب أقفالها يقول أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها اذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبره القوم فعقلوه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك حدثنا اسمعيل بن حفص الايلي قال ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ما من آدمي الا وله أربع أعين عينان في رأسه لدنياه وما يصلحه من معيشته وعينان في قلبه لدينه وما وعد الله من الغيب فاذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه واذا أراد الله به غير ذلك طمس عليهما فذلك قوله أم على قلوب أقفالها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ثور بن يزيد قال ثنا خالد بن معدان قال ما من الناس أحد الا وله أربع أعين عينان في وجهه لمعيشته وعينان في قلبه وما من أحد الا وله شيطان متبطن فقار ظهره عاطف عنقه على عنقه فاغر فاه الى ثمرة قلبه فاذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه ما وعد الله من الغيب فعمل به وهما غيب فعمل بالغيب واذا أراد الله بعبد شرا تركه ثم قرأ أم على قلوب أقفالها حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو عن ثور عن خالد بن معدان بنحوه الا أنه قال ترك

القلب

فيتقلب من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات ثم الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى الجنة أو النار والمقصود بيان كمال علمه بحال الخلائق فعليهم أن لا يهملوا دقائق الطاعة والخشية ويواظبوا على طلب المغفرة خوفا من التقصير في العبودية ثم ذكر طرفا آخر من نصائح أهل النفاق ومن ينخرط في سلكهم من ضعفة الاسلام وذلك أنهم كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويقولون بألسنتهم (لولا نزلت) سورة في باب القتال (فاذا أنزلت سورة محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل النسخ (وذكر فيها القتال) عن قتادة كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة وهي أشدها على المنافقين قال أهل البرهان نزل بالتشديد أبلغ من أنزل فخص بهم ليكون أدل على حرصهم فيكون أبلغ في باب التوبيخ قوله (فأولى لهم) كلمة تحذير أي وليك شر فاحذره هذه عبارة كثير من المفسرين وقال المبرد يقال للانسان اذا كاد يعطب ثم يفلت أولى لك أي قاربت العطب ثم نجوت وهو في الفرقان على معنى التحذير وقال جار الله هو وعيد معناه فويل لهم والمراد الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه وقيل أراد طاعة وقول معروف أولى من الجزع عند الجهاد فلا يكون للوعيد وعلى هذا فلا وقف على لهم كما أشير اليه في الوقوف واعترض عليه بأن الأفصح أن يستعمل وقتئذ بالباء لا مع اللام كما قال وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض والأصح أنه فعل متعد من الولي وهو القرب أي أولاه الله المكروه فاقتصر لكثرة الاستعمال ويحتمل أن يكون فعلى من آل يؤل

القلب على ما فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قال ثنا حماد بن زيد قال
ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أفلا يتدبرون القرآن أم على
قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله عز وجل يفتحها أو يفرجها
فما زال الشاب فى نفس عمر رضى الله عنه حتى ولى فاستعان به وقوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى يقول الله عز وجل ان الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارا بالله
من بعد ما تبين لهم الحق وقصد السبيل فعرفوا واضح الحجة ثم آثروا الضلال على الهدى عنادا لأمر
الله تعالى ذكره من بعد العلم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان
الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى هم أعداء الله أهل الكتاب يعرفون بعث محمد
نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندهم ثم يكفرون به حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن
ثور عن معمر عن قتادة من بعد ما تبين لهم الهدى انهم يجدونه مكتوبا عندهم * وقال آخرون
عنى بذلك أهل النفاق ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا
عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى قوله فأحبط أعمالهم
هم أهل النفاق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن
ابن عباس قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى اسرارهم هم أهل النفاق وهذه الصفة بصفة أهل
النفاق عندنا أشبه منها بصفة أهل الكتاب وذلك أن الله عز وجل أخبر أن ردتهم كانت بقيلهم
للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم فى بعض الامر ولو كانت من صفة أهل الكتاب لكان فى وصفهم
بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم انما ارتدوا من أجل قيلهم ما قالوا
وقوله الشيطان سول لهم يقول تعالى ذكره الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم من بعد ما تبين
لهم الهدى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الشيطان سول لهم وأملى لهم يقول زين لهم حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سول لهم يقول زين لهم وقوله وأملى لهم يقول ومد الله لهم
فى آجالهم ملاوة من الدهر ومعنى الكلام الشيطان سول لهم والله أملى لهم * واختلفت القراء
فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة وأملى لهم بفتح الألف منها بمعنى وأملى الله لهم وقرأ
ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وأملى لهم على وجه ما لم يسم فاعله وقرأه مجاهد فيما ذكر عنه
وأملى بضم الألف وارسال الياء على وجه الخبر من الله جل ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم *
وأولى هذه القراآت بالصواب التى عليها عامة قراء الحجاز والكوفة من فتح الألف فى ذلك لأنها
القراءة المستفيضة فى قرأة الامصار وان كان يجمعها مذهب تتقارب معانيها فيه ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم
اسرارهم﴾ يقول تعالى ذكره أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم والشيطان سول لهم فلم يوفقهم للهدى
من أجل أنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين سنطيعكم
فى بعض الأمر الذى هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم
فى بعض الأمر فهؤلاء المنافقون والله يعلم اسرارهم يقول تعالى ذكره والله يعلم اسرار هذين
الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق على خلاف أمر الله وأمر رسوله اذ يتسارون فيما بينهم
بالكفر بالله ومعصية الرسول ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها * واختلفت القراء

أى يؤول أمرك الى شر فاحذره ثم
حثهم على الامتثال بقوله (طاعة
وقول معروف) أى طاعة الله وقول
حسن أو ما عرف صحته خير من
الجزع عند فرض الجهاد فهو مبتدأ
محذوف الخبر أو أمرنا طاعة فيكون
خبر مبتدا محذوف كما مر فى سورة
النور فى قوله طاعة معروفة ويجوز
أن يكون أمر المنافقين أى قولوا
طاعة وقول معروف (فاذا عزم
الأمر) أى جد وصار معزوما عليه
وهو اسناد مجازى لأن العزم
لأصحاب أمر القتال ثم التفت
وخاطب كفار قريش بقوله (فهل
عسيتم) هو من أفعال المقاربة
وقد مر وجوه استعمالاته فى البقرة
فى قوله وعسى أن تكرهوا شيئا وهو
خير لكم فنقل الكلام من الغيبة الى
الخطاب ليكون أبلغ فى التوبيخ
ومعناه هل يتوقع منكم (ان توليتم)
وأعرضتم عن الدين أو توليتم أمور
الناس (أن تفسدوا فى الارض)
بالمعاصى والافتراق بعد الاجتماع
على الاسلام (وتقطعوا أرحامكم)
بالقتل والعقوق ووأد البنات وسائر
ما كنتم عليه فى الجاهلية من أنواع
الافساد وفى سلوك طريقة
الاستخبار المسمى فى غير القرآن
بتجاهل العارف امالة لهم الى طريق
الانصاف وحث لهم على التدبر
وترك العصبية والجدال فقد كانوا
يقولون كيف يأمرنا النبى صلى الله
عليه وسلم بالقتال والقتال افناء
لذوى أرحامنا وأقاربنا فعرض الله
سبحانه بأنهم ان ولوا أمور الناس
أو أعرضوا عن هذا الدين لم يصدر
منهم الا القتل والنهب وسائر
أبواب المفاسد كعادة أهل الجاهلية

في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة أسرارهم بفتح الألف من أسرارهم على وجه جماع سر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة اسرارهم بكسر الألف على أنه مصدر من أسررت اسرارا والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ يقول تعالى ذكره والله يعلم اسرار هؤلاء المنافقين فكيف لا يعلم حالهم اذا توفتهم الملائكة وهم يضربون وجوههم وأدبارهم يقول فحالهم أيضا لا يخفى عليه في ذلك الوقت و يعني بالأدبار الأعجاز وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى قبل وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله يقول تعالى ذكره تفعل الملائكة هذا الذي وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان وكرهوا رضوانه يقول وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به بعد ما افترضه عليهم وقوله فأحبط أعمالهم يقول فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته فبطلت ولم تنفع عاملها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴾ يقول تعالى ذكره أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شك في دينهم وضعف في يقينهم فهم حيارى في معرفة الحق أن لن يخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين فيبديه لهم ويظهره حتى يعرفوا نفاقهم وحيرتهم في دينهم ولو نشاء لأريناكهم يقول تعالى ذكره ولو نشاء يا محمد لعرفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل سأريك ما أصنع بمعنى سأعلمك وقوله فلعرفتهم بسيماهم يقول فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم ثم ان الله تعالى ذكره عرفه اياهم و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم الى آخر الآية قال هم أهل النفاق وقد عرفه اياهم في براءة فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وقال قل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض الآية هم أهل النفاق فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول فعرفه الله اياهم في سورة براءة فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا وقال قل لهم لن تنفروا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم قال هؤلاء المنافقون قال والذي أسروا من النفاق هو الكفر * قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم قال هؤلاء المنافقون قال وقد أراه الله اياهم وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد قال فأبوا الا أن تمسكوا بلا اله الا الله فلما أبوا الا أن تمسكوا بلا اله الا الله حقنت دماؤهم ونكحوا ونوكحوا بها وقوله ولتعرفنهم في لحن القول يقول ولتعرفن هؤلاء المنافقين في معنى قولهم ونحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في لحن القول قال قولهم والله يعلم أعمالكم لا يخفى عليه العامل منكم بطاعته والمخالف ذلك وهو مجازي جميعكم عليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم ﴾

يقول

ثم صرح بما فعل الله بهم واستقر عليه حالهم فقال (أولئك الذين لعنهم الله) بعدهم عن رحمته ثم بين نتيجة اللعن قائلا (فأصمهم) أي عن قبول الحق بعد استماعه وهذا في الدنيا (وأعمى أبصارهم) أي في الآخرة أو عن رؤية الحق والنظر الى المصنوعات قال بعض العلماء انما لم يقل فأصم آذانهم لأن الاذن عبارة عن الشحمة المعلقة والسمع لا يتفاوت بوجودها وعدمها ولذلك يسمع مقطوع الاذن وأما الرؤية فتتعلق بالبصر نفسه فالتأكيد هناك انما يحصل بترك ذكر الاذن وههنا بذكر الابصار والله أعلم قال جار الله يجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وذلك أنهم كانوا يأنسون بالوحي فاذا أبطأ عليهم التمسوه فاذا نزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين يضجرون منها * سؤال لما أثبت لهم الصمم والعمى فكيف وبخهم بقوله أفلا يتدبرون القرآن وأجيب على مذهب أهل السنة بأن تكليف ما لا يطاق جائز و يمكن أن يقال لما أخبر عنهم بما أخبر حكى أنهم بين أمرين اما أن لا يتدبروا القرآن لأن الله أبعدهم عن الخير واما ان يدبروا لكن لا يدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة قال جار الله انما نكرت القلوب لأنه أريد البعض وهو قلوب المنافقين أو أريد على قلوب قاسية مبهم أمرها وانما اضيفت الأقفال الى ضمير القلوب لانه أريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر والعناد التي استغلقت فلا تنفتح ثم أخبر عن حال المنافقين أو اليهود الذين غيروا حالهم من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام

يقول تعالى ذكره لأهل الايمان به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنبلونكم أيها المؤمنون بالقتل وجهاد أعداء الله حتى نعلم المجاهدين منكم يقول حتى يعلم حزبى وأوليائى أهل الجهاد فى الله منكم وأهل الصبر على قتال أعدائه فيظهر ذلك لهم و يعرف ذوو البصائر منكم فى دينه من ذوى الشك والحيرة فيه وأهل الايمان من أهل النفاق ونبلو أخباركم فنعرف الصادق منكم من الكاذب و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقوله ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونحو هذا قال أخبر الله سبحانه المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأمرهم بالصبر و بشرهم فقال و بشر الصابرين ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم فقال مستهم البأساء والضراء وزلزلوا فالبأساء الفقر والضراء السقم وزلزلوا بالفتن وأذى الناس اياهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين قال نختبركم البلوى الاختبار وقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال لا يختبرون ولقد فتنا الذين من قبلهم الآية * واختلفت القراء فى قراءة قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار بالنون نبلو ونعلم ونبلو على وجه الخبر من الله جل جلاله عن نفسه سوى عاصم فانه قرأ جميع ذلك بالياء والنون هى القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليها وان كان للاخرى وجه صحيح وقوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا توحيد الله وصدوا الناس عن دينه الذى ابتعث به رسله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى يقول وخالفوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنه نبى مبعوث ورسول مرسل وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته وأنه لله رسول وقوله لن يضروا الله شيأ لأن الله بالغ أمره وناصر رسوله ومظهره على من عاداه وخالفه وسيحبط أعمالهم يقول وسيذهب أعمالهم التى عملوها فى الدنيا فلا ينفعهم بها فى الدنيا ولا الآخرة و يبطلها الا مما يضرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فى أمرهما ونهيهما ولا تبطلوا أعمالكم يقول ولا تبطلوا بمعصيتكم اياهما وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فان الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم الآية من استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا عمله بعمل سىء فليفعل ولا قوة الا بالله فان الخير ينسخ الشر وان الشر ينسخ الخير وان ملاك الاعمال خواتيمها وقوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار يقول تعالى ذكره ان الذين أنكروا توحيد الله وصدوا من أراد الايمان بالله و برسوله عن ذلك ففتنوهم عنه وحالوا بينهم و بين ما أرادوا من ذلك ثم ماتوا وهم كفار يقول ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم فلن يغفر الله لهم يقول فلن يعفو الله عما صنع من ذلك ولكنه يعاقبه عليه و يفضحه به على رؤس الأشهاد

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ يقول تعالى ذكره فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجبنوا عن قتالهم كما حدثنى

أو نعت محمد فى التوراة فقال (ان الذين ارتدوا) الآية (ذلك) الاملاء أو الاضلال أو الارتداد بسبب انهم قالوا للذين كرهوا أى قال اليهود للمنافقين أو قال المنافقون ليهود قريظة والنضير أو قاله اليهود أو المنافقون للمشركين (سنطيعكم فى بعض الأمر) الذى يهمكم كالتظافر على عداوة محمد والقعود عن الجهاد معه أو فى بعض ما تأمرون به وهو ما يتعلق بتكذيب محمد لا فى اظهار الشرك واتخاذ الأصنام وانكار المعاد (والله يعلم أسرارهم) فلذلك أفشى الذى قالوه سرا فيما بينهم وسيجازيهم على حسب ذلك يدل عليه قوله (فكيف) يعملون وما حيلتهم حين توفتهم ملائكة الموت (يضربون وجوههم وأدبارهم) التى كانوا يتقون أن يصيبها آفة فى القتال أو يضربون وجوههم عند الموت وأدبارهم عند السوق الى النار وقيل يضربون وجوههم عند الطلب وأدبارهم حين الهرب (ذلك) الاذلال والاهانة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) كأنهم ضربوا وجوههم لأنهم أقبلوا على مواجب السخط وضربوا أدبارهم لانهم اعرضوا عما فيه رضا الله وقد يخص السخط بكتمان نعت الرسول ومعاونة أهل الشرك والرضا بالايمان به والنصرة للمؤمنين وانما قال ما أسخط الله ولم يقل ما أرضى الله لأن رحمته سبقت غضبه فالرضا كالأمر الحاصل والاسخاط كالأمر المترتب على شئ ثم زاد فى تعيير المنافقين بقوله (أم حسب) وهى منقطعة والضغن اضمار سوء يتربص به امكان الفرصة واخراج الاضغان ابرازها للرسول

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تهنوا قال لا تضعفوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تهنوا لا تضعف أنت وقوله وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون يقول لا تضعفوا عنهم وتدعوهم الى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم والله معكم يقول والله معكم بالنصر لكم عليهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا في معنى قوله وأنتم الأعلون فقال بعضهم معناه وأنتم أولى بالله منهم وقال بعضهم مثل الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك وقال معنى قوله وأنتم الأعلون أنتم أولى بالله منهم حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي يحدث عن قتادة في قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم قال أي لا تكونوا أولى الطائفتين تصرع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا تهنوا وتدعوا الى السلم قال لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها ودعتها الى الموادعة وأنتم أولى بالله منهم والله معكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلا تهنوا وتدعوا الى السلم قال لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت الى صاحبتها وأنتم الأعلون قال يقول وأنتم أولى بالله منهم * ذكر من قال معنى قوله وأنتم الأعلون أنتم الغالبون الأعز منهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأنتم الأعلون قال الغالبون مثل يوم أحد تكون عليهم الدائرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون قال هذا منسوخ قال نسخه القتال والجهاد يقول لا تضعف أنت وتدعوهم أنت الى السلم وأنت الأعلى قال وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال يقول لا تهن فتضعف فيرى أنك تدعو الى السلم وأنت فوقه وأعز منه وأنتم الأعلون أنتم أعز منهم ثم جاء القتال بعد فنسخ هذا أجمع فأمره بجهادهم والغلظة عليهم وقد قيل عني بقوله وأنتم الأعلون وأنتم الغالبون آخر الامر وان غلبوكم في بعض الأوقات وقهروكم في بعض الحروب وقوله فلا تهنوا جزم بالنهي وفي قوله وتدعوا وجهان أحدهما الجزم على العطف على تهنوا فيكون معنى الكلام فلا تهنوا ولا تدعوا الى السلم والآخر النصب على الصرف وقوله ولن يتركم أعمالكم يقول ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها من قولهم وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا فأخذت له مالا غصبا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولن يتركم أعمالكم يقول لن يظلمكم أجور أعمالكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولن يتركم أعمالكم قال لن ينقصكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولن يتركم أعمالكم أي لن يظلمكم أعمالكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولن يتركم أعمالكم قال لن يظلمكم أعمالكم ذلك يتركم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولن يتركم أعمالكم قال لن يظلمكم أعمالكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج

صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كما قال (ولو نشاء لأريناكهم) أي لو شئنا أريناك أماراتهم (فلعرفتهم) كررت لام جواب او في المعطوف لاجل المبالغة (بسيماهم) بعلامتهم عن أنس أنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة منهم يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق ومعنى لحن القول نحوه وأسلوبه وفحواه أي يقولون ما معناه النفاق كقولهم لئن رجعنا الى المدينة ان بيوتنا عورة أو لتعرفنهم في فحوى كلام الله حيث قال ما يعلم منه حال المنافقين كقوله ومن الناس من يقول ومنهم من عاهد الله وحقيقة اللحن ذهاب الكلام الى خلاف جهته وقيل اللحن أن تميل كلامك الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا * واللحن يعرفه ذوو الالباب

ويقال للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب وقال الكلبي لحن القول كذبه ولم يتكلم بعد نزولها منافق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عرفه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها واخلاصها من نفاقها (ولنبلونكم) أي لنأمرنكم بما لا يكون متعينا للوقوع بل يحتمل الوقوع واللاوقوع كما يفعل المختبر حتى يظهر المجاهد والصابر من المنافق والمضطرب (ونبلو أخباركم) التي تحكى عنكم

أضغانكم﴾ يقول تعالى ذكره حاضا عباده المؤمنين على جهاد أعدائه والنفقة فى سبيله و بذل مهجتهم فى قتال أهل الكفر به فقاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر ولا تدعكم الرغبة فى الحياة الى ترك قتالهم فانما الحياة الدنيا لعب ولهو الا ما كان منها لله من عمل فى سبيله وطلب رضاه فأما ما عدا ذلك فانما هو لعب ولهو يضمحل فيذهب ويندرس فيمر أو اثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم يقول وان تعملوا فى هذه الدنيا التى ما كان فيها مما هو لها فلعب ولهو فتؤمنوا به وتتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وهو الذى يبقى لكم منها ولا يبطل بطول اللهو واللعب ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم فيعوضكم منه ما هو خير لكم منه يوم فقركم وحاجتكم الى أعمالكم ولا يسألكم أموالكم يقول ولا يسألكم ربكم أموالكم ولكنه يكلفكم توحيده وخلع ما سواه من الأنداد وافراد الالوهة والطاعة له ان يسألكموها يقول جل ثناؤه ان يسألكم ربكم أموالكم فيحفكم يقول فيجهدكم بالمسألة و يلح عليكم بطلبها منكم فيلحف تبخلوا يقول تبخلوا بها وتمنعوها اياه ضنا منكم بها ولكنه علم ذلك منكم ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها وقوله ويخرج أضغانكم يقول ويخرج جل ثناؤه لو سألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم قال قد علم الله أن فى مسألته المال خروج الاضغان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيحفكم تبخلوا قال الاحفاء أن تأخذ كل شئ (١) بيديك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين ها أنتم أيها الناس هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله يقول تدعون الى النفقة فى جهاد أعداء الله ونصرة دينه فمنكم من يبخل بالنفقة فيه وأدخلت ها فى موضعين لأن العرب اذا أرادت التقريب جعلت المكنى بين ها وبين ذا فقالت ها أنت ذا قائما لأن التقريب جواب الكلام فربما أعادت ها مع ذا وربما اجتزأت بالاولى وقد حذفت الثانية ولا يقدمون أنتم قبل ها لان ها جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة ۞ وقال بعض نحويى البصرة جعل التنبيه فى موضعين للتوكيد وقوله ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه يقول تعالى ذكره ومن يبخل بالنفقة فى سبيل الله فانما يبخل عن بخل نفسه لان نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة فى سبيل الله ولكن كانت تجود بها والله الغنى وأنتم الفقراء يقول تعالى ذكره ولا حاجة لله أيها الناس الى أموالكم ولا نفقاتكم لانه الغنى عن خلقه والخلق الفقراء اليه وأنتم من خلقه فأنتم الفقراء اليه وانما حضكم على النفقة فى سبيله ليكسبكم بذلك الجزيل من ثوابه ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء قال ليس بالله تعالى ذكره اليكم حاجة وأنتم أحوج اليه وقوله تعالى ذكره وان تتولوا يستبدل قوما غيركم يقول تعالى ذكره وان تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذى جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم فترتدوا راجعين عنه يستبدل قوما غيركم يقول يهلككم ثم يجئ بقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدقون به ويعملون بشرائعه ثم لا يكونوا أمثالكم يقول ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة فى سبيل الله ولا يضيعون شيأ من حدود دينهم ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تتولوا يستبدل قوما غيركم يقول ان توليتم عن كتابى وطاعتى أستبدل قوما غيركم قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم ويأتى من بعدهم من هو خير منهم حدثنا ابن

كقولكم آمنا بالله وباليوم الآخر أو عهودكم كقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار أو أسراركم أو ما ستفعلونه أو أخباركم الاراجيف كقوله والمرجفون فى المدينة عن الفضيل أنه كان اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا ثم أنزل فى اليهود من قريظة والنضير أو فى رؤساء قريش المطعمين يوم بدر (ان الذين كفروا) الآية وأعمالهم طاعاتهم فى زمن اليهودية ومكايدهم التى نصبوها فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم أو اطعامهم ثم أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله بالتوحيد والتصديق مع الاخلاص وأن لا يبطلوا احسانهم بالمعاصى والرياء و بالمن والاذى عن أبى العالية قال كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت الآية فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم وعن قتادة رضى الله عن عبد لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ ثم أراد أن يبين أن أعمال المكلف اذا بطلت فان فضل الله باق يغفر له ان شاء ما لم يمت على الكفر فقال (ان الذين كفروا) الآية قال مقاتل نزلت فى رجل سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن والده وقال انه كان محسنا فى كفره وعن الكلبى نزلت فى رؤساء أهل بدر (فلا تهنوا) لا تضعفوا ولا تجبنوا (وتدعوا الى السلم) أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح ويجوز أن يكون منصوبا باضمار أن بعد الواو فى جواب النهى (وأنتم الأعلون) الغالبون المستولون عليهم

(١) لعله بيديك وحرر

عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وان تتولوا يستبدل قوما غيركم قال ان تولوا عن طاعة الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم (٣) وذكر أنه عنى بقوله يستبدل قوما غيركم العجم من عجم فارس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بزيع البغدادي أبو سعيد قال ثنا اسحق بن منصور عن مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم كان سلمان الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين ان تولينا استبدلوا بنا قال فضرب النبي صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان فقال من هذا وقومه والذي نفسي بيده لو أن الدين تعلق بالثريا لنالته رجال من أهل فارس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا فضرب على فخذ سلمان قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا عبد الله بن الوليد العدني قال ثنا مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية وسلمان الفارسي الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحك ركبته ركبته وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا يا رسول الله ومن الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا قال فضرب فخذ سلمان ثم قال هذا وقومه * وقال مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يستبدل قوما غيركم من شاء * وقال آخرون هم أهل اليمن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عوف الطائي قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان بن عمرو قال ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير وشريح بن عبيد في قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قال أهل اليمن

آخر تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

﴿تفسير سورة الفتح﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر و يتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا﴾ يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا يقول انا حكمنا لك يا محمد حكما يبين لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر لتشكر ربك وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم وفتحه ما فتح لك ولتسبحه وتستغفره فيغفر لك بفعالك ذلك ربك ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته وانما اخترنا هذا القول في تأويل هذه الآية لدلالة قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا على صحته اذ أمره تعالى ذكره أن يسبح بحمد ربه

(والله معكم) بالنصرة والكلاءة (ولن يتركم أعمالكم) أي لن ينقصكم جزاء أعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو قريب أو سلبت ماله وأصله من الوتر وهو الفرد كأنك أفردته من قريبه أو ماله وفي الحديث من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وهو من فصيح الكلام ثم زادهم حثا على الجهاد بتحقير الدنيا في أعينهم وبأنه سبحانه انما يحثهم على الايمان والجهاد وسائر أبواب التقوى لتعود فائدتها عليهم كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لأربح عليكم قوله (ولا يسألكم أموالكم) أي كل أموالكم ولكنه يقتصر منها على ربع العشر أو لا يسألكم أموالكم لنفسه ولكن لتكون زادا لكم في المعاد وقيل لا يسألكم أموالكم رسولي لنفسه وقيل انهم لا يملكون شيأ وان المال مال الله وهو المنعم باعطائه والقول هو الاول لقوله (ان يسألكموها فيحفكم) أي يجهدكم بيلغ الغاية فيها من أحفى شاربه استأصله كأنه جعله حافيا مما في ملكه أي عاريا (تبخلوا ويخرج) الاحفاء أو الله تعالى على طريق التسبب (أضغانكم) أي تضطغنون على الرسل وتظهرون كراهة هذا الدين ثم بين أنه كيف يأمركم باخراج كل المال وقد دعاكم الى انفاق البعض (فمنكم من يبخل) وها للتنبيه وكرر مع أولاء للتوكيد وأنتم أولاء جملة مستقلة أي أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) وهو الزكاة أو الغزو فمنكم ناس يبخلون به وقيل هؤلاء

اذا جاءه نصر الله وفتح مكة وأن يستغفره وأعلمه أنه تواب على من فعل ذلك ففي ذلك بيان واضح
أن قوله تعالى ذكره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر انما هو خبر من الله جل ثناؤه نبيه عليه
السلام عن جزائه له على شكره له على النعمة التي أنعم بها عليه من اظهاره له ما فتح لأن جزاء الله تعالى
عباده على أعمالهم دون غيرها و بعد ففي صحة الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم حتى ترم قدماه
فقيل له يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا
الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا من ذلك هو الصحيح من القول وأن الله تبارك وتعالى انما وعد نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم غفران ذنوبه المتقدمة فتح ما فتح عليه و بعده على شكره له على نعمه التي
أنعمها عليه وكذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم انى لأستغفر الله وأتوب اليه في كل يوم مائة مرة
ولو كان القول في ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه
الذي ذكرنا لم يكن لامره اياه بالاستغفار بعد هذه الآية ولا لاستغفار نبي الله صلى الله عليه وسلم ربه
جل جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل اذ الاستغفار معناه طلب العبد من ربه عز وجل غفران
ذنوبه فاذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته اياه غفرانها معنى لأنه من المحال أن يقال اللهم اغفر لي
ذنبا لم أعمله وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر الى الوقت
الذي قال انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأما الفتح الذي وعد الله
جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم هذه العدة على شكره اياه عليه فانه فيما ذكر الهدنة التي جرت بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين مشركي قريش بالحديبية وذكر أن هذه السورة أنزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه عن الحديبية بعد الهدنة التي جرت بينه و بين قومه * وبنحو
الذي قلنا في معنى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن
عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال قضينا لك قضاء
مبينا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا والفتح القضاء
ذكر الرواية عمن قال هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي ذكرت
حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر انا فتحنا لك فتحا مبينا
قال الحديبية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال نحره
بالحديبية وحلقه حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا أبو بحر قال ثنا شعبة قال ثنا جامع
ابن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول لما أقبلنا من الحديبية
أعرسنا فنمنا فلم نستيقظ الا بالشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم قال
فقلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افعلوا كما كنتم تفعلون فكذلك من نام
أو نسي قال وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة فأتيته بها
فركب فبينا نحن نسير اذ أتاه الوحي قال وكان اذا أتاه اشتد عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه
انا فتحنا لك فتحا مبينا حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي يحدث عن قتادة
عن أنس بن مالك قال لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا و بين نسكنا قال فنحن بين
الحزن والكآبة قال فأنزل الله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
و يتم نعمته عليك و يهديك صراطا مستقيما أو كما شاء الله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت
علي آية أحب الي من الدنيا جميعا حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد بن أبي عروبة

موصول صلته تدعون وهو مذهب الكوفيين وقد سلف في البقرة وآل عمران ثم قبح أمر البخل بقوله (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) أي وباله على نفسه أو عن داعي ربه قال في الكشاف يقال بخلت عليه وعنه وفيه نظر لأن البخل عن النفس لا يصح بهذا التفسير نعم لو قال عن ماله كان تفسيره مطابقا ثم مدح نفسه بالغنى المطلق و بين بقوله (وأنتم الفقراء) أنه لا يأمر بالانفاق لحاجته ولكن لنفعكم الى الثواب ثم هددهم بقوله (وان تتولوا) وهو معطوف على وان تؤمنوا ومعنى (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم راغبين فيما ترغبون عنه من الايمان والتقوى كقوله ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد ومعنى ثم التراخي في الرتبة أي لا يكونون أشباهكم في حال توليكم وقيل في جميع الأحوال وعن الكلبي شرط في الاستبدال توليهم لكنهم لم يتولوا فلم يستبدل قوما وهم العرب أهل اليمن أو العجم قاله الحسن وعكرمة لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس والله تعالى أعلم

﴿سورة الفتح مدنية حروفها ألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون كلماتها خمسمائة وستون آياتها تسع وعشرون﴾

* ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *

﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما

عن قتادة عن أنس بن مالك فى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
مرجعه من الحديبية وقد حيل بينهم و بين نسكهم فنحر الهدى بالحديبية وأصحابه مخالطوا الكآبة
والحزن فقال لقد أنزلت على آية أحب الى من الدنيا جميعا فقرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله عزيزا فقال أصحابه هنيأ لك يا رسول الله قد بين الله لنا ماذا يفعل بك
فماذا يفعل بنا فأنزل الله هذه الآية بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار
خالدين فيها الى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا همام
قال ثنا قتادة عن أنس قال أنزلت هذه الآية فذكر نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة عن أنس بنحوه غير أنه قال فى حديثه فقال رجل من القوم هنيأ لك مريأ يا رسول الله وقال
أيضا فبين الله ماذا يفعل بنبيه عليه السلام وماذا يفعل بهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن قتادة قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد نزلت على آية أحب الى مما على الارض
ثم قرأها عليهم فقالوا هنيأ مريأ يا نبى الله قد بين الله تعالى ذكره لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا
فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار الى قوله فوزا عظيما حدثنا
ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما قالوا هنيأ مريأ لك يا رسول الله فماذا لنا فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر
قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس فى هذه الآية انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية
حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا ابو عوانة عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر
قال ما كنا نعد فتح مكة الا يوم الحديبية حدثنا أبو كريب قال ثنا يعلى بن عبيد عن عبد العزيز بن
سياه عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى وائل قال تكلم سهل بن حنيف يوم صفين فقال يا أيها الناس
اتهموا أنفسكم لقد رأيتنا يوم الحديبية يعنى الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
و بين المشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألسنا
على حق وهم على باطل أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا
ونرجع ولما يحكم الله بيننا و بينهم فقال يا ابن الخطاب انى رسول الله ولن يضيعنى أبدا قال فرجع وهو
متغيظ فلم يصبر حتى أتى أبا بكر فقال يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل أليس قتلانا فى الجنة
وقتلاهم فى النار قال بلى قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا و بينهم فقال يا ابن
الخطاب انه رسول الله لن يضيعه الله أبدا قال فنزلت سورة الفتح فأرسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عمر فأقرأه اياها فقال يا رسول الله أوفتح هو قال نعم حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى
قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال ما كنا نعد الفتح الا يوم
الحديبية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء قال تعدون أنتم الفتح
فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم خمس عشرة مائة والحديبية بئر حدثنى موسى بن سهل الرملى ثنا محمد بن عيسى
قال ثنا مجمع بن يعقوب الانصارى قال سمعت أبى يحدث عن عمه عبد الرحمن بن يزيد عن عمه
مجمع بن جارية الانصارى وكان أحد القراء الذين قرؤا القرآن قال شهدنا الحديبية مع رسول الله

وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى
أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين
ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود
السموات والارض وكان الله عليما
حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما
ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات الظانين
بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء
وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم
جهنم وساءت مصيرا ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا
حكيما انا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة
وأصيلا ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن
نكث فانما ينكث على نفسه ومن
أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه
أجرا عظيما سيقول لك المخلفون
من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا
فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس
فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله
شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا
بل كان الله بما تعملون خبيرا
بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين
ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء
وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله
ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا
ولله ملك السموات والارض يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله
غفورا رحيما سيقول المخلفون
اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا
نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله
قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل

صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الأباعر فقال بعض الناس لبعض ماللناس قالوا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله فقال رجل أوفتح هو يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده انه لفتح قال فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد الا من شهد الحديبية وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهما فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا بالحديبية وأصاب فى تلك الغزوة مالم يصبه فى غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وفرح المؤمنون بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم وبظهور الروم على فارس وقوله تعالى ويتم نعمته عليك باظهاره اياك على عدوك ورفعه ذكرك فى الدنيا وغفرانه ذنوبك فى الآخرة ويهديك صراطا مستقيما يقول ويرشدك طريقا من الدين لا اعوجاج فيه يستقيم بك الى رضا ربك وينصرك الله نصرا عزيزا يقول وينصرك على سائر أعدائك ومن ناوأك نصرا لا يغلبه غالب ولا يدفعه دافع للبأس الذى يؤيدك الله به والظفر الذى يمدك به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما﴾ يعنى جل ذكره بقوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين الله أنزل السكون والطمأنينة فى قلوب المؤمنين بالله ورسوله الى الايمان والحق الذى بعثك الله به يامحمد وقد مضى ذكر اختلاف أهل التأويل فى معنى السكينة قبل والصحيح من القول فى ذلك بالشواهد المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقول ليزدادوا بتصديقهم بما جدد الله من الفرائض التى ألزمهموها التى لم تكن لهم لازمة ايمانا مع ايمانهم يقول ليزدادوا الى ايمانهم بالفرائض التى كانت لهم لازمة قبل ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين قال السكينة الرحمة ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال ان الله جل ثناؤه بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدقوا بها زادهم الصلاة فلما صدقوا بها زادهم الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكاة فلما صدقوا بها زادهم الحج ثم أكمل لهم دينهم فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى قال ابن عباس فأوثق ايمان أهل الارض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا اله الا الله وقوله ولله جنود السموات والارض يقول تعالى ذكره ولله جنود السموات والارض أنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه وكان الله عليما حكيما يقول تعالى ذكره ولم يزل الله ذا علم بما هو كائن قبل كونه وما خلقه عامله حكيما فى تدبيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما﴾ يقول تعالى ذكره انا فتحنا لك فتحا مبينا لتشكر ربك وتحمده على ذلك فيغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليحمد ربهم المؤمنون بالله ويشكروه على انعامه عليهم بما أنعم به عليهم من الفتح الذى فتحه وقضاه بينهم وبين أعدائهم من المشركين باظهاره اياهم عليهم فيدخلهم بذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ماكثين فيها الى غير نهاية وليكفر عنهم سيئ أعمالهم بالحسنات التى يعملونها شكرا منهم لربهم على ماقضى لهم وأنعم عليهم به وكان ذلك عند الله فوزا عظيما يقول تعالى ذكره وكان ماوعدهم الله به

فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى

من هذه العدة وذلك ادخالهم جنات تجرى من تحتها الأنهار وتكفيره سيآتهم بحسنات أعمالهم التى يعملونها عند الله لهم فوزا عظيما يقول ظفرا منهم بما كانوا تأملوه ويسعون له ونجاة مما كانوا يحذرونه من عذاب الله عظيما وقد تقدم ذكر الرواية أن هذه الآية نزلت لما قال المؤمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو تلا عليهم قول الله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر هذا لك يا رسول الله فماذا لنا تبيينا من الله لهم ما هو فاعل بهم حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار الى قوله ويكفر عنهم سيآتهم فأعلم الله سبحانه نبيه عليه السلام

قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات على اللام من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك بتأويل تكرير الكلام انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله انا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ولذلك لم تدخل الواو التى تدخل فى الكلام للعطف فلم يقل وليدخل المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار وليعذب المنافقين والمنافقات بفتح الله لك يا محمد ما فتح لك من نصرك على مشركى قريش فيكبتوا لذلك ويحزنوا ويخيب رجاؤهم الذى كانوا يرجون من رؤيتهم فى أهل الايمان بك من الضعف والوهن والتولى عنك فى عاجل الدنيا وصلى النار والخلود فيها فى آجل الآخرة والمشركين والمشركات يقول وليعذب كذلك أيضا المشركين والمشركات الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الايمان بك على أعدائك ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به وذلك كان السوء من ظنونهم التى ذكرها الله فى هذا الموضع يقول تعالى ذكره على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء يعنى دائرة العذاب تدور عليهم به واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة دائرة السوء بفتح السين وقرأ بعض قراء البصرة دائرة السوء بضم السين وكان الفراء يقول الفتح أفشى فى السين قال وقلما تقول العرب دائرة السوء بضم السين والفتح فى السين أعجب الى من الضم لأن العرب تقول هو رجل سوء بفتح السين ولا تقول هو رجل سوء وقوله وغضب الله عليهم يقول ونالهم الله بغضب منه ولعنهم يقول وأبعدهم فأقصاهم من رحمته وأعد لهم جهنم يقول وأعد لهم جهنم يصلونها يوم القيامة وساءت مصيرا يقول وساءت جهنم منزلا يصير اليه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات وقوله ولله جنود السموات والارض يقول جل ثناؤه ولله جنود السموات والارض أنصارا على أعدائه ان أمرهم باهلاكهم أهلكوهم وسارعوا الى ذلك بالطاعة منهم له وكان الله عزيزا حكيما يقول تعالى ذكره ولم يزل الله ذا عزة لا يغلبه غالب ولا يمتنع عليه مما أراده به ممتنع لعظم سلطانه وقدرته حكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك يا محمد شاهدا على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم اليه مما أرسلتك به اليهم من الرسالة ومبشرا لهم بالجنة ان أجابوك الى ما دعوتهم اليه من الدين القيم ونذيرا لهم عذاب الله ان هم تولوا عما جئتهم به من عند ربك ثم اختلفت القراء فى قراءة قوله لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه

وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ ۞ القراآت ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بياآت الغيبة ابن كثير وأبو عمرو وعليه الله بضم الهاء حفص فسنؤتيه بالنون أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الآخرون بالياء التحتانية والضمير لله سبحانه شغلتنا بالتشديد قتيبة ضرا بالضم كلم الله على الجمع حمزة وعلى وخلف بل ظننتم بالادغام على وهشام بل تحسدوننا مدغما حمزة وعلى وهشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما أبو جعفر ونافع وابن عامر بما يعملون بصيرا بياء الغيبة أبو عمرو الرؤيا بالامالة ابن عامر وعلى وهشام شطأه بفتح الطاء من غير مد ابن ذكوان والبزى والقواس الباقون ساكنة الطاء ۞ الوقوف مبينا ٥ لا مستقيما ٥ لا على احتمال الجواز ههنا التكرار اسم الله بالتصريح عزيزا ٥ ايمانهم ط

وتوقروه وتسبحوه فقرأ جميع ذلك عامة قراء الأمصار خلا أبي جعفر المدني وأبي عمرو بن العلاء
بالتاء لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بمعنى لتؤمنوا بالله و رسوله أنتم أيها الناس وقرأ ذلك
أبو جعفر وأبو عمرو كله بالياء ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بمعنى انا أرسلناك شاهدا الى
الخلق ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان
معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا يقول شاهدا على أمته على أنه قد بلغهم ومبشرا بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا من
النار وقوله وتعزروه وتوقروه اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم تجلوه وتعظموه
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس ويعزروه يعنى الاجلال ويوقروه يعنى التعظيم حدثت عن الحسين قال
سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ويعزروه ويوقروه كل هذا
تعظيم واجلال * وقال آخرون معنى قوله ويعزروه وينصروه ومعنى ويوقروه ويفخموه ذكر
من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويعزروه ينصروه ويوقروه
أمر الله بتسويده وتفخيمه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
فى قوله ويعزروه قال ينصروه ويوقروه أى ليعظموه حدثنى أبو هريرة الضبعى قال ثنا
حرمى عن شعبة عن أبى بشر جعفر بن أبى وحشية عن عكرمة ويعزروه قال يقاتلون معه بالسيف
حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنى هشيم عن أبى بشر عن عكرمة مثله حدثنى أحمد بن
الوليد قال ثنا عثمان بن عمر عن سعيد عن أبى بشر عن عكرمة بنحوه حدثنا ابن بشار قال
ثنا يحيى ومحمد بن جعفر قالا ثنا شعبة عن أبى بشر عن عكرمة مثله * وقال آخرون معنى
ذلك ويعظموه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله ويعزروه ويوقروه قال الطاعة لله وهذه الاقوال متقاربات المعنى وان اختلفت ألفاظ
أهلها بها ومعنى التعزير فى هذا الموضع التقوية بالنصرة والمعونة ولا يكون ذلك الا بالطاعة والتعظيم
والاجلال وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فأما التوقير
فهو التعظيم والاجلال والتفخيم وقوله وتسبحوه بكرة وأصيلا يقول وتصلوا له يعنى لله بالغدوات
والعشيات والهاء فى قوله وتسبحوه من ذكر الله وحده دون الرسول وقد ذكر أن ذلك فى بعض
القراآت ويسبحوا الله بكرة وأصيلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويسبحوه بكرة وأصيلا فى بعض
القراءة ويسبحوا الله بكرة وأصيلا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن
قتادة فى بعض الحروف ويسبحوا الله بكرة وأصيلا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ويسبحوه بكرة وأصيلا يقول يسبحون الله
رجع الى نفسه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) يقول
تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك بالحديبية من أصحابك على أن لا يفروا
عند لقاء العدو ولا يولوهم الأدبار انما يبايعون الله يقول انما يبايعون ببيعتهم اياك الله لأن الله ضمن
لهم الجنة بوفائهم له بذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى

والارض ط حكيما ە لا لتعلق
اللام سيئاتهم ط عظيما ە لا
للعطف ظن السوء ط دائرة السوء
ج لعطف الجملتين المختلفتين
جهنم ط مصيرا ە والارض ط
حكيما ە ونذيرا ە لا وتوقروه ط
للفصل بين ضمير اسم الله وضمير
الرسول فى المعطوفين فيمن لم يجعل
الضمائر كلها لله وأصيلا ە يبايعون
الله ط أيديهم ج ط للشرط مع
الفاء على نفسه ج للعطف مع
الشرط عظيما ە فاستغفر لنا ج
لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال
قلوبهم ط نفعا ط خبيرا ە بورا
ە سعيرا ە والارض ط من يشاء
ط رحيما ە نتبعكم ج لأن ما بعده
حال عامله سيقول أو مستأنف
كلام الله ط من قبل ج للسين
مع الفاء تحسدوننا ط قليلا ە
يسلمون ە حسنا ج أليما ە
المريض حرج ط لأن الواو
للاستئناف الانهار ج أليما ە
قريبا ە لا يأخذونها ط حكيما ە
عنكم ج لأن الواو مقحمة أو المعلل
محذوف والواو داخلة فى الكلام
المعترض أو عاطفة على تقدير
ليستيقنوا ولتكون مستقيما ە لا
للعطف بها ج قديرا ە نصيرا ە
تبديلا ە عليهم ط بصيرا ە
محله ط بغير علم ج لحق المحذوف
أى قدر ذلك ليدخل من يشاء ج
لاحتمال أن جواب لولا محذوف
وأن يكون هذه مع جوابها جوابا
للاولى أليما ە وأهلها ط عليما ە
بالحق ج لحق حذف القسم آمنين
لا مقصرين لا لانها أحوال
متتابعة لا تخافون ط لأن قوله فعلم
بيان حكم الصدق كالاعتذار

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال
ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان الذين يبايعونك قال يوم الحديبية حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله
فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهم الذين بايعوا يوم الحديبية وفى قوله يد الله فوق
أيديهم وجهان من التأويل أحدهما يد الله فوق أيديهم عند البيعة لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم
نبيه صلى الله عليه وسلم والآخر قوة الله فوق قوتهم فى نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم لانهم انما
بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو وقوله فمن نكث فانما ينكث على
نفسه يقول تعالى ذكره فمن نكث بيعته اياك يا محمد ونقضها فلم ينصرك على أعدائك وخالف
ما وعد ربه فانما ينكث على نفسه يقول فانما ينقض بيعته لانه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله
الجنة بوفائه بالبيعة فلم يضر بنكثه غير نفسه ولم ينكث الا عليها فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه نكث الناكث منهم أو وفى ببيعته وقوله ومن أوفى بما
عاهد عليه الله الآية يقول تعالى ذكره ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو فى سبيل
الله ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه فسيؤتيه أجرا عظيما يقول فسيعطيه الله ثوابا عظيما
وذلك أن يدخله الجنة جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس
بالمؤكدة من الايمان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسيؤتيه أجرا عظيما وهى الجنة ۞ القول فى
تأويل قوله تعالى ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون
بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان
الله بما تعملون خبيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيقول لك يا محمد الذين
خلفهم الله فى أهليهم عن صحبتك والخروج معك فى سفرك الذى سافرت ومسيرك الذى سرت
الى مكة معتمرا زائرا بيت الله الحرام اذا انصرفت اليهم فعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا عن
الخروج معك معالجة أموالنا واصلاح معايشنا وأهلونا فاستغفر لنا ربنا لتخلفنا عنك قال الله جل
ثناؤه مكذبهم فى قيلهم ذلك يقول هؤلاء الأعراب المخلفون عنك بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم وذلك
مسئلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم يقول يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على
ما سلف منهم من معصية الله فى تخلفهم عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسير معه قل
فمن يملك لكم من الله شيأ يقول تعالى ذكره لنبيه قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم
لتخلفهم عنك ان أنا استغفرت لكم أيها القوم ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكم أو أراد
بكم نفعا بتثميره أموالكم واصلاحه لكم أهليكم فمن ذا الذى يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير
أو شر والله لا يعازه أحد ولا يغالبه غالب وقوله بل كان الله بما تعملون خبيرا يقول تعالى ذكره ما
الأمر كما يظن هؤلاء المنافقون من الأعراب أن الله لا يعلم ما هم عليه منطوون من النفاق بل
لم يزل الله بما يعملون من خير وشر خبيرا لا يخفى عليه شئ من أعمال خلقه سرها وعلانيتها وهو
محصيها عليهم حتى يجازيهم بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه حين أراد المسير الى
مكة عام الحديبية معتمرا استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادى والأعراب ليخرجوا
معه حذرا من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله
عليه وسلم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الأعراب

وتخلفوا

فلا ينعطف على قوله صدق الله
قريبا ه كله ط شهيدا ه رسول
الله ج لان ما بعده مستأنف
ورضوانا ز لان سيماهم مبتدأ غير
أن الجملة من حد الاولى فى كون
الكل خبر والذين السجود ط
الانجيل ج لاحتمال أن التقدير هم
كزرع الكفار ط عظيما ه
۞ التفسير الفتح فى باب الجهاد
هو الظفر بالبلد بصلح أو حرب لانه
منغلق ما لم يظفر به والجمهور على
أن المراد به ما جرى يوم الحديبية
عن أنس قال لما رجعنا عن
الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا
فنحن بين الحزن والكآبة أنزل الله
انا فتحنا فقال صلى الله عليه وسلم لقد
أنزل على آية هى أحب الى من
الدنيا كلها والحديبية بئر سمى
المكان بها وكان قد غاض ماؤها
فتمضمض فيها النبى صلى الله
عليه وسلم فجاء بالماء حتى عمهم
وعن ابن شهاب لم يكن فى الاسلام
فتح أعظم من فتح الحديبية وضعت
الحرب وأمن الناس وقال الشعبى
أصاب النبى صلى الله عليه وسلم فى
تلك الغزوة ما لم يصب فى غيرها
بويع فيها بيعة الرضوان تحت
الشجرة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وظهرت الروم على فارس
وكان صلى الله عليه وسلم وعد به
فصح صدقه وأطعم نخل خيبر
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد هجرته الى المدينة أحب
أن يزور بيت الله الحرام بمكة فخرج
قاصدا نحوه فى سنة ست من الهجرة
وخرج معه أولو البصيرة وتخلف
من كان فى قلبه مرض ظنا منه
أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون

وتخلفوا خلافه فهم الذين عنى الله تبارك وتعالى بقوله سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا الآية وكالذى قلنا فى ذلك قال أهل العلم بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه منهم ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بذلك حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا قال أعراب المدينة جهينة ومزينة استتبعهم لخروجه الى مكة قالوا نذهب معه الى قوم قد جاؤه فقتلوا أصحابه فنقاتلهم فاعتلوا بالشغل واختلفت القراء فى قراءة قوله ان أراد بكم ضرا فقرأته قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة ضرا بفتح الضاد بمعنى الضر الذى هو خلاف النفع وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ضرا بضم الضاد بمعنى البؤس والسقم وأعجب القراءتين الى الفتح فى الضاد فى هذا الموضع بقوله أو أراد بكم نفعا فمعلوم أن خلاف النفع الضر وان كانت الاخرى صحيحا معناها * القول فى تأويل قوله تعالى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من سفره اليهم بقولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا ما تخلفتم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شخص عنكم وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم بل تخلفتم بعده فى منازلكم ظنا منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيهلكون فلا يرجعون اليكم أبدا باستئصال العدو اياهم وزين ذلك فى قلوبكم وحسن الشيطان ذلك فى قلوبكم وصححه عندكم حتى حسن عندكم التخلف عنه فقعدتم عن صحبته وظننتم ظن السوء يقول وظننتم أن الله لن ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم وأن العدو سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سيقول لك المخلفون من الأعراب الى قوله وكنتم قوما بورا قال ظنوا بنبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك وأنهم سيهلكون فذلك الذى خلفهم عن نبى الله صلى الله عليه وسلم وقوله وكنتم قوما بورا يقول وكنتم قوما هلكى لا يصلحون لشئ من الخير وقيل ان البور فى لغة أذرعات الفاسد فأما عند العرب فانه لا شئ ومنه قول أبى الدرداء فأصبح ما جمعوا بورا أى ذاهبا قد صار باطلا لا شئ منه ومنه قول حسان بن ثابت

لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد * يهدى الاله سبيل المعشر البور

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكنتم قوما بورا قال فاسدين وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكنتم قوما بورا قال البور الذى ليس فيه من الخير شئ حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكنتم قوما بورا قال هالكين * القول فى تأويل قوله تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم ومن غيركم فيصدقه على ما أخبر به ويقر بما جاء به من الحق من عند ربه فانا أعتدنا لهم جميعا سعيرا من النار تستعر عليهم فى جهنم اذا وردوها يوم

الى أهليهم أبدا واستصحب سبعين بدنة لينحرها بمكة ولما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأحرم بالعمرة لتعلم قريش أنه لم يأت لقتال وكانوا ألفا وثلثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة فبايعوه الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ابط ناقته فجاءه عروة بن مسعود لايقاع صلح فلما رأى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال أى محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله على أنى أرى وجوها وأسرابا خليقا أن يفروا ويدعوك فشتمه أبو بكر فلما عاد الى قريش قال لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشى وغيرهم من الملوك وما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم وما يحدون النظر اليه تفخيما وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها منه فلما اتفقوا على الصلح جاء سهيل بن عمرو المخزومى وتصالحوا على أن لا يدخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة سنته بل يعود فى القابل ويقيم ثلاثة أيام ثم ينصرف فلما كتب على بن أبى طالب رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل ما نعرف الرحمن الرحيم اكتب فى قضيتنا ما نعرف باسمك اللهم ولما كتب هذا ما صالح محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فتنازع المسلمون

القيامة يقال من ذلك سعرت النار اذا أوقدتها فانا أسعرها سعرا و يقال سعرتها أيضا اذا حركتها وانما قيل للمسعر مسعر لانه يحرك به النار ومنه قولهم انه لمسعر حرب يراد به موقدها ومهيجها وقوله ولله ملك السموات والأرض يقول تعالى ذكره ولله سلطان السموات والارض فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أرادبكم من تعذيب على نفاقكم ان أصررتم عليه أو منعه من عفوه عنكم ان عفا ان أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم وهذا من الله جل ثناؤه حث لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوبة والمراجعة الى أمر الله فى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم يقول لهم بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يغفر للتائبين وكان الله غفورا رحيما يقول ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين اليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيقول يا محمد المخلفون فى أهليهم عن صحبتك اذا سرت معتمرا تريد بيت الله الحرام اذا انطلقت أنت ومن صحبك فى سفرك ذلك الى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة لتأخذوها وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر ذرونا نتبعكم الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها يريدون أن يبدلوا كلام الله يقول يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم ووعدهم ذلك عوضا من غنائم أهل مكة اذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيأ * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال رجع يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة فوعده الله مغانم كثيرة فعجلت له خيبر فقال المخلفون ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله وهى المغانم ليأخذوها التى قال الله جل ثناؤه اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها وعرض عليهم قتال قوم أولى بأس شديد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل من أصحابه عن مقسم قال لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية لم يعط أحدا غيرهم منها شيأ فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله يقول ما وعدهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيقول المخلفون اذا انطلقتم الآية وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ذكر لنا أن المشركين لما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية عن المسجد الحرام والهدى قال المقداد يا نبى الله إنا والله لا نقول كالملا من بنى اسرائيل اذ قالوا لنبيهم اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فلما سمع ذلك أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم تبايعوا على ما قال فلما رأى ذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم صالح قريشا و رجع من عامه ذلك * وقال آخرون بل عنى بقوله يريدون أن يبدلوا كلام الله ارادتهم الخروج مع نبى الله صلى الله عليه وسلم فى غزوه وقد قال الله تبارك وتعالى فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم الآية قال الله عز وجل حين رجع من غزوه فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا

ولن

وقريش فى ذلك وكادوا يتواثبون فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالاجابة فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغى من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة مجتازا الى مصر والشام أو يبتغى من فضل الله فهو على دمه وأهله آمن وعلى أنه من جاء محمدا من قريش فهو اليهم رد ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم فاشتد ذلك على المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فان علم الله منه الاسلام جعل له مخرجا فلما فرغوا من الهدنة نحر النبى صلى الله عليه وسلم وحلق وفعل أصحابه ذلك فنزل عليه فى طريقه فى هذا الشأن انا فتحنا لك فتحا مبينا يريد ما كان من أمر الحديبية والفتح قد يكون بالصلح وقيل كان هذا الفتح عن ترام بالحجارة ولم يكن قتال شديد وقيل المراد به فتح مكة وعده الله ذلك بلفظ الماضى على عادة اخبار الله وقال ابن عيسى الفتح الفرج المزيل للهم ومنه فتح المسئلة اذا انفرجت عن بيان يؤدى الى الثقة وقيل وهو قول قتادة الفتح القضاء والحكم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة أى حكمنا لك بهذه المهادنة وأرشدناك الى الاسلام ليغفر لك الله قال أهل النظم لأول هذه السورة مناسبة تامة مع آخر السورة المتقدمة وذلك أنه قال ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا الى آخره فبين بعد ذلك أنه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم أضعاف ما أنفقوا

ولن تقاتلوا معى عدوّا الآية يريدون أن يبدلوا كلام الله أرادوا أن يغيروا كلام الله الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم و يخرجوا معه وأبى الله ذلك عليهم و نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا الذى قاله ابن زيد قول لا وجه له لأن قول الله عز وجل فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوّا انما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وعنى به الذين تخلفوا عنه حين توجه الى تبوك لغزو الروم ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبوك كانت بعد فتح خيبر و بعد فتح مكة أيضا فكيف يجوز أن يكون الأمر على ماوصفنا معنيا بقول الله يريدون أن يبدّلوا كلام الله وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ شخص معتمرا يريد البيت فصدّه المشركون عن البيت الذين تخلفوا عنه فى غزوة تبوك وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية ولا كان أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوّا فاذ كان ذلك كذلك فالصواب من القول فى ذلك ما قاله مجاهد وقتادة على ماقد بينا * واختلفت القراء فى قراءة قوله يريدون أن يبدّلوا كلام الله فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة كلام الله على وجه المصدر باثبات الالف وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة كلم الله بغير ألف بمعنى جمع كلمة وهما عندنا قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كنت الى قراءته بالألف أميل وقوله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد لن تتبعونا الى خيبر اذا أردنا السير اليهم لقتالهم كذلكم قال الله من قبل يقول هكذا قال الله لنا من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا ولستم ممن شهدها فليس لكم أن تتبعونا الى خيبر لأن غنيمتها لغيركم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلكم قال الله من قبل أى انما جعلت الغنيمة لأهل الجهاد وانما كانت غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب وقوله فسيقولون بل تحسدوننا يقول تعالى ذكره فسيقول لك ولأصحابك يا محمد هؤلاء المخلفون من الأعراب اذا قلتم لهم لن تتبعونا الى الجهاد وقتال العدوّ بخيبر كذلكم قال الله من قبل بل تحسدوننا أن نصيب معكم مغنما ان نحن شهدنا معكم فلذلك تمنعوننا من الخروج معكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فسيقولون بل تحسدوننا أن نصيب معكم غنائم وقوله بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما الامر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم انما تمنعونهم من اتباعكم حسدا منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدو مغنما بل كانوا لا يفقهون عن الله مالهم وعليهم من أمر الدين الا قليلا يسيرا ولو عقلوا ذلك ماقالوا لرسول الله والمؤمنين به وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر انما تمنعوننا من صحبتكم اليها لأنكم تحسدوننا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمخلفين من الاعراب عن المسير معك ستدعون الى قتال قوم أولى بأس فى القتال شديد واختلف أهل التأويل فى هؤلاء الذين اخبر الله عز وجل عنهم أن هؤلاء المخلفين من الاعراب يدعون الى قتالهم فقال

ولو بخلوا لضاعت عنهم هذه الفوائد وأيضا لما قال وأنتم الأعلون بين برهانه بصلح الحديبية أو بفتح مكة وكان فى قوله وتدعوا الى السلم اشارة الى ما جرى يوم الحديبية من أن المسلمين صبروا الى أن طلب المشركون الصلح * سؤال ما المناسبة بين الفتح والمغفرة حتى جعلت غاية له الجواب الغاية هى مجموع المغفرة وما ينعطف عليها كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة وغيره من الفتوح ليجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل و يجوز أن تكون الفتوح من حيث انها جهاد للعدو سببا للغفران والثواب قال جار الله وقيل تقدير الكلام انا فتحنا لك فاستغفره ليغفر لك كقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله واستغفره وقيل ان فتح مكة كان سببا لتطهير البيت من رجس الأوثان وتطهير بيته سبب لتطهير عبده وأيضا بالفتح يحصل الحج و بالحج تحصل المغفرة كما ورد فى الأخبار خرج كيوم ولدته أمه وأيضا ان الناس قد علموا عام الفيل أن مكة لا يتسلط عليها عدو الله فلما فتحت للرسول صلى الله عليه وسلم عرف أنه حبيب الله المغفور له أما الذنب فقيل أراد به ذنب المؤمنين من أمته أو أريد به ترك الأفضل والصغائر سهوا أو عمدا ومعنى ما تأخر أى عن الفتح أو ما تقدم عن النبوة وتأخر عنها وقيل ما تقدم ذنب أبويه آدم وحواء وما تأخر ذنب أمته وقيل أراد جميع الذنوب فحذ أولها وآخرها أو هو على وجه المبالغة كما تقول أعطى من رأى ومن لم يره وقيل ما تقدم من أمر مارية

بعضهم هم أهل فارس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبدالله بن أبي نجيح عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أولى بأس شديد أهل فارس حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى قال أخبرنا داود بن الزبرقان عن ثابت البنانى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى فى قوله ستدعون الى قوم أولى بأس شديد قال فارس والروم * قال أخبرنا داود عن سعيد عن الحسن مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن فى قوله ستدعون الى قوم أولى بأس شديد قال هم فارس والروم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أولى بأس شديد قال هم فارس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ستدعون الى قوم أولى بأس شديد قال قال الحسن دعوا الى فارس والروم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ستدعون الى قوم أولى بأس شديد قال فارس والروم * وقال آخرون هم هوازن بحنين ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير وعكرمة فى قوله ستدعون الى قوم أولى بأس شديد قال هوازن حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وعكرمة فى هذه الآية ستدعون الى قوم أولى بأس شديد قال هوازن وثقيف حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون قال هي هوازن وغطفان يوم حنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد فدعوا يوم حنين الى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الاجابة ورغب فى الجهاد * وقال آخرون بل هم بنو حنيفة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى أولى بأس شديد قال بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وعكرمة أنهما كانا يزيدان فيه هوازن وبنى حنيفة * وقال آخرون لم تأت هذه الآية بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن أبي هريرة ستدعون الى قوم أولى باس شديد لم تأت هذه الآية * وقال آخرون هم الروم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان بن عمرو قال ثنا الفرج ابن محمد الكلاعى عن كعب قال أولى بأس شديد قال الروم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلفين من الأعراب أنهم سيدعون الى قتال قوم أولى بأس فى القتال ونجدة فى الحروب ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعنىّ بذلك هوازن ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم ولا أعيان بأعيانهم وجائز أن يكون عنى بذلك بعض هذه الأجناس وجائز أن يكون عنى بهم غيرهم ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جل ثناؤه انهم سيدعون الى قوم أولى بأس شديد وقوله تقاتلونهم أو يسلمون يقول تعالى ذكره للمخلفين من الأعراب تقاتلون هؤلاء الذين تدعون الى قتالهم أو يسلمون من غير حرب ولا قتال * وقد ذكر أن ذلك فى بعض القرا آت تقاتلونهم أو يسلموا وعلى هذه القراءة وان كانت على خلاف مصاحف أهل الأمصار وخلافا لما عليه الحجة من القراء وغير جائز عندى القراءة بها لذلك تأويل ذلك تقاتلونهم أبدا الا أن يسلموا أو حتى يسلموا وقوله فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا يقول تعالى

وما تأخر من أمر زينب وهو قول سخيف لعدم التئام الكلام ظاهرا والاولى أن يقال ما تقدم النبوة بالعفو وما تأخر عنها بالعصمة (ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك لقوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ومن اتمام النعمة تكليف الحج وقد تم يومئذ ولم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم عدو من قريش فان كثيرا منهم قد أهلكوا يوم بدر والباقين آمنوا واستأمنوا يوم الفتح وقيل اتمام النعمة فى الدنيا باستجابة الدعاء فى طلب الفتح وفى الآخرة بقبول الشفاعة (ويهديك صراطا مستقيما) أى يثبتك ويهديك عليه فان الفتح لا يكون الا لمن هو على صراط الله ولعل المراد بهذا الخطاب هو أمته والنصر العزيز ذو العزة وهو الذى لا ذل بعده أو هو بمعنى المعز أو الممتنع على الغير وهو النفيس الذى لا يناله كل أحد وفى الآية تفخيم شأن الفتح والنصر من وجوه احدها لفظ انا الدال على التعظيم وثانيها لفظ لك الدال على الاختصاص وثالثها اعادة اسم الله فى الموضعين اولا وآخرا ثم بين سبب النصر بقوله (هو الذى أنزل السكينة) وهى السكون والوقار والطمأنينة والثقة بوعد الله كما مر فى البقرة وفى التوبة (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أى يقينا مع يقينهم او ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله وعن ابن عباس أن أول ما أتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلاة ثم الزكاة ثم الجهاد ثم الحج أو ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطرى

ذكره فان تطيعوا الله فى اجابتكم اياه اذا دعاكم الى قتال هؤلاء القوم الاولى البأس الشديد فتجيبوا الى قتالهم والجهاد مع المؤمنين يؤتكم الله أجرا حسنا يقول يعطكم الله على اجابتكم اياه الى حربهم الجنة وهى الاجر الحسن • ان تتولوا كما توليتم من قبل يقول وان تعصوا ربكم فتدبروا عن طاعته وتخالفوا أمره فتتركوا قتال الاولى البأس الشديد اذا دعيتم الى قتالهم كما توليتم من قبل يقول كما عصيتموه فى أمره اياكم بالمسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة من قبل أن تدعوا الى قتال أولى البأس الشديد يعذبكم الله عذابا أليما يعنى وجيعا وذلك عذاب النار على عصيانكم اياه وترككم جهادهم وقتالهم مع المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق ولا على الأعرج ضيق ولا على المريض ضيق ان يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين وشهود الحرب معهم اذا هم لقوا عدوهم للعلل التى بهم والاسباب التى تمنعهم من شهودها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال هذا كله فى الجهاد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثم عذر الله أهل العذر من الناس فقال ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال فى الجهاد فى سبيل الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ليس على الأعمى حرج الآية يعنى فى القتال وقوله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله فيجيب الى حرب أعداء الله من أهل الشرك والى القتال مع المؤمنين ابتغاء وجه الله اذا دعى الى ذلك يدخله الله يوم القيامة جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يقول ومن يعص الله ورسوله فيتخلف عن قتال أهل الشرك بالله اذا دعى اليه ولم يستجب لدعاء الله ورسوله يعذبه عذابا موجعا وذلك عذاب جهنم يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما﴾ يقول تعالى ذكره لقد رضى الله يا محمد عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة يعنى بيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب وعلى أن لا يفروا ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة وكانت بيعتهم اياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة وكان سبب هذه البيعة ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه برسالة الى الملا من قريش فأبطأ عثمان عليه بعض الابطاء فظن انه قد قتل فدعا أصحابه الى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت فبايعوه على ذلك وهذه البيعة التى تسمى بيعة الرضوان وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر فى قول بعضهم ألفا وأربعمائة وفى قول بعضهم ألفا وخمسمائة وفى قول بعضهم ألفا وثلثمائة ذكر الرواية بما وصفنا من سبب هذه البيعة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له وذلك حين نزل الحديبية فعقروا به

وعلى هذا ففائدة قوله مع ايمانهم أن الفطرة تشهد بالايمان فلما عرفوا صحة الايمان بالنظر والاستدلال انضم هذا الثانى الى الأول وجنود السموات والأرض ملائكتهما ويمكن أن يراد بمن فى الارض الثقلان والحيوان غير الانسان ويحتمل أن يراد بالجنود معنى أعم وهو الأسباب الأرضية والسماوية فيدخل فيهما الصيحة والرجفة وظن السوء هو ظنهم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم او أن الله تعالى لا ينصرهم على أعدائهم أو أن لله شريكا أو أنه لا يقدر على احياء الموتى ومعنى دائرة السوء أن ضرر ظنهم يعود اليهم ويدور عليهم وقد مر فى سورة التوبة قال بعض العلماء ضم المؤمنات ههنا الى المؤمنين بخلاف قوله قد أفلح المؤمنون وبشر المؤمنين ونحو ذلك والسر فيه أن كل موضع يوهم اختصاص الرجال به مع كون النساء مشاركات لهم ذكرهن صريحا نفيا لهذا التوهم وكل موضع لا يوهم ذلك اكتفى فيه بذكر الرجال لانهم الأصل فى اكثر الأحكام والتكاليف مثلا من المعلوم أن البشارة والنذارة عامة للناس قاطبة فلم يحتج فيهما الى ذكر النساء بخلاف هذه الآية فان ادخال الجنة يوهم أنه لأجل الجهاد مع العدو والفتح على أيديهم والمرأة لا جهاد عليها فكان يظن أنهن لا يدخلن الجنات فنفى الله تعالى هذا الوهم وكذا الكلام فى تعذيب المنافقات والمشركات * نكتة الجنود المذكورة أولا هى جنود الرحمة فكانوا سببا لادخال المؤمنين الجنة بالاكرام والتعظيم ثم البأسهم

جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فحدثني من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاءله فقال يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليهم ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان ابن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته فحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل * قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل قال لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكنه بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بني سلمة كان جابر بن عبد الله يقول لكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قد اختبأ اليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل حدثنا محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا موسى بن عبيدة عن اياس بن سلمة قال قال سلمة بينما نحن قائلون زمن الحديبية نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس صلوات الله عليه قال فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة قال فبايعناه وذلك قول الله لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن عامر قال كان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا همام عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كان جدي يقال له حزن وكان ممن بايع تحت الشجرة فأتيناها من قابل فعميت علينا حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشج أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما استطعتم والشجرة التي بويع تحتها بفج نحو مكة وزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا هذا التكلف فذهبت الشجرة وكانت سمرة إما ذهب بها سيل وإما شيء سوى ذلك * ذكر عدد الذين بايعوا هذه البيعة وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في عددهم ونذكر الروايات عن قائلي المقالات التي ذكرناها ان شاء الله تعالى ذكر من قال عددهم ألف وأربعمائة حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي

خلع الكرامة لقوله ويكفر عنهم سيآتهم ثم تشريفهم بالفوز العظيم من الله كما قال وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وأما الكافر فعكس منه الترتيب أخبر بتعذيبهم أولا على الاطلاق ثم فصل بأنه يغضب عليهم أولا ثم يوبقهم في حيز اللعن والبعد عن الرحمة ثم يسلط عليهم ملائكة العذاب الذين هم جنوده كما قال عليها ملائكة غلاظ شداد ولا ريب أن كل ذلك على قانون الحكمة الا انه قرن العلم في الأول الى الحكمة تنبيها على أن انزال السكينة وازديادا يمان المؤمنين وترتيب الفتح على ذلك كانت كلها ثابتة في علم الله جارية على وفق الحكمة وقرن العز بالحكمة ثانيا لأن العذاب والغضب وسلب الأموال والغنائم يناسب ذكر العزة والغلبة والقهر زادنا الله اطلاعا على أسرار قرآنه الكريم وفرقانه العظيم ثم مدح رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر فائدة بعثته ليرتب عليه ذكر البيعة فقال (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك (ومبشرا ونذيرا) وقدمر في سورة الأحزاب مثله الا أن قوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) قائم مقام قوله هناك وداعيا الى الله باذنه من قرأ على الغيبة فظاهر وأما من قرأ على الخطاب فلتنزيل خطاب النبي منزلة خطاب المؤمنين وقوله (وتعزروه وتوقروه) كلاهما بمعنى التعظيم من العزو الوقار ينوب منابه قوله هناك وسراجا منيرا وذلك أن النور متبع والتبجيل والتعظيم دليل المتبوعية وقال جار الله الضمائر كلها لله عز وجل وتعظيم الله تعظيم دينه ورسوله وقوله (وتسبحوه)

قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفرّ ولم نبايعه على الموت قال فبايعناه كلنا إلا الجدّ بن قيس اختبأ تحت إبط ناقته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرني القاسم بن عبد الله بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنهم كانوا يوم الحديبية أربع عشرة مائة فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعنا غير الجد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت إبط بعيره قال جابر بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت حدثنا يوسف بن موسى القطان قال ثنا هشام ابن عبد الملك وسعيد بن شرحبيل المصري قالا ثنا ليث بن سعد المصري قال ثنا أبو الزبير عن جابر قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت يعني النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عديّ عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قيل له ان جابر بن عبد الله يقول ان أصحاب الشجرة كانوا ألفا وخمسمائة قال سعيد نسي جابر هو قال لي كانوا ألفا وأربعمائة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة * ذكر من قال كان عدتهم ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فجعلت لهم مغانم خيبر كانوا يومئذ خمس عشرة مائة وبايعوا على أن لا يفرّوا عنه * ذكر من قال كانوا ألفا وثلثمائة حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله ابن أبي أوفى يقول كانوا يوم الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين وقوله فعلم ما في قلوبهم يقول تعالى ذكره فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك اذ يبايعونك تحت الشجرة من صدق النية والوفاء بما يبايعونك عليه والصبر معك فأنزل السكينة عليهم يقول فأنزل الطمأنينة والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم أي الصبر والوقار وقوله وأثابهم فتحا قريبا يقول وعوّضهم في العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحا قريبا وذلك فيما قيل فتح خيبر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى وأثابهم فتحا قريبا قال خيبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأثابهم فتحا قريبا وهي خيبر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله وأثابهم فتحا قريبا قال بلغني أنها خيبر وقوله ومغانم كثيرة يأخذونها يقول تعالى ذكره وأثاب الله هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم وانزاله السكينة عليهم واثابته اياهم فتحا قريبا معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر فان الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان دون غيرهم وقوله وكان الله عزيزا حكيما يقول وكان الله ذا عزة في انتقامه ممن انتقم من أعدائه حكيما في تدبيره

من التسبيح أو من السبحة وهي صلاة التطوع و (بكرة وأصيلا) للدوام أو المراد صلاة الفجر والعصر وحدها أو مع الظهر قاله ابن عباس (ان الذين يبايعونك) هي بيعة الرضوان تحت الشجرة كما يجيء في السورة وقيل ليلة العقبة وفيه بعد وسماها مبايعة تشبيها بعقد البيع نظيره ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم (انما يبايعون الله) لأن طاعة الرسول هي طاعة الله في الحقيقة ثم أكد هذا المعنى بقوله (يد الله فوق أيديهم) قال أهل المعاني هذا تمثيل وتخييل ولا جارحة هناك وقيل اليد النعمة أي نعمة الله عليهم بالهداية فوق احسانهم الى الله باجابة البيعة كما قال يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم قال القفال هو من قوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى يريد بالعليا المعطية أي الله يعطيهم ما يكون له به الفضل عليهم وقيل اليد القوة أي نصرته اياهم فوق نصرتهم لرسوله وقيل يد الله بمعنى الحفظ فان المتوسط بين المتبايعين يضع يده فوق يدهما فلا يترك أن تتفارق أيديهما حتى يتم البيع والمراد أن الله تعالى يحفظهم على بيعتهم ثم زجرهم من نقض العهد وحثهم على الوفاء بقوله (فمن نكث) الى آخره والنكث والنقض أخوان وقوله (فانما ينكث على نفسه) أي لا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد ابن قيس وكان منافقا اختبأ

خلقه وتصريفه اياهم فيما شاء من قضائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا﴾ يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان وعدكم الله أيها القوم مغانم كثيرة تأخذونها اختلف أهل التأويل فى هذه المغانم التى ذكر الله أنه وعدها هؤلاء القوم أى المغانم هى فقال بعضهم هى كل مغنم غنمها الله المؤمنين به من أموال أهل الشرك من لدن أنزل هذه الآية على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها قال المغانم الكثيرة التى وعدوا ما يأخذونها الى اليوم وعلى هذا التأويل يحتمل الكلام أن يكون مرادا بالمغانم الثانية المغانم الاولى ويكون معناه عند ذلك فأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وعدكم الله أيها القوم هذه المغانم التى تأخذونها وأنتم اليها واصلون عدة فجعل لكم الفتح القريب من فتح خيبر ويحتمل أن تكون الثانية غير الاولى وتكون الاولى من غنائم خيبر والغنائم الثانية التى وعدهموها من غنائم سائر أهل الشرك سواهم * وقال آخرون هذه المغانم التى وعد الله هؤلاء القوم هى مغانم خيبر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها قال يوم خيبر قال كان أبى يقول ذلك وقوله فعجل لكم هذه اختلف أهل التأويل فى التى عجلت لهم فقال جماعة غنائم خيبر والمؤخرة سائر فتوح المسلمين بعد ذلك الوقت الى قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فعجل لكم هذه قال عجل لكم خيبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فعجل لكم هذه وهى خيبر * وقال آخرون بل عنى بذلك الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فعجل لكم هذه قال الصلح * وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد وهو أن الذى أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة ولم يفتحوا فتحا أقرب من بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية اليها من فتح خيبر وغنائمها وأما قوله وعدكم الله مغانم كثيرة فهى سائر المغانم التى غنمهموها الله بعد خيبر كغنائم هوازن وغطفان وفارس والروم وانما قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر لأن الله أخبر أنه عجل لهم هذه التى أثابهم من مسيرهم الذى ساروه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ولما علم من صحة نيتهم فى قتال أهلها اذ بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يفروا عنه ولا شك أن التى عجلت لهم غير التى لم تعجل لهم وقوله وكف أيدى الناس عنكم يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان وكف الله أيدى المشركين عنكم ثم اختلف أهل التأويل فى الذين كفت أيديهم عنهم من هم فقال بعضهم هم اليهود كف الله أيديهم عن عيال الذين ساروا من المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكف أيدى الناس عنكم عن بيوتهم وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا الى الحديبية والى خيبر وكانت خيبر فى ذلك الوجه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور

تحت ابط ناقته ولم يثر مع القوم ثم بين ما يعلم منه اعجاز القرآن لأنه أخبر عن الغيب وقد وقع مطابقا وله فى السورة نظائر فقال (سيقول لك المخلفون) هم أسلم ومزينة وجهينة وغفار وقيل سموا مخلفين لأن التوفيق خلفهم ولم يعتد بهم والظاهر أنهم سموا بذلك لانه صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر الأعراب وأهل البوادى حذرا من قريش أن يصدوه عن البيت فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب الى قوم قصدوه فى داره بالمدينة وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة فاعتلوا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا وقالوا (شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا) سل الله أن يغفر لنا تخلفنا عنك وان كان عن عذر فكذبهم الله بقوله (يقولون بألسنتهم) وقوله شيأ من الضر كقتل وهزيمة ولا يوصل اليهم نفعا الا ما شاء الله وانما قال ههنا بزيادة لفظة لكم لانه فى قوم بأعيانهم بخلاف المائدة فانه عام لقوله أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ثم رد قولهم اللسانى فقال (بل كان الله بما تعملون خبيرا) ثم رد اعتذارهم الواهى بقوله (بل ظننتم) الآية والبور جمع بائر أى هالك والباقى واضح الى قوله رحيما وفيه بيان كمال قدرته على تعذيب الكافرين مع أن مغفرته ذاتية ورحمته سابقة وقوله (سيقولون المخلفون) انما لم يقل هنا لك لأن المخاطبين هم المؤمنون كلهم لا النبى وحده وجمهور المفسرين على أن هؤلاء هم المخلفون المذكورون

عن معمر عن قتادة فى قوله وكف أيدى الناس عنكم قال كف أيدى الناس عن عيالهم بالمدينة * وقال آخرون بل عنى بذلك أيدى قريش اذ حبسهم الله عنهم فلم يقدروا لهم على مكروه والذى قاله قتادة فى ذلك عندى أشبه بتأويل الآية وذلك أن كف الله أيدى المشركين من أهل مكة عن أهل الحديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية فى قوله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة فعلم بذلك أن الكف الذى ذكره الله تعالى فى قوله وكف أيدى الناس عنكم غير الكف الذى ذكره الله بعد هذه الآية فى قوله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة وقوله ولتكون آية للمؤمنين يقول وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وكلاءتهم فى مشهدهم ومغيبهم ويتقوا الله فى أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته منتهين الى أمره ونهيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ولتكون آية للمؤمنين يقول وذلك آية للمؤمنين كف أيدى الناس عن عيالهم ويهديكم صراطا مستقيما يقول ويسددكم أيها المؤمنون طريقا واضحا لا اعوجاج فيه فيبينه لكم وهو أن تثقوا فى أموركم كلها بربكم فتتوكلوا عليه فى جميعها ليحوطكم حياطته اياكم فى مسيركم الى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنفسكم وأهليكم وأموالكم فقد رأيتم أثر فعل الله بكم اذ وثقتم فى مسيركم هذا وقوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها يقول تعالى ذكره ووعدكم أيها القوم ربكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا على فتحها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها لكم واختلف أهل التأويل فى هذه البلدة الأخرى والقرية الأخرى التى وعدهم فتحها التى أخبرهم أنه محيط بها فقال بعضهم هى أرض فارس والروم وما يفتحه المسلمون من البلاد الى قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن سماك الحنفى قال سمعت ابن عباس يقول وأخرى لم تقدروا عليها فارس والروم * قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبى ليلى أنه قال فى هذه الآية وأخرى لم تقدروا عليها قال فارس والروم حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال ثنا شعبة بن الحجاج عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها قال حدث عن الحسن قال هى فارس والروم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأخرى لم تقدروا عليها ما فتحوا حتى اليوم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله وأخرى لم تقدروا عليها قال فارس والروم * وقال آخرون بل هى خيبر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وأخرى لم تقدروا عليها الآية قال هى خيبر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها يعنى خيبر بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فقال لا تمثلوا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها قال خيبر قال لم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأخرى لم تقدروا عليها يعنى أهل خيبر

فيما تقدم وقوله (الى مغانم) هى مغانم خيبر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد أهل الحديبية أن غنائم أهل خيبر لهم خصوصا من غاب منهم ومن حضر بدل تعب السفر فى العمرة التى صدهم المشركون عنها وزاد الزهرى فقال وان حضرها من غيرهم من الناس قالوا ولم يغب منهم عنها أحد الا جابر ابن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر وكان انصراف النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى الحجة فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر وخرج معه من شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة وجعلها لهم خاصة وكان قبل ذلك وعد النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه غنائم خيبر فسمع المنافقون ذلك فقالوا للمؤمنين (ذرونا نتبعكم) فمنعهم النبى صلى الله عليه وسلم لأن الله أمره أن لا يخرج الى خيبر الا أهل الحديبية وذلك قوله (يريدون أن يبدلوا كلام الله) فقال الله لنبيه (قل لن تتبعونا) أى فى خيبر وقيل عام فى غزواته (كذلكم قال الله من قبل) أى قبل انصرافهم الى المدينة (فسيقولون) ردا على النبى والمؤمنين ان الله لم يأمركم به (بل تحسدوننا) أن نشارككم فى الغنيمة فرد الله عليهم ردهم بقوله (بل كانوا لا يفقهون الا) فهما (قليلا) وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين أو هو فهمهم من قوله قل لن تتبعونا مجرد النهى فحملوه على الحسد ولم يعلموا أن المراد هو أن هذا الاتباع لا يقع أصلا لأن الصادق قد أخبر بنفيه وذهب جماعة من المفسرين

* وقال آخرون بل هي مكة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها كنا نحدث أنها مكة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وأخرى لم تقدروا عليها قال بلغنا أنها مكة وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة أنه محيط بقرية لم يقدروا عليها ومعقول أنه لا يقال لقوم لم يقدروا على هذه المدينة الا أن يكونوا قد راموها فتعذرت عليهم فأما وهم لم يروموها فتتعذر عليهم فلا يقال انهم لم يقدروا عليها فاذ كان ذلك كذلك وكان معلوما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبر لحرب ولا وجه اليها لقتال أهلها جيشا ولا سرية علم أن المعنيّ بقوله وأخرى لم تقدروا عليها غيرها وأنها هي التي قد عالجها ورامها فتعذرت فكانت مكة وأهلها كذلك وأخبر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها وأنه فاتحها عليهم وكان الله على كل ما يشاء من الاشياء ذا قدرة لا يتعذر عليه شئ شاءه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرضوان ولو قاتلكم الذين كفروا بالله أيها المؤمنون بمكة لولوا الأدبار يقول لانهزموا عنكم فولوكم أعجازهم وكذلك يفعل المنهزم من قرنه في الحرب ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يقول ثم لا يجد هؤلاء الكفار المنهزمون عنكم المولوكم الأدبار وليا يواليهم على حربكم ولا نصيرا ينصرهم عليكم لأن الله تعالى ذكره معكم ولن يغلب حزب الله ناصره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار يعني كفار قريش قال الله ولا يجدون وليا ولا نصيرا ينصرهم من الله وقوله سنة الله التي قد خلت من قبل يقول تعالى ذكره لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم وأخرج قوله سنة الله نصبا من غير لفظه وذلك أن في قوله لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا معنى سننت فيهم الهزيمة والخذلان فلذلك قيل سنة الله مصدرا من معنى الكلام لا من لفظه وقد يجوز أن تكون تفسيرا لما قبلها من الكلام وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا بل ذلك دائم للاحسان جزاؤه من الاحسان وللاساءة والكفر العقاب والنكال ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لرسوله صلى الله عليه وسلم والذين بايعوا بيعة الرضوان وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أن الله كف أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يلتمسون غرتهم ليصيبوا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بهم أسرى فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنّ عليهم ولم يقتلهم فقال الله للمؤمنين وهو الذي كف أيدي هؤلاء المشركين عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال سمعت أبي يقول أخبرنا الحسين بن واقد قال ثني ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في أصل شجرة بالحديبية وعلى ظهره غصن من أغصان

منهم الزجاج الى ان كلام الله ههنا هو قوله في سورة براءة لن تخرجوا معي أبدا واعترض بأن هذا في قصة تبوك التي كانت بعد الحديبية بسنتين باجماع من أهل المغازي وأجاب بعضهم بأن هذه الآية أعني سيقول المخلفون نزلت في غزوة تبوك أيضا وعندي أن الاعتراض غير وارد ولا حاجة الى الجواب المذكور ثم ان الله سبحانه أخبر عن مخلفي الحديبية بأنهم سيدعون الى قوم أولي قوة ونجدة في الحروب وقيل هم هوازن وغطفان وقيل هم الروم غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك والأكثرون على أن القوم أولي البأس الشديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق لانه تعالى قال (تقاتلونهم أو يسلمون) ومشركو العرب والمرتدون هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية هذا عند أبي حنيفة وأما الشافعي فعنده لا تقبل الجزية الا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وقد يستدل بهذا على امامة أبي بكر فانهم لم يدعوا الى حرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته ولا سيما فيمن يزعم أنه نزل فيهم لن تخرجوا معي أبدا اللهم الا أن يقال المراد لن تخرجوا معي ما دمتم على حالكم من مرض القلوب والاضطراب في الدين او أنهم لا يتبعون الرسول الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم قاله مجاهد وقوله أو يسلمون رفع على الاستئناف يعني أو هم يسلمون

الشجرة فرفعتها عن ظهره وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بين يديه وسهيل بن عمرو وهو صاحب المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فأمسك سهيل بيده فقال ما نعرف الرحمن اكتب فى قضيتنا ما نعرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم فكتب فقال هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة فأمسك سهيل بيده فقال لقد ظلمناك ان كنت رسولا اكتب فى قضيتنا ما نعرف قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب وأنا رسول الله فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل خرجتم فى أمان أحد قال فخلى عنهم قال فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن ثابت عن عبد الله بن مغفل قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة التى قال الله فى القرآن وكان غصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فرفعته عن ظهره ثم ذكر نحو حديث محمد بن على عن أبيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من أصحابه أحدا فأخذوا أخذا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل قال ابن حميد قال سلمة قال ابن اسحق ففى ذلك قال وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال أقبل معتمرا نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخذ أصحابه ناسا من أهل الحرم غافلين فأرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم فذلك الاظفار ببطن مكة حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا عبيد الله بن عائشة قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الى آخر الآية وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الآية قال بطن مكة الحديبية (١) فقال له زهم اطلع الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأتوه باثنى عشر فارسا من الكفار فقال لهم نبى الله صلى الله عليه وسلم هل لكم على عهد هل لكم على ذمة قالوا لا فأرسلهم فأنزل الله فى ذلك القرآن وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الى قوله بما تعملون بصيرا * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن ابن أبزى قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم بالهدى وانتهى الى ذى الحليفة قال له عمر يا نبى الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع قال فبعث الى المدينة فلم يدع بها كراعا ولا سلاحا الا حمله فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينه أن عكرمة بن أبى جهل قد خرج عليك فى خمسمائة فقال لخالد بن الوليد يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك

(١) لعل فيه سقطا وفى ابن كثير عن قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زنيم اطلع على التثنية الخ وحرر

ويجوز أن يراد الى أن يسلموا فحين حذف ان رفع الفعل وقيل الاسلام ههنا الانقياد فيشمل اعطاء الجزية أيضا والأجر الحسن فى الدنيا الغنيمة وفى الآخرة الجنة وقيل الغنيمة فقط بناء على أن الآية فى المنافقين وعلى هذا لا يتم الاستدلال على امامة الخلفاء وقوله (من قبل) أى فى الحديبية قال ابن عباس ان أهل الزمانة قالوا يا رسول الله كيف بنا فأنزل الله تعالى (ليس على الأعمى حرج) أى اثم فى التخلف لأنه كالطائر الذى قص جناحه لا يمتنع على من قصده وقدم الأعمى لأن عذره مستمر ولو حضر القتال والأعرج قد يمكنه الركوب والرمى وغير ذلك نعم يتعسر عليه الحرب ماشيا وكذا جودة الكر والفر راكبا وقد يقاس الاقطع على الاعرج ويمكن أن لا يكون الأقطع معذورا لانه نادر الوجود والأعذار المانعة من الجهاد أكثر من هذا وقد ضبطها الفقهاء بأن المانع اما عجز حسى أو عجز حكمى فمن الاول الصغر والجنون والانوثة والمرض المانع من الركوب للقتال لا كالصداع ووجع السن ومنه العرج البين وان قدر على الركوب لأن الدابة قد تهلك وعند أبى حنيفة لا اثر للعرج فى رجل واحدة ومنه فقد البصر ولا يلحق به العور والعشى ومنه عدم وجدان السلاح وآلات القتال ومن الثانى الرق والدين الحال بلا اذن رب الدين ومن أحد أبويه فى الحياة ليس له الجهاد الا باذنه الا اذا كان كافرا والباقى واضح الى قوله لقد رضى الله وبه سميت بيعة الرضوان وبايعونك

في الخيل فقال خالد أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله يا رسول الله ارم بي حيث
شئت فبعثه على خيل فلق عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية
فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله وهو الذي
كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم الى قوله عذابا أليما قال فكف الله النبي عنهم من بعد أن أظفره
عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم
وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا يقول تعالى ذكره وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصيرا لا يخفى عليه
منها شيء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى
معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم
معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ يقول
تعالى ذكره هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله وصدوكم أيها المؤمنون بالله
عن دخول المسجد الحرام وصدوا الهدى معكوفا يقول محبوسا عن أن يبلغ محله فموضع أن
نصب لتعلقه ان شئت بمعكوف وان شئت بصدوا وكان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك
وصدوا الهدى معكوفا كراهية أن يبلغ محله وعنى بقوله تعالى ذكره أن يبلغ محله أن يبلغ محل نحره
وذلك دخول الحرم والموضع الذي اذا صار اليه حل نحره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساق معه حين خرج الى مكة في سفرته تلك سبعين بدنة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال
ثني محمد بن اسحق عن محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن
الحكم أنهما حدثاه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا
وساق الهدى معه سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة * وبنحو
الذي قلنا في معنى قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أي محبوسا أن يبلغ محله وأقبل
نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدى حتى اذا كانوا بالحديبية
صدهم المشركون فصالحهم نبي الله صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك ثم يرجع من
العام المقبل فيكون بمكة ثلاث ليال ولا يدخلها الا بسلاح الراكب ولا يخرج بأحد من أهلها
فنحروا الهدى وحلقوا وقصروا حتى اذا كان من العام المقبل أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة فأقام بها ثلاث ليال وكان المشركون قد فخروا
عليه حين ردوه فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردوه فيه فأنزل الله الشهر
الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص حدثني محمد بن عمارة الأسدي وأحمد بن منصور
الرمادي واللفظ لابن عمارة قالا ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا موسى بن عبيدة عن اياس بن
سلمة بن الأكوع عن أبيه قال بعثت قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وحفص
ابن فلان الى النبي صلى الله عليه وسلم ليصالحوه فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
سهيل بن عمرو قال قد سهل الله لكم من أمركم القوم ماتون اليكم بأرحامهم وسائلوكم الصلح فابعثوا
الهدى وأظهروا التلبية لعل ذلك يلين قلوبهم فلبوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية
فجاؤا فسألوه الصلح قال فبينما الناس قد توادعوا وفي المسلمين ناس من المشركين قال فقيل به
أبو سفيان قال واذا الوادي يسيل بالرجال قال قال اياس قال سلمة فجئت بستة من المشركين

حكاية الحال الماضية والشجرة
كانت سمرة وقيل سدرة روى أنها
عميت عليهم من قابل فلم يدروا
أين ذهبت وعن جابر بن عبد الله
لو كنت أبصر لأريتكم مكانها (فعلم
ما في قلوبهم) من خلوص النية
(فأنزل السكينة) الطمأنينة والأمن
عليهم (وأثابهم) جازاهم عن
الاخلاص في البيعة (فتحا قريبا)
هو فتح خيبر غب انصرافه من
الحديبية كما ذكرناه وقيل هو فتح
مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هي
مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار
وأموال فقسمها عليهم (وعدكم الله
مغانم كثيرة) هي التي أصابوها
مع النبي صلى الله عليه وسلم او بعده
الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه)
يعني غنيمة خيبر (وكف أيدي
الناس عنكم) يعني أيدي أهل خيبر
وحلفائهم من أسد وغطفان جاؤا
لنصرتهم فقذف الله الرعب في قلوبهم
وقيل أيدي أهل مكة بالصلح
وقيل أيدي اليهود حين خرجتم
وخلفتم عيالكم بالمدينة وهمت اليهود
بهم فمنعهم الله قوله (ولتكون آية) أي
لتكون هذه الغنيمة المعجلة دلالة
على ما وعدهم الله من الغنائم أو دلالة
على صحة النبوة من حيث انه أخبر
بالفتح القريب وقد وقع مطابقا
وقيل الضمير للكف والتأنيث
لأجل تأنيث الخبر أو بتقدير الكفة
ويهديكم ويثبتكم ويزيدكم بصيرة
قوله (وأخرى) أي وعدكم الله مغانم
أخرى عن ابن عباس هي فتوح
فارس والروم أو يقال مغانم هوازن
في غزوة حنين لم يظنوا أن يقدروا
عليها لما فيها من الهزيمة ثم الرجوع
مرة بعد أخرى قد أحاط الله بها علما

متسلحين أسوقهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فأتيت بهم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسلب ولم يقتل وعفا قال فشددنا على من فى أيدى المشركين منا فما تركنا فى أيديهم منا رجلا الا استنقذناه قال وغلبنا على من فى أيدينا منهم ثم ان قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وحو يطبا فولوا صلحهم وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا فى صلحه فكتب على بينهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماصالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا صالحهم على أنه لا اهلال ولا امتلال وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حاجا أو معتمرا أو يبتغى من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازا الى مصر أو الى الشام يبتغى من فضل الله فهو آمن على دمه وماله وعلى أنه من جاء محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش فهو اليهم ردّ ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم فاشتدّ ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فعلم الله الاسلام من نفسه جعل له مخرجا فصالحوه على أنه يعتمر فى عام قابل فى هذا الشهر لا يدخل علينا بخيل ولا سلاح الا ما يحمل المسافر فى قرابه يثوى فينا ثلاث ليال وعلى أن هذا الهدى حيثما حبسناه محله لا يقدمه علينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن نسوقه وأنتم تردّون وجوهه فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الهدى وسار الناس حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا موسى قال أخبرنى أبو مرة مولى أم هانئ عن ابن عمر قال كان الهدى دون الجبال التى تطلع على وادى الثنية عرض له المشركون فردّوا وجوهه قال فنحر النبي صلى الله عليه وسلم الهدى حين حبسوه وهى الحديبية وحلق وتأسى به أناس حين رأوه حلق وتربص آخرون فقالوا لعلنا نطوف بالبيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين قيل والمقصرين قال رحم الله المحلقين قيل والمقصرين قال والمقصرين حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن ذر الهمدانى عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عمر كلها فى ذى القعدة يرجع فى كلها الى المدينة منها العمرة التى صدّ فيها الهدى فنحره فى محله عند الشجرة وشارطوه أن يأتى فى العام المقبل معتمرا فيدخل مكة فيطوف بالبيت ثلاثة أيام ثم يخرج ولا يحبسون عنه أحدا قدم معه ولا يخرج من مكة بأحد كان فيها قبل قدومه من المسلمين فلما كان من العام المقبل دخل مكة فأقام بها ثلاثا يطوف بالبيت فلما كان اليوم الثالث قريبا من الظهر أرسلوا اليه ان قومك قد آذاهم مقامك فنودى فى الناس لا تغرب الشمس وفيها أحد من المسلمين قدم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه حتى اذا كانوا بذى الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم بالعمرة وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الأشطاط قريبا من قعيقعان أتاه عينه الخزاعى فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد جمعوا لك الأحابيش وجمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أترون أن نميل على ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محزونين وان لحوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أنا نؤم البيت فمن صدّنا عنه قاتلناه فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله انا لم نأت لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فروحوا اذا وكان أبو هريرة يقول ما رأيت

أنها ستصير لكم قال جار الله يجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط أى وقضى الله أخرى قد أحاط بها ويجوز فيها الرفع على الابتداء لكونها موصوفة بالجملة وقد أحاط خبره وجوز الجر باضمار رب ثم بين أن نصر الله اياهم فى صلح الحديبية أو فى فتح خيبر لم يكن اتفاقيا بل كان الهيا سماويا فقال (ولو قاتلكم) الى آخره والسر فيه أن الله كتب وأوجب غلبة حزبه ونصر رسله كما قال سنة الله الى آخره عن أنس أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم واستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة وهو الحديبية لانها من أرض الحرم وقيل هو التنعيم وقيل اظفاره دخوله بلادهم بغير اذنهم وعن عبد الله بن مغفل المزنى قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة التى ذكرها الله فى القرآن فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل كنتم فى عهد أحد وهل جعل لكم أحد أمانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل الله الآية وانما قدم كف أيدى الكفار عن المؤمنين لأنهم أهم وقيل كف أيديكم بأن أمركم أن لا تحاربوا وكف أيديهم بالقاء الرعب أو بالصلح

أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم فراحوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فقال ما حل فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت وماذاك لها بخلق ولكنها حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسي بيده لا يسألونى خطة يعظمون بها حرمات الله الا أعطيتهم اياها ثم زجرت فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء انما يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس أن نزحوه فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينماهم كذلك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نأت لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددناهم مدة و يخلوا بيني و بين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذى نفسي بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره فقال بديل سنبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال سفهاؤهم لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشئ وقال ذو الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالولد قالوا بلى قال أولست بالوالد قالوا بلى قال فهل أنتم تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلي و ولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آته فقالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من مقالته لبديل فقال عروة عند ذلك أى محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله انى لأرى وجوها وأوباشا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال أبو بكر امصص بظر اللات واللات طاغية ثقيف الذى كانوا يعبدون أنحن نفر وندعه فقال من هذا فقالوا أبو بكر فقال أما والذى نفسي بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحيته فرفع رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة قال أى غدر أولست أسعى في غدرتك وكان المغيرة بن شعبة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فقد قبلناه وأما المال فانه مال غدر لا حاجة لنا فيه وان عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه فوالله ان تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك

وقيل ان عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل فقال خالد أنا سيف الله وسيف رسوله ارم بي حيث شئت فبعثه على خيل فلقى عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد فهزمه حتى أدخله جوف مكة فأنزلت الآية وسمى خالد يومئذ سيف الله وروى أن كفار مكة خرجوا يوم الحديبية يرمون المسلمين فرماهم المسلمون بالحجارة حتى أدخلوهم بيوت مكة ثم ذم قريشا بقوله (هم الذين كفروا وصدوكم) يعنى يوم الحديبية (عن المسجد الحرام) أن تطوفوا به للعمرة (و) صدوا (الهدى) أو صدوكم مع الهدى حال كونه (معكوفا) أى محبوسا ممنوعا موقوفا عن (أن يبلغ محله) المعهود وهو منى وقد مر تفسير الهدى ومحله والبحث عنه في البقرة ثم بين حكمة المصالحة بقوله (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) وقوله (لم تعلموهم) صفة الرجال والنساء جميعا على جهة التغليب و (أن تطؤهم) بدل الاشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم والوطء كالدوس عبارة عن الايقاع والاهلاك وقوله (فتصيبكم) جواب النفى أو عطف على أن تطؤهم والمعرة مفعلة من العر العيب كالحرب ونحوه وقوله (بغير علم) متقدم في النية متعلق بأن تطؤهم والفحوى أنه كان بمكة ناس من المسلمين مختلطون بالمشركين فقال سبحانه ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا من المؤمنين فيما بين المشركين وأنتم غير عالمين بحالهم فتصيبكم باهلاكهم

ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم وما يحدّون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله قوم يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز ابن حفص وهو رجل فاجر فجاء فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل ابن عمرو قال أيوب قال عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال الزهرى فجاء سهيل بن عمرو فقال هات نكتب بيننا وبينك كتابا فدعا الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد ابن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى ولكن اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله والله لا يسألونى خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم اياها فقال النبي صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به قال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن لك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله وكيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لى فقال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال صاحبه مكرز وسهيل الى جنبه قد أجرناه لك فقال أبو جندل أى معاشر المسلمين أأرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت كان قد عذب عذابا شديدا فى الله قال عمر بن الخطاب والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت ألست تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى قال فأخبرتك أنك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومتطوف به قال ثم أتيت أبا بكر فقلت أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه فاستمسك بغرزه حتى تموت فوالله انه لعلى الحق قلت أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قال لا قال فانك آتيه ومتطوف به قال الزهرى قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قصته قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منا رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت أم سلمة

تبعة فى الدين لوجوب الدية والكفارة أو عيب بسوء قالة أهل الشرك انهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا أو اثم اذا جرى منكم بعض التقصير لما كف أيديكم عنهم والكلام يدل على هذا الجواب وفى حذفه فخامة وذهاب للوهم كل مذهب ويعلم منه أنه يفعل بهم اذ ذاك ما لا يدخل تحت الوصف وجوزوا أن يكون لو تزيلوا كالتكرير لقوله ولولا رجال لرجعهما الى معنى واحد والتزيل التميز والتفرق ويكون لعذبنا هو الجواب وقوله (ليدخل) تعليل لما دلت عليه الآية من كف الأيدى عن قريش صونا لاهل الايمان المختلطين بهم كأنه قيل كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله مؤمنيهم فى حيز توفيق الخير والطاعة أو ليدخل فى الاسلام من رغب فيه من المشركين وحكى القفال أن اللام متصل بالمؤمنين والمؤمنات أى آمنوا لكذا وقوله (اذ جعل) يجوز أن ينتصب باضمار اذكر أو يكون ظرفا لعذبنا أو لصدوكم وفاعل جعل يجوز أن يكون الله وقوله (فى قلوبهم) بيان لمكان الجعل كما مر فى قوله وأشربوا فى قلوبهم العجل ويجوز أن يكون الذين كفروا ومفعولاه الحمية والظرف فيكون جعلهم فى قلبهم بازاء أنزل الله والحمية فى مقابلة السكينة والحمية الأنفة والاستكبار الذى كان عليها أهل الجاهلية ومن ذلك عدم اقرارهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنه ما جرى فى قصة الحديبية من ابائهم أن يكتب فى كتاب العهد بسم الله الرحمن الرحيم وأن يكتب محمد رسول الله يقال حميت أنفى حمية

يارسول الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل عليه يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر قال فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك قال فنهاهم أن يردوهن وأمرهم ان يردوا الصداق حينئذ قال رجل للزهرى أمن أجل الفروج قال نعم فتزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والاخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسل فى طلبه رجلان فقالا العهد الذى جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله انى لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال والله انه لجيد لقد جربت به وجربت فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه فأمكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال النبى صلى الله عليه وسلم رأى هذا ذعرا فقال والله قتل صاحبى وانى والله لمقتول فجاء أبو بصير فقال قد والله أوفى الله ذمتك ورددتنى اليهم ثم أغاثنى الله منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع عرف أنه سيرده اليهم قال فخرج حتى أتى سيف البحر وتفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبى ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فى بضع عشرة مائة ثم ذكر نحوه الا أنه قال فى حديثه قال الزهرى فحدثنى القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أيضا وخرج أبو بصير والذين أسلموا من الذين رد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالساحل على طريق عير قريش فقتلوا من فيها من الكفار وتغنموها فلما رأى ذلك كفار قريش ركب نفر منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له انها لا تغنى مدتك شيأ ونحن نقتل وتنهب أموالنا وانا نسألك أن تدخل هؤلاء الذين أسلموا منا فى صلحك وتمنعهم وتحجز عنا قتالهم ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ثم ساق الحديث الى آخره نحو حديث ابن عبد الأعلى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه هديه سبعين بدنة حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال له يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم قال فقال صلى الله

كانها فعيلة بمعنى مفعول من الحماية اسم أقيم مقام المصدر كالسكينة بمعنى السكون فأنزل الله على رسوله السكينة والوقار حتى اعطاهم ما أرادوا وكلمة التقوى التسمية والتوحيد والاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم اختارها الله للمؤمنين ومعنى الاضافة أنها سبب التقوى وأساسها أو المراد كلمة أهل التقوى الذين يتقون بها غضب الله (وكانوا أحق بها وأهلها) لانهم خيار الامم وقيل أراد وكانوا يعنى أهل مكة أحق بهذه الكلمة لتقدم انذارهم الا أن بعضهم سلبوا التوفيق وحكى المبرد أن الذين كانوا قبلنا لم يكن لأحد أن يقول لا اله الا الله فى اليوم والليلة الا مرة واحدة لا يستطيع أن يقول أكثر من ذلك وكان قائلها يمد بها صوته الى ان ينقطع نفسه تبركا بذكر الله وقد جعل الله لهذه الامة أن يقولوها متى شاؤا وهو قوله وألزمهم كلمة التقوى أى ندبهم الى ذكرها ما استطاعوا ثم قص رؤيا نبيه صلى الله عليه وسلم بيانا للاعجاز فان الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وقصته أنه رأى فى المنام أن ملكا قال له لتدخلن الى قوله لا تخافون فأخبر أصحابه بها ففرحوا وجزموا بأنهم داخلوها فى عامهم فلما صدوا عن البيت واستقر الأمر على الصلح قال بعض الضعفة أليس كان يعدنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نأتى البيت فنطوف به فقال لهم أهل البصيرة هل أخبركم أنكم تأتونه العام فقالوا لا قال فانكم تأتونه وتطوفون بالبيت فأنزل الله تصديقه ومعنى (صدق الله رسوله الرؤيا)

عليه وسلم ياويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني و بين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام داخرين ثم ذكر نحو حديث معمر بزيادات فيه كثيرة على حديث معمر تركت ذكرها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والهدى معكوفا أن يبلغ محله قال كان الهدى بذى طوى والحديبية خارجة من الحرم نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غورت قريش عليه الماء وقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم يقول تعالى ذكره ولولا رجال من أهل الايمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطؤهم بخيلكم و رجلكم لم تعلموهم بمكة وقد حبسهم المشركون بها عنكم فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج اليكم فتقتلوهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات حتى بلغ بغير علم هذا حين ردّ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكة فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات فكره الله أن يؤذوا أو يوطؤا بغير علم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم واختلف أهل التأويل فى المعرّة التى عناها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها الاثم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم قال اثم بغير علم * وقال آخرون عنى بها غرم الدية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فتصيبكم منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته فأما اثم فلم يحسبه عليهم والمعرّة هى المفعلة من العرّ وهو الجرب وانما المعنى فتصيبكم من قبلهم معرّة تعرّون بها يلزمكم من أجلها كفارة قتل الخطا وذلك عتق رقبة مؤمنة من أطاق ذلك ومن لم يطق فصيام شهرين وانما اخترت هذا القول دون القول الذى قاله ابن اسحق لأن الله انما أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب اذا لم يكن هاجر منها ولم يكن قاتله علم ايمانه الكفارة دون الدية فقال وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة لم يوجب على قاتله خطأ ديته فلذلك قلنا عنى بالمعرّة فى هذا الموضع الكفارة وأن من قوله أن تطؤهم فى موضع رفع ردا على الرجال لأن معنى الكلام ولولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لأذن الله لكم أيها المؤمنون فى دخول مكة ولكنه حال بينكم و بين ذلك ليدخل الله فى رحمته من يشاء يقول ليدخل الله فى الاسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه وقوله لو تزيلوا يقول لو تميز الذين فى مشركى مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما يقول لقتلنا من بقى فيها بالسيف أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو تزيلوا الآية ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم يعنى أهل مكة كان فيهم مؤمنون مستضعفون يقول الله لولا أولئك المستضعفون لو قد تزيلوا العذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لو تزيلوا لو تفرقوا فتفرق المؤمن من الكافر لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى

صدقه فى رؤياه ولم يكذبه وقوله (بالحق) اما أن يكون متعلقا بصدق أى صدقه فيما راى صدقا متلبسا بالحق وهو أن يكون ما أراد كما أراه واما أن يكون حالا من الرؤيا أى متلبسة بالحق يعنى بالغرض الصحيح وهو الابتلاء وتميز المؤمن المخلص من المنافق المرائى وجوز أن يكون بالحق قسما لأنه اسم من أسماء الله سبحانه أو لأن المراد الحق الذى هو نقيض الباطل فتكون اللام فى لتدخلن جواب القسم لا للابتداء فيحسن الوقف على الرؤيا والبحث عن الحلق والتقصير وسائر أركان الحج والعمرة وشرائطهما استوفيناها فى سورة البقرة فليتذكر وفى ورود ان شاء الله فى خبر الله عز وجل اقوال احدها أنه حكاية قول الملك كما روينا والثانى أن ذلك خارج على عادة القرآن من ذكر المشيئة كقوله يغفر لمن يشاء و يعذب المنافقين ان شاء والمعنى ان الله يفعل بالعباد ما هو الصلاح فيكون استثناء تحقيق لا تعليق والثالث أنه أراد لتدخلن جميعا ان شاء ولم يمت أحد أو لم يغب والرابع أنه تأديب وارشاد الى استعمال الاستثناء فى كل موضع لقوله صلى الله عليه وسلم وقد دخل البقيع وانا ان شاء الله بكم لاحقون وليس فى وقوع الموت استثناء الخامس أنه راجع الى حالة الأمن وعدم الخوف ثم رتب على الصدق وعلى سوء ظن القوم قوله (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة فى تأخير الفتح الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) الفتح (فتحا قريبا) هو فتح خيبر ثم أكد صدق الرؤيا بل صدق الرسول

وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما) يعنى تعالى ذكره بقوله اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية حين جعل سهيل بن عمرو فى قلبه الحمية فامتنع أن يكتب فى كتاب المقاضاة الذى كتب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين بسم الله الرحمن الرحيم وأن يكتب فيه محمد رسول الله وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى قال كانت حميتهم التى ذكر الله اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية أنهم لم يقروا آية بسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهرى بنحوه حدثنى عمرو بن محمد العثمانى قال ثنا اسمعيل بن أبى أويس قال ثنى أخى عن سليمن عن يحيى بن سعيد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله وأنزل الله فى كتابه فذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال الله اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وهى لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدة واذ من قوله اذ جعل الذين كفروا من صلة قوله لعذبنا وتأويل الكلام لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما حين جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية والحمية فعيلة من قول القائل حمى فلان أنفه حمية ومحمية ومنه قول المتلمس

ألا اننى منهم وعرضى عرضهم * كذا الرأس يحمى أنفه أن يكشما

يعنى بقوله يحمى يمنع وقال حمية الجاهلية لأن الذى فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر ولم يكن شئ منه مما اذن الله لهم به ولا لأحد من رسله وقوله فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يقول تعالى ذكره فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين اذ حمى الذين كفروا حمية الجاهلية ومنعوهم من الطواف بالبيت وأبوا أن يكتبوا فى الكتاب بينه وبينهم بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله وألزمهم كلمة التقوى يقال ألزمهم قول لا اله الا الله التى يتقون بها النار وأليم العذاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف فى ذلك منهم وروى به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قائلى ذلك بما قلنا فيه والخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن قزعة الباهلى قال ثنا سفيان بن حبيب قال ثنا شعبة عن ثور بن أبى فاختة عن أبيه عن الطفيل عن أبيه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثنى محمد بن خالد ابن خداش العتكى قال سمعت سالما سمع شعبة سمع سلمة بن كهيل سمع عباية سمع عليا رضى الله عنه فى قوله وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثنى ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن سلمة عن عباية بن ربعى عن على رضى الله عنه فى قوله وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله والله أكبر حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى قال ثنا ابن المبارك عن سفيان وشعبة عن سلمة بن كهيل عن رجل عن على رضى الله عنه قال لا اله الا الله والله أكبر حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير عن شعبة عن سلمة عن عباية عن رجل من بنى تميم عن على

فى كل شئ بقوله (هو الذى أرسل) الآية وذلك أنه لو كذب رسوله كان مضلا ولم يكن ارساله سببا لظهور دينه وقوة ملته وقدمر نظير الآية فى سورة التوبة ومن استعلاء هذا الدين أنه لا ترى أهل ملة الا والمسلم غالب عليه الا أن يشاء الله وقد يقال ان كمال العز والغلبة عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى على الارض كافر (وكفى بالله شهيدا) على أن هذا الدين يعلو ولا يعلى ثم أكد الشهادة وأرغم أنف قريش الذين لم يرضوا بهذا التعريف فى كتاب العهد فقال (محمد رسول الله) فهو مبتدأ وخبر وجوز أهل الاعراب أن يكون المبتدأ محذوفا لتقدم ذكره فى قوله ارسل رسوله أى هو محمد فيكون رسول الله صفة أو عطف بيان وجوزوا ان يكون محمد مبتدأ ورسول الله صفته أو بيانا وقوله (والذين معه) وهم الصحابة عطفا على محمد وخبر الجميع (أشداء على الكفار) جمع شديد كما قال واغلظ عليهم أعزة على الكافرين عن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم فكيف بأبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة جائزة بالاتفاق وأما المعانقة والتقبيل فقد كرههما أبو حنيفة رضى الله عنه وان كان التقبيل على اليد ومن حق المؤمنين أن يراعوا هذه السنة أبدا فيتشددوا على مخالفيهم ويرحموا أهل دينهم (تراهم) يا محمد أو يا من له أهلية الخطاب (ركعا سجدا) راكعين ساجدين (يبتغون فضلا من الله)

رضى الله عنه وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وألزمهم كلمة التقوى يقول شهادة أن لا اله الا الله فهى كلمة التقوى يقول فهى راس التقوى حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا اسحق يحدث عن عمرو بن ميمون أنه كان يقول فى هذه الآية وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثنى محمد بن عيسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله * قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألزمهم كلمة التقوى وهى شهادة أن لا اله الا الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وألزمهم كلمة التقوى قال هى لا اله الا الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وألزمهم كلمة التقوى هى لا اله الا الله حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله وألزمهم كلمة التقوى قال شهادة أن لا اله الا الله حدثنى ابن البرقى قال ثنا عمرو ابن أبى سلمة عن سعيد بن عبد العزيز عن عطاء الخراسانى وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله محمد رسول الله حدثنى الصوارى محمد بن اسمعيل قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن أبى خالد المكى عن على الأزدى قال كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمأزمين فسمع الناس يقولون لا اله الا الله والله أكبر فقال هى هى فقلت ما هى قال وألزمهم كلمة التقوى الاخلاص وكانوا احق بها وأهلها * وقال آخرون بل هى كلمة التقوى للاخلاص ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسين الأزدى قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد وألزمهم كلمة التقوى قال الاخلاص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كلمة التقوى كلمة الاخلاص * وقال آخرون هى قوله بسم الله الرحمن الرحيم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عيسى قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهرى فى قوله وألزمهم كلمة التقوى قال بسم الله الرحمن الرحيم * وقال آخرون هى قول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال أخبرنا ابن جريج عن مجاهد وعطاء وألزمهم كلمة التقوى قال أحدهما الاخلاص وقال الآخر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقوله وكانوا أحق بها وأهلها يقول تعالى ذكره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أحق بكلمة التقوى من المشركين وأهلها يقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أهل كلمة التقوى دون المشركين وذكر أنها فى قراءة عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا أحق بها وأهلها وكان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها أى التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وقوله وكان الله بكل شئ عليما يقول تعالى ذكره ولم يزل الله بكل شئ ذا علم لا يخفى عليه شئ هو كائن ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم يأذن لكم بدخولكم مكة فى سفرتكم هذه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لقد

بالعفو عن تقصيرهم (ورضوانا) منه عن أعمالهم الصالحة بأن يتقبلها الله منهم (سيماهم) علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) فيجوز أن تكون العلامة أمرا محسوسا وأن السجود بمعنى حقيقة وضع الجبهة على الارض وكان كل من على بن الحسين زين العابدين عليه السلام وعلى بن عبد الله بن عباس أبى الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدثت فى مواضع السجود منهما أشباه ثفنات البعير والذى جاء فى الحديث لا تعلبوا صوركم أى لا تخدشوها وعن ابن عمر أنه رأى رجلا أثر فى وجهه السجود فقال ان صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك محمول على التعمد رياء وسمعة وعن سعيد بن المسيب هى ندى الطهور وتراب الارض ويجوز أن يكون أمرا معنويا من البهاء والنور وعن عطاء استنارت وجوههم من التهجد كما قيل من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وان الذى يبيت شاربا يتميز عند أرباب البصيرة من الذى يبيت مصليا وفيه قال بعضهم

عيناك قد حكتا مبيـ
تك كيف كنت وكيف كانا
ولرب عين قد أرتـ
ك مبيت صاحبها عيانا

قال المحققون ان من توجه الى شمس الدنيا لابد أن يقع شعاعها على وجهه فالذى أقبل على شمس عالم الوجود وهو الله سبحانه كيف لا يستنير ظاهره وباطنه ولا سيما يوم تبلى السرائر ويكشف الغطاء (ذلك مثلهم) أى ذلك الوصف وصفهم

العجيب الشأن فى الكتابين و يجوز أن يكون ذلك اشارة مبهمة أوضحت بقوله (كزرع) الى آخره كتوله وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع وقد يقال تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم ابتدأ مثلهم فى الانجيل كزرع لما روى أنه مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر عرفوا الى بنى اسرائيل بهذا الوصف ليعرفوهم اذا أبصروهم والشطء بالتسكين والتحريك فراخ الزرع التى تنبت الى جانب الاصل ومنه شاطئ النهر (فآزره) من المؤازرة المعاونة و يجوز أن يكون أفعل من الأزر القوة اى أعان الزرع الشطء أو بالعكس (فاستغلظ) الزرع أو الشطء أى صار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبته أى تناهى وصار كالاصل بحيث يعجب الزارعين والسوق جمع ساق وقد يخص الساق بالشجر فيكون ساق الزرع مجازا استعارا ووجه التشبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج وحده ثم اتبعه من ههنا قليل ومن ههنا حتى كثروا وقوى أمرهم وقوله (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لوجه التشبيه أو للتشبيه أى ضرب الله ذلك المثل وقضى وحكم بذلك ليغيظ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه كفار مكة والعجم وقيل هذا الزرع يغيظ بكثرته الكفار أى سائر الزراع الذين ليس لهم مثل زرعهم وفيه بعد ولكن الكلام لا يخلو عن فصاحة لفظية من قبل المناسبة بين الزراع والكفار

صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ﴾ يقول تعالى ذكره لقد صدق الله رسوله محمدا رؤياه التى أراها اياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين لا يخافون أهل الشرك مقصرا بعضهم رأسه ومحلقا بعضهم * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين قال هو دخول محمد صلى الله عليه وسلم البيت والمؤمنون محلقين رؤسهم ومقصرين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الرؤيا بالحق قال أرى بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين فقال أصحابه حين نحر بالحديبية أين رؤيا محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يطوف بالبيت وأصحابه فصدّق الله رؤياه فقال لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين حتى بلغ لا تخافون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قال أرى فى المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام وأنهم آمنون محلقين رؤسهم ومقصرين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخر الآية قال قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤسكم ومقصرين فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون فى ذلك فقالوا أين رؤياه فقال الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق فقرأ حتى بلغ ومقصرين لا تخافون انى لم أره يدخلها هذا العام وليكونن ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى قوله ان شاء الله آمنين لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أريها أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف يقول محلقين ومقصرين لا تخافون وقوله فعلم ما لم تعلموا يقول تعالى ذكره فعلم الله جل ثناؤه ما لم تعلموا وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين الذين لم يعلمهم المؤمنون ولو دخلوها فى ذلك العام لوطؤهم بالخيل والرجل فأصابتهم منهم معرّة بغير علم فردّهم الله عن مكة من أجل ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فعلم ما لم تعلموا قال ردّه لمكان من بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات وأخره ليدخل الله فى رحمته من يشاء من يريد أن يهديه وقوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا اختلف أهل التأويل فى الفتح القريب الذى جعله الله للمؤمنين دون دخولهم المسجد الحرام محلقين رؤسهم ومقصرين فقال بعضهم هو الصلح الذى جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين مشركى قريش ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من دون ذلك فتحا قريبا قال النحر بالحديبية ورجعوا فافتتحوا خيبر ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه فى السنة القابلة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى قوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا يعنى صلح الحديبية وما فتح فى الاسلام فتح كان أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة وضعت الحرب وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا فالتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد

بالاسلام يعقل شيأ الا دخل فيه فلقد دخل فى تينك السنتين فى الاسلام مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك وأكثر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فجعل من دون ذلك فتحا قريبا قال صلح الحديبية * وقال آخرون عنى بالفتح القريب فى هذا الموضع فتح خيبر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا قال خيبر حين رجعوا من الحديبية فتحها الله عليهم فقسمها على أهل الحديبية كلهم الا رجلا واحدا من الانصار يقال له أبو دجانة سماك بن خرشة كان قد شهد الحديبية وغاب عن خيبر * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام ودون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلح الحديبية وفتح خيبر دون ذلك ولم يخصص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح بل عم ذلك وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك والصواب أن يعم كما عمه فيقال جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلقين رؤسهم ومقصرين لا يخافون المشركين صلح الحديبية وفتح خيبر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالبيان الواضح ودين الحق وهو الاسلام الذى أرسله داعيا خلقه اليه ليظهره على الدين كله يقول ليبطل به الملل كلها حتى لا يكون دين سواه وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال فحينئذ تبطل الأديان كلها غير دين الله الذى بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ويظهر الاسلام على الأديان كلها وقوله وكفى بالله شهيدا يقول جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم أشهدك يا محمد ربك على نفسه أنه سيظهر الدين الذى بعثك به وكفى بالله شهيدا يقول وحسبك به شاهدا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر الهذلى عن الحسن هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا يقول أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الدين كله وهذا اعلام من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والذين كرهوا الصلح يوم الحديبية من أصحابه أن الله فاتح عليهم مكة وغيرها من البلدان مسليهم بذلك عما نالهم من الكآبة والحزن بانصرافهم عن مكة قبل دخولهموها وقبل طوافهم بالبيت قوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم يقول تعالى ذكره محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه أشداء على الكفار غليظة عليهم قلوبهم قليلة بهم رحمتهم رحماء بينهم يقول رقيقة قلوب بعضهم لبعض لينة أنفسهم لهم هينة عليهم لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة رحماء بينهم ألقى الله فى قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض تراهم ركعا سجدا يقول تراهم ركعا أحيانا لله فى صلاتهم سجدا أحيانا يبتغون فضلا من الله يقول يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضا فضلا من الله وذلك رحمته اياهم بأن يتفضل عليهم فيدخلهم جنته ورضوانا يقول

لاشتراكهما بالجملة فى معنى من المعانى وان لم يكن مقصودا ههنا وذهب بعض المفسرين الى أن قوله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا على عليه السلام يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير سيماهم فى وجوههم سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ابن الجراح وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وقوله (منهم) لبيان الجنس ويجوز أن يكون قوله ليغيظ تعليلا للوعد لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع ما حصل لهم فى الدنيا من الغلبة والاستعلاء غاظهم ذلك والله أعلم

* (سورة الحجرات مدنية حروفها ألف وأربعمائة وستة وسبعون كلماتها ثلثمائة وأربعون آياتها ثمان عشرة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة

وأن يرضى عنهم ربهم وقوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود يقول علامتهم فى وجوههم من
أثر السجود فى صلاتهم ثم اختلف أهل التأويل فى السيما الذى عناه الله فى هذا الموضع فقال
بعضهم ذلك علامة يجعلها الله فى وجوه المؤمنين يوم القيامة يعرفون بها لما كان من سجودهم له
فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى
أبى عن أبيه عن ابن عباس سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال صلاتهم تبدو فى وجوههم
يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله العتكى عن خالد
الحنفى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال يعرف ذلك يوم القيامة فى وجوههم من أثر
سجودهم فى الدنيا وهو كقوله تعرف فى وجوههم نضرة النعيم حدثنى عبيد بن أسباط بن
محمد قال ثنا أبى عن فضيل بن مرزوق عن عطية فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود
قال مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشد وجوههم بياضا حدثنا محمد بن عمارة
قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا ابن فضيل عن فضيل عن عطية بنحوه حدثنى
أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن فضيل عن عطية بنحوه حدثنا مجاهد بن موسى قال
ثنا يزيد قال أخبرنا فضيل عن عطية مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال
سمعت شبيبا يقول عن مقاتل بن حيان قال سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال النور يوم القيامة
حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا هرون بن اسمعيل قال قال على بن المبارك سمعت غير واحد
عن الحسن فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال بياضا فى وجوههم يوم القيامة
* وقال آخرون بل ذلك سيما الاسلام وسمته وخشوعه وعنى بذلك أنه يرى من ذلك عليهم فى الدنيا
ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
فى قوله سيماهم فى وجوههم قال السمت الحسن * قال ثنا مجاهد قال ثنا يزيد قال ثنا الحسن
ابن عمارة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال
أما انه ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسحنته وسمته وخشوعه حدثنا ابن بشار قال
ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن حميد الاعرج عن مجاهد سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال
الخشوع والتواضع حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن حميد الأعرج
عن مجاهد مثله * قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد سيماهم فى وجوههم
من أثر السجود قال الخشوع حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن
الحكم عن مجاهد فى هذه الآية سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال السحنة حدثنا ابن حميد
قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال هو الخشوع
فقلت هو أثر السجود فقال انه يكون بين عينيه مثل ركبة العنز وهو كما شاء الله * وقال آخرون ذلك
أثر يكون فى وجوه المصلين مثل أثر السهر الذى يظهر فى الوجه مثل الكلف والتهيج والصفرة وما
أشبه ذلك مما يظهره السهر والتعب فى الوجه ووجهوا التأويل فى ذلك الى انه سيما فى الدنيا ذكر
من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن الحسن سيماهم
فى وجوههم من أثر السجود قال الصفرة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال
زعم الشيخ الذى كان يقص فى عسر وقرأ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود فزعم أنه السهر يرى
فى وجوههم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن حفص عن شمر بن عطية فى قوله
سيماهم فى وجوههم قال تهيج فى الوجه من سهر الليل * وقال آخرون ذلك آثار ترى فى الوجه

من

فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم
فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان أولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما
على الاخرى فقاتلوا التى تبغى
حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت
فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا
ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون
اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا
الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى أن
يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء
عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا
أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان ومن
لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها
الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا
ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب
أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا
فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب
رحيم يا أيها الناس انا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم
ان الله عليم خبير قالت الأعراب
آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا
ولما يدخل الايمان فى قلوبكم
وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من
أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله
أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله

من ثرى الارض أوندى الطهور ذكر من قال ذلك حدثنا حوثرة بن محمد المنقرى قال ثنا حماد ابن مسعدة وحدثنا ابن حميد قال ثنا جرير جميعا عن ثعلبة بن سهيل عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال ثرى الارض وندى الطهور حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا هرون بن اسمعيل قال ثنا على بن المبارك قال ثنا مالك ابن دينار قال سمعت عكرمة يقول سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال هو أثر التراب * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى وجوههم من أثر السجود ولم يخص ذلك على وقت دون وقت واذ كان ذلك كذلك فذلك على كل الاوقات فكان سيماهم الذى كانوا يعرفون به فى الدنيا أثر الاسلام وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته وآثار أداء فرائضه وتطوعه وفى الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به وذلك الغرة فى الوجه والتحجيل فى الأيدى والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود وبنحو الذى قلنا فى معنى السيما قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيماهم فى وجوههم من أثر السجود يقول علامتهم أو أعلمتهم الصلاة وقوله ذلك مثلهم فى التوراة يقول هذه الصفة التى وصفت لكم من صفة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين معه صفتهم فى التوراة وقوله ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه يقول وصفتهم فى انجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه وهو فراخه يقال منه قد أشطأ الزرع اذا فرخ فهو يشطئ اشطاء وانما مثلهم بالزرع المشطئ لأنهم ابتدؤا فى الدخول فى الاسلام وهم عدد قليلون ثم جعلوا يتزايدون ويدخل فيه الجماعة بعدهم ثم الجماعة بعد الجماعة حتى كثر عددهم كما يحدث فى أصل الزرع الفرخ منه ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله محمد رسول الله والذين معه أصحابه مثلهم يعنى نعتهم مكتوبا فى التوراة والانجيل قبل أن يخلق السموات والارض حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار الى قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم قال ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك مثلهم فى التوراة أى هذا المثل فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فهذا مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانجيل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة يعنى السيما فى الوجوه مثلهم فى التوراة وليس بمثلهم فى الانجيل ثم قال عز وجل ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه الآية هذا مثلهم فى الانجيل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه (١) حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قول الله محمد رسول الله والذين معه الآية قال هذا مثلهم فى التوراة ومثل آخر فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره الآية * وقال آخرون هذان المثلان فى التوراة والانجيل مثلهم ذكر

(١) لم يذكر عن ابن زيد تفسير ولعله سقط من الناسخ وحرر كتبه مصححه

بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون ﴿القرآت﴾ لا تقدموا بالفتحات من التقدم يعقوب الحجرات بفتح الجيم يزيد اخوتكم على الجمع يعقوب وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ولا تجسسوا ولا تنابزوا ولتعارفوا بالتشديدات للادغام البزى وابن فليح ميتا مشددا أبو جعفر ونافع يألتكم بالهمز أبو عمرو وسهل ويعقوب وقد لا يهمز فى رواية الآخرون بالحذف بما يعملون على الغيبة ابن كثير ﴿الوقوف﴾ واتقوا الله ط عليم ٥ ج لا تشعرون ٥ للتقوى ط عظيم ٥ لا يعقلون ٥ خيرا لهم ط رحيم ٥ نادمين ٥ رسول الله ط والعصيان ط الراشدون ٥ لأن فضلا مفعول له ونعمة ط حكيم ٥ بينهما ج للشرط مع الفاء أمر الله ج لذلك وأقسطوا ط المقسطين ٥ ترحمون ٥ منهن ج للعدول عن الغيبة الى الخطاب بالألقاب ط بعد الايمان ٥ ج لابتداء الشرط مع احتمال ومن لم يتب عطف كمن اللمز والنبز الظالمون ٥ من الظن ز للابتداء بان الا أنه للتعليل أى لأن بعضا ج فكرهتموه ط واتقوا الله ط رحيم ٥ لتعارفوا ط أتقاكم ط خبير ٥ آمنا ط قلوبكم ط شيأ ط رحيم ٥ فى سبيل الله ط الصادقون ٥ فى الأرض ط عليم ٥ أسلموا ط اسلامكم ج لان بل للاضراب

من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ذلك مثلهم في التوراة والانجيل واحد * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال مثلهم في التوراة غير مثلهم في الانجيل وان الخبر عن مثلهم في التوراة متناه عند قوله ذلك مثلهم في التوراة وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والانجيل واحد لكان التنزيل ومثلهم في الانجيل وكزرع أخرج شطأه فكان تمثيلهم بالزرع معطوفا على قوله سيماهم في وجوههم من أثر السجود حتى يكون ذلك خبرا عن أن ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله كزرع دليل بين على صحة ما قلنا وأن قوله ومثلهم في الانجيل خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الانجيل دون ما في التوراة منها * و بنحو الذي قلنا في قوله أخرج شطأه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن خيثمة قال بينا عبد الله يقرئ رجلا عند غروب الشمس اذ مر بهذه الآية كزرع أخرج شطأه قال أنتم الزرع وقد دنا حصادكم * قال ثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن حميد الطويل قال قرأ أنس بن مالك كزرع أخرج شطأه فآزره قال تدرون ما شطأه قال نباته حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه قال سنبله حين يتسلع نباته عن حباته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه قال هذا مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل قيل لهم انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع منهم قوم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والزهري كزرع أخرج شطأه قالا أخرج نباته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون و يستغلظون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كزرع أخرج شطأه أولاده ثم كثرت أولاده حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كزرع أخرج شطأه قال ما يخرج بجنب الحقلة فيتم و ينمى وقوله فآزره يقول فقواه أي قوى الزرع شطأه وأعانه وهو من الموازرة التي بمعنى المعاونة فاستغلظ يقول فغلظ الزرع فاستوى على سوقه والسوق جمع ساق وساق الزرع والشجر حاملته * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فآزره يقول نباته مع التفافه حين يسنبل ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل فهو مثل ضربه لأهل الكتاب اذا خرج قوم ينبتون كما ينبت الزرع فيبلغ فيهم رجال يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ثم يغلظون فهم أولئك الذين كانوا معهم وهو مثل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم يقول بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم اجتمع اليه ناس قليل يؤمنون به ثم يكون القليل كثيرا ويستغلظون و يغيظ الله بهم الكفار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا

عن

عن الاول صادقين ٥ والارض ط تعلمون ٥ ﴿ التفسير ﴾ لما بين شأن النبي صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه بقوله هو الذي أرسل رسوله الى آخر السورة افتتح الآن بقوله لا تقدموا الآية ففيه تأكيد لما ذكر هناك من وجوب اتباعه والاذعان له والأظهر أن هذا ارشاد عام وذكر المفسرون في أسباب النزول وجوها منها ما روى عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبر أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله الآية وقال الحسن والزجاج نزلت في رجل ذبح الأضحية قبل الصلاة وقبل ذبح النبي صلى الله عليه وسلم فأمره باعادتها وهو مذهب أبي حنيفة الى أن تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن عائشة أنها نزلت في صوم يوم الشك وروى أنها في القتال أي لا تحملوا على الكفار في الحرب قبل أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقدم اما متعد وحذف المفعول للعموم حتى يتناول كل فعل وقول أو ترك مفعوله كما في قوله فلان يعطي ويمنع لان النظر الى الفعل لا الى المفعول كانه قيل يجب أن لا يصدر منكم تقدم أصلا في أي فعل كان واما لازم نحو بين وتبين بمعنى يؤيده قراءة يعقوب قال جار الله حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن يجلس بين الجهتين

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فآزره قال فشدّه وأعانه وقوله على سوقه قال أصوله

حدثني ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والزهري فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يقول فتلاحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فآزره اجتمع ذلك فالتف قال وكذلك المؤمنون خرجوا وهم قليل ضعفاء فلم يزل الله يزيد فيهم ويؤيدهم بالاسلام كما أيّد هذا الزرع بأولاده فآزره فكان مثلا للمؤمنين حدثني عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يقول حب برّ نثر متفرقا فتنبت كل حبة واحدة ثم أنبتت كل واحدة منها حتى استغلظ فاستوى على سوقه قال يقول كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قليلا ثم كثروا ثم استغلظوا ليغيظ الله بهم الكفار وقوله يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار يقول تعالى ذكره يعجب هذا الزرع الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحسن نباته وبلوغه وانتهائه الذين زرعوه ليغيظ بهم الكفار يقول فكذلك مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جل ثناؤه صفته ثم قال ليغيظ بهم الكفار فدل ذلك على متروك من الكلام وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ليغيظ بهم الكفار يقول الله مثلهم كمثل زرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه حتى بلغ أحسن النبات يعجب الزرّاع من كثرته وحسن نباته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يعجب الزرّاع قال يعجب الزرّاع حسنه ليغيظ بهم الكفار بالمؤمنين لكثرتهم فهذا مثلهم في الانجيل وقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التي أوجبها عليهم وقوله منهم يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع الذي وصف ربنا تبارك وتعالى صفته والهاء والميم في قوله منهم عائدة على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك جمع فقيل منهم ولم يقل منه وانما جمع الشطء لانه أريد به من يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا وقوله مغفرة يعني عفوا عما مضى من ذنوبهم وسيء أعمالهم بحسنها وقوله وأجرا عظيما يعني وثوابا جزيلا وذلك الجنة

آخر تفسير سورة الفتح

(تفسير سورة الحجرات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) يعني تعالى ذكره بقوله يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله وبنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تقدموا بين يدي الله ورسوله يقول لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم

المسامتتين يمينه وشماله حتى ينظر اليك من غير تقليب حدقة وذكر الله للتعظيم وفيه أن التقديم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كالتقديم بين يدي الله قال ابن عباس نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه بل عليهم أن يصغوا ولا يتكلموا وقيل معناه لا تخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وعن الحسن في رواية أخرى لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ (واتقوا الله) في التقديم أو أمرهم بالتقوى ليحملهم على ترك التقدمة فان المتقي حذر عن كل ما فيه تبعة وريب (ان الله سميع) لأقوالكم (عليم) بنياتكم وأفعالكم ثم أعاد النداء عليهم مزيد التنبيه وفيه نوع تفصيل بعد اجمال وتخصيص بعد تعميم وعن ابن عباس ان ثابت ابن قيس بن شماس كان في أذنه وقر وكان جهوريّ الصوت وكان يتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوته اذا كلمه فحين نزلت الآية فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر بأنه رجل جهير الصوت يخاف أن تكون الآية نزلت فيه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وعن الحسن نزلت في المنافقين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافا واستهانة وليقتدي بهم ضعفة المسلمين فنهي المؤمنون عن ذلك وعلى هذا فاما أن يكون الايمان أعم من أن يكون باللسان

أودينكم قبل أن يقضى الله لكم فيـه و رسوله فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله محكى عن العرب فلان يقدم بين يدى امامه بمعنى يعجل بالامر والنهى دونه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا تقدموا بين يدى الله ورسوله يقول لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله الآية قال نهوا أن يتكلموا بين يدى كلامه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله و رسوله قال لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى يقضيه الله على لسانه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تقـدموا بين يدى الله ورسوله ذكر لنا أن أناسا كانوا يقولون لو أنزل فى كذا لوضع كذا وكذا قال فكره الله عز وجل ذلك وقدم فيه * وقال الحسن أناس من المسلمين ذبحوا قبل صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فأمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله و رسوله قال ان أناسا كانوا يقولون لو أنزل فى كذا لو أنزل فى كذا وقال الحسن هم قوم نحروا قبل أن يصلى النبى صلى الله عليه وسلم فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا الذبح حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقـدموا بين يدى الله ورسوله يعنى بذلك فى القتال (١) وكان من أمورهم لا يصلح أن يقضى إلا بأمره ما كان من شرائع دينهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا لا تقـدموا بين يدى الله و رسوله قال لا تقطعوا الأمر دون الله ورسوله و حدثنا ابن حميـد قال ثنـا مهران عن سفيان يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله و رسوله قال لا تقضوا أمرا دون رسول الله و بضم التاء من قوله لا تقـدموا قرأ قراء الأمصار وهى القراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها لاجماع الحجة من القـراء عليها وقد حكى عن العرب قدمت فى كذا وتقدمت فى كذا فعلى هذه اللغة لو كان قيل لا تقدموا بفتح التاء كان جائزا وقوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يقول وخافوا الله أيها الذين آمنوا فى قولكم أن تقولوا مالم يأذن لكم به الله ولا رسوله وفى غير ذلك من أموركم و راقبوه ان الله سميع لما تقولون عليم بما تريدون بقولكم اذا قلتم لا يخفى عليه شئ من ضمائر صدوركم وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبىّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله و رسوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام وتغلظون له فى الخطاب ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض يقول ولا تنادوه كما ينادى بعضكم بعضا يا محمد يا محمد يا نبى الله يا نبى الله يا رسول الله * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح

عن

او به و بالقلب واما ان يكون الايمان حقيقة فيكون تأديبا للمؤمنين الخلص حتى يكون حالهم بخلاف حال أهـل النفاق و يكون كلامهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخفض من كلامه لهم رعاية لحشمته وصيانة على مهابته قوله (ولا تجهروا له بالقول كجهر) أى جهرا مثل جهر (بعضكم لبعض) قيل تكرار للمعنى الاول لاجل التأكيد فان الجهر هو رفع الصوت والجمهور على أن بين النهيين فرقا ثم اختلفوا فقيـل الاول فيما اذا نطق و نطقوا أو أنصت ونطقوا فى أثناء كلامه فنهوا أن يكون جهرهم باهر الجهر والثانى فيما اذا سكت ونطقوا فنهوا عن جهر مقيد بما اعتادوه فيما بينهم وهو الخالى عن مراعاة أبهة النبوة وقيل النهى الاول أعم مما اذا نطق ونطقوا أو أنصت ونطقوا والمراد بالنهى الثانى ان لا ينادى وقت الخطاب باسمه أو كنيته كنداء بعضهم لبعض فلا يقال يا أحمد يا محمد يا أبا القاسم ولكن يا نبى الله يا رسول الله ثم علل كلا من النهيين بقوله (أن تحبط) أى كراهة حبوط أعمالكم وذلك أن الرفع والجهر اذا كان عن استخفاف واهانة كان كفرا محبطا للاعمال السابقة والمفعول له يتعلق بالفعل الاول فى الظاهر عنـد الكوفيين و بالعكس عند البصريين وجوز فى الكشاف أن يقدر الفعل فى الثانى مضموما اليه المفعول له كأنهما شئ واحد ثم يصب عليهما الفعل جميعا صبا واحدا والمعنى أنهم نهوا عن الفعل الذى فعلوه لأجل الحبوط لانه كان بصدد الأداء اليه بجعل كأنه سبب فى ايجاده

(١) لعله وكل ما كان الخ تأمل

عن مجاهـد فى قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال لاتنادوه نداء ولكن قولا لينا يارسول الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض كانوا يجهرون له بالكلام و يرفعون أصواتهم فوعظهم الله ونهاهم عن ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة كانوا يرفعون و يجهرون عند النبي صلى الله عليه وسلم فوعظوا ونهوا عن ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيـد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية هو كقوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهاهم الله أن ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا وأمرهم أن يشرفوه و يعظموه و يدعوه اذا دعوه باسم النبوة حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب قال ثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن الشماس قال ثنى عمى اسمعيل بن محمد بن ثابت بن قيس ابن شماس عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول قال قعـد ثابت فى الطريق يبكى قال فمر به عاصم بن عدى من بنى العجلان فقال مايبكيك يا ثابت قال لهذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا صيت رفيع الصوت قال فمضى عاصم بن عدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وغلبه البكاء قال فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبى ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسى فشدى على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى اذا خرج عطفه وقال لاأخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال اذهب فادعه لى فجاء عاصم الى المكان فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرجا فأتيا نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فى لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لاأرفع صوتى أبدا على رسول الله فأنزل الله ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر بن عطية قال جاء ثابت بن قيس بن الشماس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون فقال يا ثابت ما الذى أرى بك فقال آية قرأتها الليلة فأخشى أن يكون قد حبط عملى يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وكان فى أذنه صمم فقال يا نبى الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتى وجهرت لك بالقول وأن أكون قد حبط عملى وأنا لاأشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم امش على الارض نشيطا فانك من أهل الجنة حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية قال ثابت بن قيس فأنا كنت أرفع صوتى فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول فأنا من أهل النار فقعد فى بيته فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عنه فقال رجل انه لجارى ولئن شئت لأعلمن لك علمه فقال نعم فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفقدك وسأل عنك فقال نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية وأنا كنت أرفع صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول فأنا من أهل النار فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال بل هو من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس فقال أف لهؤلاء وما يعبدون وأف لهؤلاء وما يصنعون

كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا وفى قوله (وأنتم لاتشعرون) اشارة الى أن ارتكاب المآثم يجر الاعمال الى الحبوط من حيث لايشعر المرء به ومثله قول الحكيم ان كلا من الأخلاق الفاضلة والرذيلة تكون أولا حالا ثم تصير ملكة راسخة وعادة مستمرة ومنه قول أفلاطون لاتصحب الشرير فان طبعك يسرق وأنت لاتدرى فالعاقل من يجتهد فى الفضائل أن تصير ملكات وفى الرذائل أن تزول عنـه وهى أحوال قال ابن عباس لما نزلت الآية قال أبو بكر يارسول الله والله لاأكلمك الا السرار أو كأخى السرار حتى ألقى الله فأنزل الله فيه وفى أمثاله (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله) هو افتعل من المحنة وهو اختبار بليغ يقال امتحن فلان لأمر كذا أى جرب له فوجد قويا عليه أو وضع الامتحان موضع المعرفة لأن تحقق الشئ باختباره فكأنه قيل عرف الله قلوبهم كائنة للتقوى فاللام متعلقة بالمحذوف كقولك انت لهذا الامر أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف لأجل التقوى وحصولها فيها سابقة ولاحقة (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر عظيم) لطاعتهم وفى تنكير الوعد وغير ذلك من مؤكدات الجملة تعريض بعظم ما ارتكب غيرهم واستحقاقهم أضداد ما استحق هؤلاء يروى أنه كان اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد أرسل اليهم أبو بكر من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار قال العلماء ان النهى لا يتناول رفع الصوت الذى

يامعشر الأنصار خلوا لى بشئ لعلى أصلى بحرها ساعة قال و رجل قائم على ثلمة فقتل وقتل
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى ان ثابت بن قيس بن شماس قال لما
نزلت لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبىّ قال يا نبىّ الله لقد خشيت أن أكون قد هلكت نهانا الله
ان نرفع أصواتنا فوق صوتك وانى امرؤ جهير الصوت ونهى الله المرء أن يحب ان يحمد بما لم يفعل
فأجدنى أحب أن أحمد ونهى الله عن الخيلاء وأجدنى أحب الجمال قال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فعاش حميدا
وقتل شهيدا يوم مسيلمة حدثنى على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا نافع بن عمر بن
جميل الجمحى قال ثنى ابن أبى مليكة عن ابن الزبير قال قدم وفد أراه قال تميم على النبى صلى الله
عليه وسلم منهم الأقرع بن حابس فكلم أبو بكر النبىّ صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على قومه
قال فقال عمر لا تفعل يا رسول الله قال فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبى صلى الله عليه وسلم
قال فقال أبو بكر لعمر ما أردت الا خلافى قال ما أردت خلافك قال ونزل القرآن يا ايها الذين آمنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبىّ الى قوله وأجر عظيم قال فما حدث عمر النبىّ صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك فيسمع النبى صلى الله عليه وسلم قال وما ذكر ابن الزبير جده يعنى ابا بكر وقوله أن
تحبط أعمالكم يقول أن لا تحبط أعمالكم فتذهب باطلة لا ثواب لكم عليها ولا جزاء برفعكم
أصواتكم فوق صوت نبيكم وجهركم له بالقول كجهر بعضكم لبعض وقد اختلف أهل العربية
فى معنى ذلك فقال بعض نحويى الكوفة معناه لا تحبط أعمالكم قال وفيه الجزم والرفع اذا وضعت لا
مكان أن قال وهى فى قراءة عبد الله فتحبط أعمالكم وهو دليل على جواز الجزم وقال
بعض نحويى البصرة قال أن تحبط أعمالكم أى مخافة ان تحبط أعمالكم وقد يقال اسند الحائط
أن يميل وقوله وأنتم لا تشعرون يقول وأنتم لا تعلمون ولا تدرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة
وأجر عظيم) يقول تعالى ذكره ان الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله وأصل الغض
الكف فى لين ومنه غض البصر وهو كفه عن النظر كما قال جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقوله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه اياها فاصطفاها وأخلصها للتقوى يعنى لاتقائه بأداء
طاعته واجتناب معاصيه كما يمتحن الذهب بالنار فيخلص جيدها ويبطل خبثها * وبنحو الذى
قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد قوله امتحن الله قلوبهم قال أخلص حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر
عن قتادة فى قوله امتحن الله قلوبهم قال أخلص الله قلوبهم فيما أحب وقوله لهم مغفرة يقول لهم من
الله عفو عن ذنوبهم السالفة وصفح منه عنها لهم وأجر عظيم يقول وثواب جزيل وهو الجنة
۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم
صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم ان الذين ينادونك يا محمد من وراء حجراتك والحجرات جمع حجرة والثلاث حجر ثم تجمع
الحجر فيقال حجرات وحجرات وقد تجمع بعض العرب الحجر حجرات بفتح الجيم وكذلك كل جمع

ليس باختيار المكلف كما مر
فى حديث ثابت بن قيس ولا الذى
نيط به صلاح فى حرب أو جدال
معاند أو ارهاب عدو ففى الحديث
أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس
ابن عبد المطلب لما انهزم الناس
يوم حنين اصرخ بالناس وكان
العباس أجهر الناس صوتا وفيه قال
نابغة بنى جعدة

زجر أبى عروة السباع اذا
أشفق أن يختلطن بالغنم

وأبو عروة كنية العباس زعمت
الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم
فيشق مرارة السبع فى جوفه
ويروى أن غارة أتتهم يوما فصاح
العباس يا صباحاه فأسقطت
الحوامل لشدة صوته ثم علمهم أدبا
أخص فقال (ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات) أى من جانب
البر والخارج مناداة الأجلاف
بعضهم لبعض والحجرة البقعة التى
يحجرها المرء لنفسه كيلا يشاركه فيها
غيره من الحجر وهو المنع فعلة بمعنى
مفعولة وجمعت لأن كلا من
أمهات المؤمنين لها حجرة روى
أن وفدا من بنى تميم قدم على النبى
صلى الله عليه وسلم وهو سبعون
رجلا منهم الأقرع بن حابس وعيينة
ابن حصن فدخلوا المسجد ونادوا
النبى صلى الله عليه وسلم من خارج
حجراته كأنهم تفرقوا على الحجرات
أو أتوها حجرة حجرة فنادوه من
ورائها اونادوه من وراء الحجرة التى
كان فيها ولكنها جمعت اجلالا له
صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان
مستندا الى جميعهم فانه يجوز أن
يتولاه بعضهم لان رضا الباقين به
كالتولى له وحكى الاصم أن الذى

كان من ثلاثة الى عشرة على فعل يجمعونه على فعلات بفتح ثانيه والرفع أفصح وأجود ومنه قول الشاعر

أما كان عباد كفيئا لدارم * بلى ولأبيات بها الحجرات

يقول بنى د[illegible] بنى هاشم وقوله وأكثرهم لا يعقلون يقول أكثرهم جهال بدين الله واللازم لهم من حقك وتعظيمك وذكر أن هذه الآية والتى بعدها نزلت فى قوم من الاعراب جاؤا ينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته يا محمد اخرج الينا ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو عمار المروزى والحسن بن الحرث قالا ثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبى اسحق عن البراء فى قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن حمدى زين وإن ذمى شين فقال ذاك الله تبارك وتعالى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن أبى اسحق عن البراء بمثله الا أنه قال ذاكم الله عز وجل حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا المعتمر بن سليمن التيمى قال سمعت داود الطفاوى يقول سمعت أبا مسلم البجلى يحدث عن زيد بن أرقم قال جاء أناس من العرب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش فى جناحه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك قال ثم جاؤا الى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه يا محمد فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون قال فأخذ نبى الله بأذنى فمدها فجعل يقول قد صدق الله قولك يا زيد قد صدق الله قولك يا زيد حدثنا الحسن بن أبى يحيى المقدمى قال ثنا عفان قال ثنا وهيب قال ثنا موسى بن عقبة عن أبى سلمة قال ثنى الأقرع بن حابس التميمى أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فناداه فقال يا محمد إن مدحى زين وإن شتمى شين فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ويلك ذلك الله فأنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أعراب بنى تميم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فناداه من وراء الحجر فقال يا محمد إن مدحى زين وإن شتمى شين فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ويلك ذلك الله فأنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية ذكر لنا أن رجلا جعل ينادى يا نبى الله يا محمد فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما شأنك فقال والله إن حمده لزين وإن ذمه لشين فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ذاكم الله فأدبر الرجل وذكر لنا أن الرجل كان شاعرا حدثنا ابن ميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبى عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان يقول بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت فى قومك بنى تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال أما انه لو علم بآخر الآية أجابه يمنون عليك أن أسلموا قالوا أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتى أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته فقال يا محمد يا محمد فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال مالك مالك فقال تعلم إن مدحى لزين وإن ذمى لشين

ناداه عيينة والاقرع قالا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذى مدحه زين وذمه شين فقال لهم فيم جئتم فقالوا جئنا بخطيبنا وشاعرنا نفاخرك ونشاعرك فقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا فقام خطيبهم فخطب وقام شاعرهم وأنشد فأمر النبى صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس فقام وخطب وأمر حسانا فقام وأنشد فلما فرغوا قام الأقرع وقال والله ما أدرى ماهذا تكلم خطيبنا وكان خطيبهم أحسن قولا وأنشد شاعرنا وكان شاعرهم أشعر ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسوله وعن زيد ابن أرقم أنهم قالوا نمتحنه فان يكن ملكا عشنا فى جنابه وان يكن نبيا كان أولى بأن نكون أسعد الناس به وقيل انهم وفدوا شافعين فى أسرى بنى العنبر أما اخبار الله تعالى عنهم بأن أكثرهم لا يعقلون فاما لأن الأكثر أقيم مقام الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع واما لأن الحكم بقلة العقلاء فيهم عبارة عن العدم فان القلة تقع موقع النفى فى كلامهم واما لأن فيهم من رجع وندم على صنيعه فاستثناه الله تعالى وانما حكم عليهم بعدم العقل لانهم لم يعقلوا أن هذا النحو من النداء خارج عن قانون الادب ومنبئ عن عدم الوقار والأناة ولاسيما فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن يحتجب عن الناس الا عند الخلوة والاشتغال بمهام أهل البيت

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاكم الله فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
واختلفت القراء في قراءة قوله من وراء الحجرات فقرأته قراء الأمصار بضم الحاء والجيم من
الحجرات سوى أبي جعفر القارئ فانه قرأ بضم الحاء وفتح الجيم على ما وصفت من جمع الحجرة حجر
ثم جمع الحجر حجرات * والصواب من القراءة عندنا الضم في الحرفين كليهما لما وصفت قبل
وقوله ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم يقول تعالى ذكره ولو أن هؤلاء الذين
ينادونك يا محمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادوك حتى تخرج اليهم اذا خرجت لكان خيرا لهم
عند الله لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهم الله عنه والله
غفور رحيم يقول تعالى ذكره والله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب ان هو تاب من معصية
الله بندائك كذلك وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد
توبته منه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ان
جاءكم فاسق بنبا عن قوم فتبينوا واختلفت القراء في قراءة قوله فتبينوا فقرأ ذلك عامة قراء أهل
المدينة فتثبتوا بالثاء وذكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء وقرأ ذلك بعض القراء فتبينوا
بالباء بمعنى أمهلوا حتى تعرفوا صحته لا تعجلوا بقبوله وكذلك معنى فتثبتوا * والصواب من القول
في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذكر أن هذه الآية
نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك حدثنا أبو كريب قال
ثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة قالت بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون قال فبلغ القوم رجوعه قال فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر
فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت الينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا
ثم انه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله ومن رسوله فلم يزالوا يكلمونه حتى
جاء بلال وأذن بصلاة العصر قال ونزلت يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال
ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا الآية قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ثم أحد بني عمرو بن أمية ثم أحد بني أبي معيط
الى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانه لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
غضبا شديدا فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم اذ أتاه الوفد فقالوا يا رسول الله انا حدثنا أن رسولك
رجع من نصف الطريق وانا خشينا أن يكون انما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا
نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله عذرهم في الكتاب فقال يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين حدثني محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا

عن

فلذلك قال (ولو أنهم صبروا حتى تخرج) وفائدة قوله (اليهم) أنه لو خرج لا لأجلهم لزمهم الصبر الى أن يكون خروجه اليهم لاجلهم (لكان) الصبر (خيرا لهم) في دينهم وهو ظاهر وفي دنياهم بأن ينسبوا الى وفور العقل وكمال الادب وقيل باطلاق أسرائهم جميعا فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق النصف وفادى النصف (والله غفور) مع ذلك لمن تاب (رحيم) في قبول التوبة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفد بني تميم فقال انهم جفاة بني تميم ولولا أنهم من أشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم ويحكى عن أبي عبيدة وهو المشهور بالعلم والزهادة وثقة الرواية أنه قال ما وقفت بباب عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ثم أرشدهم الى أدب آخر فقال (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا) وقد أجمع المفسرون على أنها نزلت في الوليد ابن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدقا وكان بينهما احنة فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع فقال ان القوم هموا بقتلي ومنعوا صدقاتهم فهم النبي صلى الله عليه وسلم بغزوهم فبيناهم في ذلك اذ قدم وفدهم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من الصدقة فاتهمهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لتنتهن أو لأبعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه فقالوا نعوذ بالله من غضبه

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان جاءكم فاسق بنبا قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه نبي الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالهدية فرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق جمعت لتقاتلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا حتى بلغ بجهالة وهو ابن ابي معيط الوليد بن عقبة بعثه نبي الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بني المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاؤا أخبروا خالدا أنهم مستمسكون بالاسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه فرجع الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فأنزل الله عز وجل ما تسمعون فكان نبي الله يقول التبين من الله والعجلة من الشيطان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فذكر نحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن هلال الوزان عن ابن أبي ليلى في قوله يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا قال نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حميد عن هلال الانصاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان جاءكم فاسق بنبا قال نزلت في الوليد بن عقبة حين أرسل الى بني المصطلق * قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني المصطلق بعد اسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ومنعوا ما قبلهم من صدقاتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم فبينما هم في ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته الينا فخرجنا اليه لنكرمه ولنؤدي اليه ما قبلنا من الصدقة فاستمر راجعا فبلغنا أنه يزعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا اليه لنقاتله ووالله ما خرجنا لذلك فأنزل الله في الوليد بن عقبة وفيهم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا الآية (١) قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه الى قوم يصدقهم فأتاهم الرجل وكان بينه وبينهم إحنة في الجاهلية فلما أتاهم رحبوا به وأقروا بالزكاة وأعطوا ما عليهم من الحق فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله منع بنو فلان الصدقة ورجعوا عن الاسلام فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث اليهم فأتوه فقال أمنعتم الزكاة وطردتم رسولي فقالوا والله ما فعلنا وانا لنعلم أنك رسول الله ولا بدلنا ولا منعنا حق الله في أموالنا فلم يصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فعذرهم وقوله أن تصيبوا قوما بجهالة يقول تعالى ذكره فتبينوا لئلا تصيبوا قوما برآء مما قذفوا به بجناية بجهالة منكم فتصبحوا على ما فعلتم نادمين يقول فتندموا على اصابتكم اياهم بالجناية التي تصيبونهم بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله أن فيكم رسول الله فاتقوا الله أن تقولوا الباطل وتفتروا الكذب فان الله يخبره أخباركم ويعرفه أنباءكم ويقومه على الصواب في أموره وقوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم يقول تعالى ذكره لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل

(١) يظهر أن هذا بداءة رواية أخرى أو ردها في الدر عن جابر فراجعه وتأمل كتبه مصححه

وغضب رسوله وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع قال جار الله في تنكير الفاسق والنبا عموم كأنه قيل أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه واطلبوا البيان لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى بعض أنواعه الذي هو الكذب والفسوق الخروج عن الشيء والانسلاخ منه فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن تقاليبه أيضا قفست الشيء بتقديم القاف اذا أخرجته من يد مالكه غصبا والنبأ الخبر الذي يعظم وقعه واختير لفظة ان التي هي للشك دون اذا تنبيها على أنه صلى الله عليه وسلم ومن معه بمنزلة لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب الا على سبيل الفرض والندرة فعلى المؤمنين أن يكونوا بحيث لا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ثم علل التبين بقوله (أن تصيبوا) أي كراهة اصابتكم (قوما) حال كونكم جاهلين بحقيقة الامر والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك متمنيا أنه لم يقع ولا يخلو من دوام والزام ومن مقلوباته أدمن الامر اذا دام عليه ومدن بالمكان أقام به قال الاصوليون من الاشاعرة ان خبر الواحد العدل يجب العمل به لان الله تعالى أمر بالتبين في خبر الفاسق ولو تبينا في خبر العدل لسوينا بينهما وضعف بأنه من باب التمسك بالمفهوم واتفقوا على أن شهادة الفاسق لا تقبل لان باب الشهادة أضيق من باب التمسك بمفهوم الخبر وأكثر المفسرين على

في الامور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم لعنتم يقول لنالكم عنت يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته اياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطئ في أفعاله كما لو قبل من الوليد ابن عقبة قوله في بني المصطلق انهم قد ارتدوا ومنعوا الصدقة وجمعوا الجموع لغزو المسلمين فغزاهم فقتل منهم وأصاب من دمائهم وأموالهم كان قد قتل وقتلتم من لا يحل له ولا لكم قتله وأخذ وأخذتم من المال ما لا يحل له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين فنالكم من الله بذلك عنت ولكن الله حبب اليكم الايمان بالله ورسوله فأنتم تطيعون رسول الله وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتتبعوه وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم وقوله وزينه في قلوبكم يقول وحسن الايمان في قلوبكم فآمنتم وكره اليكم الكفر بالله والفسوق يعني الكذب والعصيان يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضييع ما امر الله به أولئك هم الراشدون يقول هؤلاء الذين حبب الله اليهم الايمان وزينه في قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق وقوله فضلا من الله ونعمة يقول ولكن الله حبب اليكم الايمان وأنعم عليكم هذه النعمة التي عدها فضلا منه واحسانا ونعمة منه أنعمها عليكم والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بالمحسن منكم من المسيء ومن هو لنعم الله وفضله أهل ومن هو لذلك غير أهل وحكمة في تدبيره خلقه وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واعلموا أن فيكم رسول الله حتى بلغ لعنتم هؤلاء أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعهم نبي الله في كثير من الامر لعنتم فأنتم والله أسخف رأيا وأطيش عقولا اتهم رجل رأيه وانتصح كتاب الله فان كتاب الله ثقة لمن أخذ به وانتهى اليه وان ما سوى كتاب الله تغرير حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور قال قال معمر تلا قتادة لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال فأنتم أسخف رأيا وأطيش أحلاما فاتهم رجل رأيه وانتصح كتاب الله وكذلك كما قلنا أيضا في تأويل قوله ولكن الله حبب اليكم الايمان قالوا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم قال حببه اليهم وحسنه في قلوبهم وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة قالوا أيضا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكره اليكم الكفر والفسوق قال الكذب والعصيان قال عصيان النبي صلى الله عليه وسلم أولئك هم الراشدون من أين كان هذا قال فضل من الله ونعمة قال والمنافقون سماهم الله أجمعين في القرآن الكاذبين قال والفاسق الكاذب في كتاب الله كله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين﴾ يقول تعالى ذكره وان طائفتان من أهل الايمان اقتتلوا فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما وذلك هو الاصلاح بينهما بالعدل فان بغت احداهما على الاخرى يقول فان أبت احدى هاتين الطائفتين الاجابة الى حكم كتاب الله له وعليه وتعدت ما جعل الله عدلا بين خلقه وأجابت الاخرى منهما فقاتلوا التي تبغي يقول فقاتلوا التي تعتدي وتأبى الاجابة الى حكم الله حتى تفيء الى أمر الله يقول حتى ترجع الى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه

أن الوليد كان ثقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فاسقا بكذبه وقيل ان الوليد لم يقصد الكذب ولكنه ظن حين اجتمعوا لاكرامه أن يكونوا هموا بقتله وللقائل أن يقول لفظ القرآن وسبب النزول يدل على خلافه نعم لو قيل انه تاب بعد ذلك لكان له وجه ثم أرشدهم الى أمر آخر قائلا (واعلموا أن فيكم رسول الله) وليس هذا الامر مقصودا بظاهره لانه معلوم مشاهد فلا حاجة الى التنبيه عليه وانما المراد ما يستلزم كونه فيهم كما يقال لمن يغلط في مسئلة او يقول فيها برأيه اعلم أن الشيخ حاضر ثم قيل المراد لا تقولوا الباطل والكذب فان الله يخبره ويوحي اليه وقيل أراد أن الرأى رأيه فلا تعدوا رأيه وقد صرح بهذا المعنى في قوله (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) لوقعتم في العسر والمشقة والحرج لأنه أعلم منكم بالحنيفية السهلة السمحاء ومن جملة ذلك قصة الوليد فانه لو أطاعه وقبل قوله لقتل وقتلتم وأخذ المال وأخذتم فاتهمتم قال جار الله الجملة المصدرة بلو ليس كلاما مستأنفا لاختلال النظم حينئذ ولكنها حال من أحد الضميرين في فيكم وهو المستتر المرفوع أو البارز المجرور والمعنى أن فيكم رسول الله على حالة يجب تغييرها وهي أنكم تطلبون منه اتباع آرائكم قلت قد ذكرنا في وجه النظم بيانا آخر ثم قال فائدة تقديم خبر أن هو أن يعلم أن التوبيخ ينصب الى هذا الغرض وفائدة قوله يطيعكم بلفظ الاستقبال الدلالة على ما أرادوه من استمرار طاعته لهم وأنه لا يخالفهم في كثير

فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل يقول فان رجعت الباغية بعد قتالكم اياهم الى الرضا بحكم الله فى كتابه فأصلحوا بينها و بين الطائفة الاخرى التى قاتلتها بالعدل يعنى بالانصاف بينهما وذلك حكم الله فى كتابه الذى جعله عدلا بين خلقه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان الله سبحانه أمر النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم الى حكم الله و ينصف بعضهم من بعض فان أجابوا حكم فيهم بكتاب الله حتى ينصف المظلوم من الظالم فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ فحق على امام المؤمنين أن يجاهدهم و يقاتلهم حتى يفيئوا الى أمر الله و يقروا بحكم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى آخر الآية قال هذا أمر من الله أمر به الولاة كهيئة ما تكون العصبة بين الناس وأمرهم أن يصلحوا بينهما فان أبوا قاتل الفئة الباغية حتى ترجع الى أمر الله فاذا رجعت أصلحوا بينهما وأخبروهم أن المؤمنين اخوة فأصلحوا بين أخويكم قال ولا يقاتل الفئة الباغية الا الامام وذكر أن هذه الآية نزلت فى طائفتين من الاوس والخزرج اقتتلتا فى بعض ما تنازعتا فيه مما سأذكره ان شاء الله تعالى ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه عن أنس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبىّ قال فانطلق اليه وركب حمارا وانطلق المسلمون وهى أرض سبخة فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اليك عنى فوالله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لنتن حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك قال فغضب لعبد الله بن أبىّ رجل من قومه قال فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال فبلغنا أنه نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنى حصين عن أبى مالك فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال رجلان اقتتلا فغضب لذا قومه ولذا قومه فاجتمعوا حتى اضربوا بالنعال حتى كاد يكون بينهم قتال فأنزل الله هذه الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال كان بينهم قتال بغير سلاح حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال كانا حيين من أحياء الأنصار كان بينهما تنازع بغير سلاح حدثنا ابن حميد قال أخبرنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال كان قتالهم بالنعال والعصىّ فأمرهم أن يصلحوا بينهم * قال ثنا مهران قال ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال كانت تكون الخصومة بين الحيين فيدعوهم الى الحكم فيأبون أن يجيبوا فأنزل الله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله يقول ادفعوهم الى الحكم فكان قتالهم الدفع * قال ثنا مهران قال ثنا سفيان عن السدى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل فكان بينها و بين زوجها شئ فرقاها الى علية فقال لهم احفظوا فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فجاء ليصلح بينهم

مما عنّ لهم من الآراء والأهواء وفى قوله فى كثير من الامر مراعاة لجانب المؤمنين حيث لم ينسب جميع آرائهم الى الخطا وفيه أيضا تعليم حسن وتأديب جميل فى باب التخاطب و يمكن أن يكون اشارة الى تصويب رأى بعضهم لا الى تصويب بعض رأيهم فقد قيل ان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد و بعضهم كانوا يرون التحلم عنهم الى أن يتبين أمرهم وقد أشار الى هذا البعض بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى الى بعضكم والا لم يحسن الاستدراك يعنى بلكن فان من شرطه مخالفة ما بعده لما قبله فلو كان المخاطبون فى الطرفين واحدا لم يكن للاستدراك معنى بل يؤدى الى التناقض لأنه يكون قد أثبت لهم فى ثانى الحال محبة الايمان وكراهة العصيان وذكر أولا أنه توجب اجابتهم الوقوع فى العنت قال أهل اللغة الطاعة موافقة الداعى غير أن المستعمل فى حق الاكابر الاجابة وفى حق الاصاغر الطاعة وقد ورد القرآن على أصل اللغة استدلت الاشاعرة بقوله حبب وكره على مسئلة خلق الافعال وحملها المعتزلة على نصب الأدلة أو اللطف والتوفيق أو الوعد والوعيد والمعنى ولكن الله حبب اليكم الايمان فأطعتموه فوقاكم العنت والكفر واضح وأما الفسوق والعصيان فقيل الاول الكبائر والثانى الصغائر و يحتمل أن يكون الكفر مقابل التصديق بالجنان والفسوق مقابل الاقرار

فنزل القرآن وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى قال تبغى لا ترضى بصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال الاوس والخزرج اقتتلوا بالعصى بينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية ذكر لنا أنها نزلت فى رجلين من الانصار كانت بينهما مداراة فى حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن عنوة لكثرة عشيرته وأن الآخر دعاه ليحاكمه الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف فأمر الله أن تقاتل حتى تفيء الى أمر الله كتاب الله والى حكم نبيه صلى الله عليه وسلم وليست كما تأولها أهل الشبهات وأهل البدع وأهل الفراء على الله وعلى كتابه أنه المؤمن يحل لك قتله فوالله لقد عظم الله حرمة المؤمن حتى نهاك أن تظن بأخيك الا خيرا فقال انما المؤمنون اخوة الآية حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والايدى فأنزل الله فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال قتادة كان رجلان بينهما حق فتدارآ فيه فقال أحدهما لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته وقال الآخر بينى و بينك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال ثنى عبد الله ابن عباس قال قال زيد فى قول الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما وذلك الرجلان يقتتلان من أهل الاسلام أو النفر والنفر أو القبيل والقبيلة فأمر الله أئمة المسلمين أن يقضوا بينهم بالحق الذى أنزله فى كتابه إما القصاص والقود و إما العقل والعير و إما العفو فان بغت احداهما على الاخرى بعد ذلك كان المسلمون مع المظلوم على الظالم حتى يفيء الى أمر الله و يرضى به حدثنا ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال أخبرنا ابن جريج قال ثنى ابن شهاب وغيره يزيد فى الحديث بعضهم على بعض قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فيه عبد الله بن رواحة وعبد الله بن أبى ابن سلول فلما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن أبى ابن سلول لقد آذانا بول حماره وسد علينا الروح وكان بينه و بين ابن رواحة شئ حتى خرجوا بالسلاح فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فحجز بينهم فلذلك يقول عبد الله بن أبى

متى ما يكن مولاك خصمك جاهدا * تظلم و يصرعك الذين تصارع

قال فأنزلت فيهم هذه الآية وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقوله وأقسطوا يقول تعالى ذكره واعدلوا أيها المؤمنون فى حكمكم بين من حكمتم بينهم بأن لا تجاوزوا فى أحكامكم حكم الله وحكم رسوله ان الله يحب المقسطين يقول ان الله يحب العادلين فى أحكامهم القاضين بين خلقه بالقسط

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ يقول تعالى ذكره لاهل الايمان به انما المؤمنون اخوة فى الدين فأصلحوا بين أخويكم اذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله ومعنى الاخوين فى هذا الموضع كل مقتتلين من أهل الايمان و بالتثنية قرأ ذلك قراء الامصار وذكر عن ابن سيرين أنه قرأ بين اخوانكم بالنون على مذهب الجمع وذلك من جهة العربية صحيح غير أنه خلاف لما عليه قراء الامصار فلا أحب

باللسان لان الفسق ههنا أمر قولى بدليل قوله ان جاءكم فاسق بنبأ سماه فاسقا الكذبه والعصيان مقابل العمل بالاركان (أولئك) البعض المتبينون (هم الراشدون) وهذه جملة معترضة وقوله (فضلا من الله ونعمة) كل منهما مفعول له والعامل فيهما حبب وكره ويجوز أن يكونا منصوبين عن الراشدين لان الرشد عبارة عن التحبيب والتكريه المستندين الى الله فكأن الرشد أيضا فعله فاتحد الفاعل فى الفعل والمفعول له بهذا الاعتبار ويجوز أن يكونا مصدرين من غير لفظ الفعل وهو الرشد فكأنه قيل فأولئك هم الراشدون رشدا لان رشدهم افضال وانعام منه قال بعض العلماء الفضل بالنظر الى جانب الله الغنى والنعمة بالنظر الى جانب العبد الفقير (والله عليم) بأحوال الخلق وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) فى تدابيره وافضاله وانعامه ثم علمهم حكما آخر فى الصحيحين عن أنس أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا نبى الله لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق اليه على حمار وانطلق المسلمون يمشون وهى أرض سبخة فبال الحمار فقال اليك عنى فوالله لقد آذانى نتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما أصحابه فوقع بينهم حرب بالجريد والايدى والنعال فأنزل الله فيهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) جمع لأن الطائفتين فى معنى القوم أو الناس أو لأن أقل الجمع اثنان

القراءة بها واتقوا الله لعلكم ترحمون يقول تعالى ذكره وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم فى الاصلاح بين المقتتلين من أهل الايمان بالعدل وفى غير ذلك من فرائضه واجتناب معاصيه ليرحمكم ربكم فيصفح لكم عن سالف أجرامكم اذا أنتم أطعتموه واتبعتم أمره ونهيه واتقيتموه بطاعته

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين عسى أن يكونوا خيرا منهم يقول المهزوء منهم خير من الهازئين ولا نساء من نساء يقول ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات عسى المهزوء منهن أن يكن خيرا من الهازئات واختلف أهل التأويل فى السخرية التى نهى الله عنها المؤمنين فى هذه الآية فقال بعضهم هى سخرية الغنى من الفقير نهى أن يسخر من الفقير لفقره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يسخر قوم من قوم قال لا يهزأ قوم بقوم ان يسأل رجل فقير غنيا أو فقيرا وان تفضل رجل عليه بشئ فلا يستهزئ به * وقال آخرون بل ذلك نهى من الله من ستر عليه من أهل الايمان أن يسخر ممن كشف فى الدنيا ستره منهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن قال ربما عثر على المرء عند خطيئته عسى أن يكونوا خيرا منهم وان كان ظهر على عثرته هذه وسترت أنت على عثرتك لعل هذه التى ظهرت خير له فى الآخرة عند الله وهذه التى سترت أنت عليها شر لك ما يدريك لعله ما يغفر لك قال فنهى الرجل عن ذلك فقال لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم وقال فى النساء مثل ذلك * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله عم بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معانى السخرية فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ولا لذنب ركبه ولا لغير ذلك وقوله ولا تلمزوا أنفسكم يقول تعالى ذكره ولا يغتب بعضكم بعضا أيها المؤمنون ولا يطعن بعضكم على بعض وقال ولا تلمزوا أنفسكم فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره وطلب صلاحه ومحبته الخير ولذلك روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالحمى والسهر وهذا نظير قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم بمعنى ولا يقتل بعضكم بعضا * وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تلمزوا أنفسكم قال لا تطعنوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تلمزوا أنفسكم يقول ولا يطعن بعضكم على بعض حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تلمزوا أنفسكم يقول لا يطعن بعضكم على بعض قوله ولا تنابزوا بالألقاب يقول ولا تداعوا بالألقاب والنبز واللقب بمعنى واحد يجمع النبز أنبازا واللقب ألقابا واختلف أهل التأويل فى الألقاب التى نهى الله عن التنابز بها فى هذه الآية فقال

فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا وقال ابن بحر القتال لا يكون بالنعال والأيدى وانما هذا فى المنتظر من الزمان والطائفة الجماعة وهى أقل من الفرقة لقوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وارتفاعها بمضمر دل عليه ما بعده أى ان اقتتلت طائفتان واختير ان دون اذا مع كثرة وقوع القتال بين المؤمنين ليدل على أنه مما ينبغى أن لا يقع الا نادرا وعلى سبيل الفرض والتقدير ولهذه النكتة بعينها قال طائفتان ولم يقل فريقان تحقيقا للتقليل كما قلنا وفى تقديم الفاعل على الفعل اشارة أيضا الى هذا المعنى لان كونهما طائفتين مؤمنين يقتضى أن لا يقع القتال بينهما ولهذا اختير المضى فى الفعل ولم يقل يقتتلون لئلا ينبئ عن الاستمرار وفيه أيضا من التقابل ما فيه وانما قدم الفعل فى قوله ان جاءكم فاسق بنبا ليعلم أن المجىء بالنبا الكاذب يورث كون الجائى به فاسقا سواء كان قبل ذلك فاسقا أم لا ولو أخر الفعل لم تتناول الآية الا مشهور الفسق قبل المجىء بالنبا قال بعض العلماء انما قال اقتتلوا على الجمع ولم يقل فاصلحوا بينهم لان عند القتال يكون لكل منهم فعل برأسه أما عند العود الى الصلح فانه تتفق كلمة كل طائفة والا لم يتحقق الصلح فكان كل من الطائفتين كنفس واحدة فكانت التثنية أقعد والبغى الاستطالة واباء الصلح والفىء الرجوع وبه سمى الظل لانه يرجع بعد نسخ الشمس

بعضهم عنى بها الألقاب التي يكره النبز بها الملقب وقالوا انما نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية فلما أسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضا بما يكره من أسمائه التي كان يدعى بها في الجاهلية ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر قال قال أبو جبيرة بن الضحاك فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فكان اذا دعا الرجل بالاسم قلنا يا رسول الله انه يغضب من هذا فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب الآية كلها حدثني محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر عن أبي جبيرة بن الضحاك قال كان أهل الجاهلية يسمون الرجل بالأسماء فدعا النبي صلى الله عليه وسلم رجلا باسم من تلك الأسماء فقالوا يا رسول الله انه يغضب من هذا فأنزل الله ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر قال ثني أبو جبيرة بن الضحاك فذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود عن الشعبي قال ثني أبو جبيرة بن الضحاك قال نزلت في بني سلمة ولا تنابزوا بالألقاب قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فكان يدعو الرجل فتقول أمه انه يغضب من هذا قال فنزلت ولا تنابزوا بالألقاب وقال مرة كان اذا دعا باسم من هذا قيل يا رسول الله انه يغضب من هذا فنزلت الآية * وقال آخرون بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم يا فاسق يا زاني ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الأحوص عن حصين قال سألت عكرمة عن قول الله ولا تنابزوا بالألقاب قال هو قول الرجل للرجل يا منافق يا كافر حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله ولا تنابزوا بالألقاب قال هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حصين عن عكرمة ولا تنابزوا بالألقاب قال يا فاسق يا كافر * قال ثنا مهران عن سفيان عن خصيف عن مجاهد أو عكرمة ولا تنابزوا بالألقاب قال يقول الرجل للرجل يا فاسق يا كافر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا تنابزوا بالألقاب قال دعي رجل بالكفر وهو مسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنابزوا بالألقاب يقول للرجل لا تقل لأخيك المسلم ذاك فاسق ذاك منافق نهى الله المسلم عن ذلك وقدم فيه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ولا تنابزوا بالألقاب يقول لا يقولن لأخيه المسلم يا فاسق يا منافق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنابزوا بالالقاب قال تسميته بالأعمال السيئة بعد الاسلام زان فاسق * وقال آخرون بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الاسلام وبالفسوق والاعمال القبيحة بعد التوبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان الآية قال التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب منها وراجع الحق فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيلقب فيقال له يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك * والذي هو أولى الاقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا

بالالقاب

أو لأن الناس يرجعون اليه والغنيمة لانها ترجع من الكفار الى المسلمين ومعنى قوله (الى أمر الله) قيل الى طاعة الرسول أو من قام مقامه من ولاة الامر لقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وقيل الى الصلح لقوله وأصلحوا ذات بينكم وقيل الى أمر الله بالتقوى فان من خاف الله حق خشيته لا تبقى له عداوة الا مع الشيطان وانما قال فان بغت ولم يقل فاذا بناء على أن بغي احداهما مع صلاح الاخرى كالنادر وكذا قوله فان فاءت لان الفئة الباغية مع جهلها وعنادها واصرارها على حقدها كالامر النادر نظيره قول القائل لعبده ان مت فأنت حر مع أن الموت لابد منه وذلك لان موته بحيث يكون العبد حيا باقيا في ملكه غير معلوم واعلم أن الباغية في اصطلاح الفقهاء فرقة خالفت الامام بتأويل باطل بطلانا بحسب الظن لا القطع فيخرج المرتد لان تأويله باطل قطعا وكذا الخوارج وهم صنف من المبتدعة يكفرون من أتى بكبيرة ويسبون بعض الأئمة وهكذا يخرج مانع حق الشرع لله أو للعباد عنادا لأنه لا تأويل له ولا بد أن يكون له شوكة وعدد وعدد يحتاج الامام في دفعهم الى كلفة ببذل مال أو اعداد رجال فان كانوا أفرادا يسهل ضبطهم فليسوا بأهل بغي والأكثرون على أن البغاة ليسوا بفسقة ولا كفرة لقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعن علي رضي الله عنه اخواننا بغوا علينا ولكنهم يخطؤن فيما يفعلون ويذهبون اليه من التأويل

بالالقاب والتنابز بالالقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة وعم الله بنهيه ذلك
ولم يخصص به بعض الالقاب دون بعض فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه
أو صفة يكرهها واذا كان ذلك كذلك صحت الاقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها
كلها ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز
بعضهم بعضا وقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يقول تعالى ذكره ومن فعل ما نهينا عنه وتقدم
على معصيتنا بعد ايمانه فسخر من المؤمنين ولمز أخاه المؤمن ونبزه بالالقاب فهو فاسق بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان يقول فلا تفعلوا فتستحقوا ان فعلتموه أن تسموا فساقا بئس الاسم الفسوق
وترك ذكر ما وصفنا من الكلام اكتفاء بدلالة قوله بئس الاسم الفسوق عليه وكان ابن زيد يقول
في ذلك ما حدثنا به يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ بئس الاسم
الفسوق قال بئس الاسم الفسوق حين تسميه بالفسق بعد الاسلام وهو على الاسلام قال وأهل
هذا الرأي هم المعتزلة قالوا لا نكفره كما كفره أهل الاهواء ولا نقول له مؤمن كما قالت الجماعة
ولكنا نسميه باسمه ان كان سارقا فهو سارق وان كان خائنا سموه خائنا وان كان زانيا سموه زانيا
قال فاعتزلوا الفريقين أهل الأهواء وأهل الجماعة فلا يقول هؤلاء قالوا ولا بقول هؤلاء فسموا بذلك
المعتزلة فوجه ابن زيد تأويل قوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان الى من دعى فاسقا وهو تائب
من فسقه فبئس الاسم ذلك له من أسمائه وغير ذلك من التأويل أولى بالكلام وذلك أن الله تقدم
بالنهي عما تقدم بالنهي عنه في أول هذه الآية فالذي هو أولى أن يختمها بالوعيد لمن تقدم على بغيه
أو بقبيح ركوبه ما ركب مما نهى عنه لا أن يخبر عن قبح ما كان التائب أتاه قبل توبته اذ كانت الآية
لم تفتتح بالخبر عن ركوبه ما كان ركب قبل التوبة من القبيح فيختم آخرها بالوعيد عليه أو بالقبيح
وقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يقول تعالى ذكره ومن لم يتب من نبزه أخاه بما نهى الله
عن نبزه به من الألقاب أو لمزه اياه أو سخريته منه فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها
عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون قال ومن لم يتب من ذلك الفسوق
فأولئك هم الظالمون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا
فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله
لا تقربوا كثيرا من الظن بالمؤمنين وذلك أن تظنوا بهم سوأ فان الظان غير محق وقال جل ثناؤه
اجتنبوا كثيرا من الظن ولم يقل الظن كله اذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير
فقال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين فأذن الله جل ثناؤه
للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه وان لم يكونوا من قيله فيهم على يقين * وبنحو الذي
قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني
معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقول نهى الله
المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا وقوله ان بعض الظن إثم يقول ان ظن المؤمن بالمؤمن الشر لا الخير إثم
لأن الله قد نهاه عنه ففعل ما نهى الله عنه إثم وقوله ولا تجسسوا يقول ولا يتتبع بعضكم عورة بعض
ولا يبحث عن سرائره يبتغي بذلك الظهور على عيوبه ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره وبه
فاحمدوا أو ذموا لا على ما لا تعلمونه من سرائره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

كما وقع للخارجة عن علي رضي الله
عنه حيث اعتقدوا أنه يعرف
قتلة عثمان ويقدر عليهم ولا يقتص
لمواطأته اياهم وكما قال مانعو الزكاة
لابي بكر أمرنا بدفع الزكاة الى من
صلاته سكن لنا وصلاة غير النبي
صلى الله عليه وسلم ليست بسكن لنا
واتفقوا على أن معاوية ومن تابعه
كانوا باغين للحديث المشهور ان عمارا
تقتله الفئة الباغية وقد يقال ان
الباغية في حال بغيها ليست بمؤمنة
وانما سماهم المؤمنين باعتبار ما قبل
البغي كقوله يا أيها الذين آمنوا من
يرتد منكم عن دينه والمرتد ليس
بمؤمن بالاتفاق أما الذي يتلفه
العادل على الباغي و بالعكس في غير
القتال فمضمون على القاعدة
الممهدة في قصاص النفوس وغرامة
الاموال وأما في القتال فلا يضمن
العادل لانه مأمور بالقتال ولا الباغي
على الاصح لان في الوقائع التي جرت
في عصر الصحابة والتابعين لم يطلب
بعضهم بعضا بضمان نفس ومال
ولانه لو وجبت الغرامة لنفرهم
ذلك عن العود الى الطاعة والاموال
المأخوذة في القتال ترد بعد انقضاء
الحرب الى أربابها من الجانبين
والمراد من متلف القتال ما يتلف
بسبب القتال ويتولد منه هلاكه
حتى لو فرض اتلاف في القتال من
غير ضرورة القتال كان كالاتلاف
في غير القتال والذين لهم تأويل بلا
شوكة لزمهم ضمان ما أتلفوا من
نفس ومال وان كان على صورة
القتال وحكمهم حكم قطاع الطريق
اذا قاتلوا ولو أسقطنا الضمان لأبدت
كل شرذمة من أهل الفساد تأويلا

ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تجسسوا يقول نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا تجسسوا قال خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا هل تدرون ما التجسس أو التجسيس هو أن تتبع أو تبتغي عيب أخيك لتطلع على سره حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ولا تجسسوا قال البحث حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن إثم ولا تجسسوا قال حتى أنظر في ذلك وأسأل عنه حتى أعرف حق هو أم باطل قال فسماه الله تجسسا قال يتجسس كما يتجسس الكلاب وقرأ قول الله ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا يقول ولا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل التأويل ذكر من قال ذلك والأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني يزيد بن مخلد الواسطي قال ثنا خالد بن عبد الله الطحان عن عبد الرحمن بن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال هو أن تقول لأخيك ما فيه فان كنت صادقا فقد اغتبته وان كنت كاذبا فقد بهته حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الرحمن بن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قال قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما ليس فيه قال أرأيت ان كان في أخي ما أقول له قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته حدثنا ابن المثنى قال ثنا سعيد بن الربيع قال ثنا شعبة عن العباس عن رجل سمع ابن عمر يقول اذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته وقال شعبة مرة أخرى واذا ذكرته بما ليس فيه فهي فرية قال أبو موسى هو عباس الجريري حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال اذا ذكرت الرجل بأسوإ ما فيه فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال اذا قلت في الرجل أسوأ ما فيه فقد اغتبته واذا قلت ما ليس فيه فقد بهته حدثنا أبو كريب قال ثنا عمر ابن عبيد عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال الغيبة أن يقول للرجل اسوأ ما يعلم فيه والبهتان أن يقول ما ليس فيه حدثنا يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني معاوية بن صالح عن كثير بن الحرث عن القاسم مولى معاوية قال سمعت ابن أم عبد يقول ما التقم أحد لقمة أشر من اغتياب المؤمن ان قال فيه ما يعلم فقد اغتابه وان قال فيه ما لا يعلم فقد بهته حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال اذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت يونس عن الحسن أنه قال في الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوى

وفعلت ما شاءت وفي ذلك ابطال السياسات ولهذه النكتة قرن بالاصلاح والثاني قوله بالعدل لان تضمين الانفس والاموال يحتاج فيه الى سلوك سبيل العدل والنصفة لئلا يؤدي الى ثوران الفتنة مرة أخرى واحتج الشافعي لوجوب الضمان اذا لم يكن قتال بأن ابن ملجم قتل عليا رضي الله عنه زاعما أن له شبهة وتأويلا فأمر بحبسه وقال لهم ان قتلتم فلا تمثلوا به فقتله الحسن بن علي رضي الله عنه وما أنكر عليه أحد وأما الذين لهم شوكة ولا تأويل فالظاهر عند بعضهم نفي الضمان وعند آخرين الوجوب وأما كيفية قتال الباغين فان أمكن الاسر لم يقتلوا وان أمكن الاثخان فلا يذفف عليه كدفع الصائل الا اذا التحم القتال وتعسر الضبط قوله (وأقسطوا) أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين قال أهل اللغة القسط بالفتح والسكون الجور من القسط بفتحتين وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس والقسط بالكسر العدل والهمزة في أقسط للسلب أي ازال القسط وهو الجور وحين بين اصلاح الخلل الواقع بين الطائفتين أراد أن يبين الخلل الواقع بين اثنين بالتشاتم والسباب ونحو ذلك فقال (انما المؤمنون اخوة) أي حالهم لا يعدو الاخوة الدينية الى ما يضادها (فأصلحوا بين أخويكم) بايصال المظلوم الى حقه وبدفع اثم الظلم عن الظالم والتثنية بحسب الأغلب ويحتمل أن يقال انه شامل

أعماله فاذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد ابن زياد قال ثنا سليمن الشيبانى قال ثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها الى النبى صلى الله عليه وسلم أى أنها قصيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اغتبتيها حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبوداود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال لو مر بك أقطع فقلت ذاك الأقطع كانت منك غيبة قال وسمعت معاوية بن قرة يقول ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت معاوية بن قرة يقول لو مرّ بك رجل أقطع فقلت له انه أقطع كنت قد اغتبته قال فذكرت ذلك لأبى اسحق الهمدانى فقال صدق حدثنى جابر بن الكردى قال ثنا ابن أبى أويس قال ثنى أخى أبو بكر عن حماد بن أبى حميد عن موسى بن وردان عن أبى هريرة أن رجلا قام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا فى قيامه عجزا فقالوا يا رسول الله ما أعجز فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتم أخاكم واغتبتموه حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا حبان بن على العنزى عن مثنى بن صباح عن عمرو بن شعيب عن معاذ بن جبل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القوم رجلا فقالوا اما يأكل الا ما أطعم وما يرحل إلا ما رحل له وما أضعفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم فقالوا يا رسول الله وغيبته أن نحدث بما فيه فقال بحسبكم أن تحدثوا عن أخيكم ما فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن محمد عن محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت أخاك بما يكره فان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعيبه بما فيه وان كذبت عليه فذلك البهتان وقوله أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحب أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتا فان لم تحبوا ذلك وكرهتموه لأن الله حرم ذلك عليكم فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه فى حياته فاكرهوا غيبته حيا كما كرهتم لحمه ميتا فان الله حرم غيبته حيا كما حرم أكل لحمه ميتا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قال حرم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشئ كما حرم الميتة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا نكره ذلك قال فكذلك فاتقوا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه يقول كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها فكذلك فاكره غيبته وهو حى وقوله واتقوا الله ان الله تواب رحيم يقول تعالى ذكره فاتقوا الله أيها الناس فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظن أحدكم بأخيه المؤمن ظن السوء وتتبع عوراته والتجسس عما ستر عنه من أمره واغتيابه بما يكرهه تريدون به شينه وعيبه وغير ذلك من الامور التى نهاكم عنها ربكم ان الله تواب رحيم يقول ان الله راجع لعبده الى ما يحبه اذا رجع العبد لربه الى ما يحبه منه رحيم به أن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه * واختلفت القراء فى قراءة قوله لحم أخيه ميتا فقرأته عامة قراء المدينة بالتثقيل ميتا وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة ميتا بالتخفيف وهما قراءتان عندنا معروفتان

لما دون الطائفتين روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل (واتقوا الله) فى سائر الابواب راجين أن يرحمكم ربكم ثم شرع فى تأديبات أخر والقوم الرجال خاصة لقيامهم على الامور قال جمهور المفسرين ان ثابت بن قيس ابن شماس كان فى أذنيه وقر وكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فجاء يوما وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس و يقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت مغضبا ثم قال للرجل يا فلان بن فلانة يريد أما كان يعير بها فى الجاهلية فسكت الرجل استحياء فنزلت وقيل نزلت فى الذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات واستهزؤا بالفقراء وقيل فى كعب ابن مالك قال لعبد الله يا أعرابى فقال له عبد الله يا يهودى وقيل نزلت (ولا نساء من نساء) فى عائشة وقد عابت أم سلمة بالقصر و يروى أنها ربطت حقويها بثوب أبيض وأسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظرى ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرننى و يقلن يا يهودية بنت يهوديين

متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الناس انا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال وماء أنثى من النساء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا عثمان بن الاسود عن مجاهد قال خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة وقد قال تبارك وتعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران قال ثنا عثمان بن الاسود عن مجاهد قوله انا خلقناكم من ذكر وأنثى قال ما خلق الله الولد الا من نطفة الرجل والمرأة جميعا لان الله يقول خلقناكم من ذكر وأنثى وقوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا يقول وجعلناكم متناسبين فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب وذلك اذا قيل للرجل من العرب من أى شعب أنت قال أنا من مضر أو من ربيعة وأما أهل المناسبة القريبة أهل القبائل وهم كتميم من مضر وبكر من ربيعة وأقرب القبائل الافخاذ وهما كشيبان من بكر ودارم من تميم ونحو ذلك ومن الشعب قول ابن أحمر الباهلى

من شعب همدان أو سعد العشيرة أو * خولان أو مذحج هاجوا له طربا

* وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الجماع والقبائل البطون حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الجماع قال خلاد قال أبو بكر القبائل العظام مثل بنى تميم والقبائل الأفخاذ حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الجمهور والقبائل الأفخاذ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله شعوبا قال النسب البعيد وقبائل دون ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب النسب البعيد والقبائل كقوله فلان من بنى فلان وفلان من بنى فلان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلناكم شعوبا قال هو النسب البعيد قال والقبائل كما تسمعه يقال فلان من بنى فلان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجعلناكم شعوبا قال أما الشعوب فالنسب البعيد * وقال بعضهم الشعوب الافخاذ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الافخاذ والقبائل القبائل * وقال آخرون الشعوب البطون والقبائل الافخاذ ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى ابن طلحة قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب البطون والقبائل الافخاذ الكبار * وقال آخرون الشعوب الأنساب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وجعلناكم شعوبا وقبائل قال الشعوب الانساب وقوله لتعارفوا يقول

ليعرف

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد وتنكير القوم والنساء للبعضية أو لافادة الشياع وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة زيادة للتوبيخ وتنبيها على أن السخرية قلما تصدر عن واحد ولكن ليشاركه فى ذلك جمع من الحاضرين لان ميل الطباع الى التلهى والدعابة والازدراء بالضعفاء وأهل السآمة اكثرى وانما لم يقل رجل من امرأة وبالعكس لان سخرية الجنس من الجنس أكثر فاقتصر على ذلك والباقى فيه بالاولى وقوله (عسى أن يكونوا) كلام مستأنف ينبئ عن سبب النهى عن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا قوله سبحانه (ولا تلمزوا) تأديب آخر واللمز الطعن باللسان والمعنى حضوا أنفسكم بالانتهاء عن الطعن فى أمثالكم من أهل هذا الدين ولا عليكم أن تعيبوا غير أهل دينكم قيل اللمز السب خلف الانسان والهمز العيب فى وجه الانسان وقيل بل الامر بالعكس لان من تقاليب همز هزم وهو يدل على البعد ومن مقلوب اللمز اللزم وهو يدل على القرب فيشمل العيب بالاشارة أيضا قوله (ولا تنابزوا) تأديب آخر والنبز بالسكون القذف بالمكروه من الالقاب واللقب من الاعلام ما دل على مدح أو ذم والنبز بالفتح اللقب القبيح فهو أخص من اللقب كما أن اللقب أخص من العلم وانما قال ولا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا على منوال ولا تلمزوا

ليعرف بعضكم بعضا فى النسب يقول تعالى ذكره انما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس
ليعرف بعضكم بعضا فى قرب القرابة منه وبعده لا لفضيلة لكم فى ذلك وقربة تقربكم الى الله بل
أكرمكم عند الله أتقاكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقبائل لتعارفوا قال جعلنا هذا لتعارفوا فلان بن فلان
من كذا وكذا وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم يقول تعالى ذكره ان أكرمكم أيها الناس عند ربكم
أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علىّ بن رباح عن
عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس لآدم وحواء كطف الصاع لم يملؤه ان
الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة إن أكرمكم عند الله أتقاكم حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على بن رباح عن عقبة
ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أنسابكم هذه ليست بمساب على أحد وانما أنتم
ولد آدم طف الصاع لم تملؤه ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح حسب الرجل أن
يكون فاحشا بذيا بخيلا جبانا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن جريج
قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقال ان أكرمكم
عند الله أتقاكم وقال الناس أكرمكم أعظمكم بيتا وقال عطاء نسيت الثالثة وقوله إن الله عليم
خبير يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده ذو خبرة بكم
وبمصالحكم وغير ذلك من أموركم لا تخفى عليه خافية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت
الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله
ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره قالت الأعراب صدقنا
بالله ورسوله فنحن مؤمنون قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم لم تؤمنوا ولستم مؤمنين
ولكن قولوا أسلمنا وذكر أن هذه الآية نزلت فى أعراب من بنى أسد ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قالت الأعراب آمنا قال أعراب بنى
أسد بن خزيمة واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل للنبى صلى الله عليه وسلم
قل لهؤلاء الأعراب قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا فقال بعضهم انما أمر النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك لأن القوم كانوا صدقوا بألسنتهم ولم يصدقوا قولهم بفعلهم فقيل لهم قولوا أسلمنا لأن
الاسلام قول والايمان قول وعمل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن الزهرى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال ان
الاسلام الكلمة والايمان العمل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر
وأخبرنى الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه قال أعطى النبى صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعط
رجلا منهم شيئا فقال سعد يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيئا وهو مؤمن فقال النبى
صلى الله عليه وسلم أو مسلم حتى أعادها سعد ثلاثا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول أو مسلم ثم قال
النبى صلى الله عليه وسلم انى أعطى رجالا وأدع من هو أحب الىّ منهم لا أعطيه شيئا مخافة أن يكبوا
فى النار على وجوههم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالت

لان النبز لا يعجز الانسان عن جوابه
غالبا فمن ينبز غيره بالحمار كان لذلك
الغير أن ينبزه بالثور مثلا ولا كذلك
اللمز فان الملموز كثيرا ما يغفل عن
عيب اللامز فلا يحضره فى الجواب
شئ فيقع اللمز من جانب واحد فقط
ثم أكد النهى عن التنابز بقوله
(بئس الاسم) أى الذكر (الفسوق)
وفى قوله (بعد الايمان) وجوه أحدها
استقباح الجمع بين الامرين كما تقول
بئس الشأن الصبوة بعد الشيخوخة
أى معها وثانيها بئس الذكر أن
يذكروا الرجل بالفسق أو باليهودية
بعد ايمانه وكانوا يقولون لمن أسلم
من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهوا عنه
وثالثها أن يجعل الفاسق غير مؤمن
كما يقال للمتحول عن التجارة الى
الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد
التجارة فمعنى بعد الايمان بدلا عن
الايمان (ومن لم يتب) عما نهى عنه
(فأولئك هم الظالمون) لان الاصرار
على المنهى كفر اذ جعل المنهى
كالمأمور فوضع الشئ فى غير موضعه
قوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن) فيه تأديب آخر
ومعنى اجتنبوا كونوا منه فى جانب
وانما قال كثيرا ولم يقل الظن مطلقا
لأن منه ما هو واجب كحسن الظن
بالله وبالمؤمنين كما جاء فى الحديث
القدسى أنا عند ظن عبدى بى قال
النبى صلى الله عليه وسلم لا يموتن
أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله
وقال ان حسن الظن من الايمان
ومنه ما هو محظور وهو سوء الظن
بالله وبأهل الصلاح عن النبى صلى
الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم
دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء

الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا قال لم يصدقوا ايمانهم بأعمالهم فردّ الله ذلك عليهم قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وأخبرهم أن المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون صدّقوا ايمانهم بأعمالهم فمن قال منهم أنا مؤمن فقد صدق قال وأما من انتحل الايمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب وليس بصادق حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم ولكن قولوا أسلمنا قال هو الاسلام * وقال آخرون انما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقيل ذلك لهم لأنهم أرادوا أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قالت الأعراب آمنا الآية وذلك أنهم أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة ولا يتسموا بأسمائهم التي سماهم الله وكان ذلك في أول الهجرة قبل أن تنزل المواريث لهم * وقال آخرون قيل لهم ذلك لانهم منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم لم تؤمنوا ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولعمرى ما عمت هذه الآية الأعراب ان من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ولكن انما أنزلت في حيّ من أحياء الأعراب امتنوا باسلامهم على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أسلمنا ولم تقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا حتى بلغ في قلوبكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال لم تعم هذه الآية الأعراب ان من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ولكنها في طوائف من الأعراب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن رباح عن أبي معروف عن سعيد بن جبير قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال استسلمنا لخوف السباء والقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن رجل عن مجاهد قولوا أسلمنا قال استسلمنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ قول الله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا استسلمنا دخلنا في السلم وتركنا المحاربة والقتال بقولهم لا اله الا الله وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا لا اله الا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله * وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهري وهو أن الله تقدم الى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة اقرارا منهم بالقول ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالاطلاق آمنا دون تقييد قولهم ذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محق وهو أن يقولوا أسلمنا بمعنى دخلنا في الملة (١) والأموال والشهادة الحق وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم يقول تعالى ذكره ولما يدخل العلم بشرائع الايمان وحقائق معانيه في قلوبكم

وقوله وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الايمان في قلوبهم ان تطيعوا الله ورسوله أيها القوم فتأتمروا لأمره وأمر رسوله وتعملوا بما فرض عليكم وتنتهوا عما نهاكم عنه لا يلتكم من اعمالكم شيأ يقول لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيأ ولا ينقصكم من ثوابها شيأ * وبنحو الذي قلنا

(١) لعله دخلنا في الملة لحفظ الأنفس والأموال بالشهادة الخ وحرر كتبه مصححه

وهو الذي أمر في الآية باجتنابه ومنه ما هو مندوب اليه وهو اذا كان المظنون به ظاهر الفسق واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من الحزم سوء الظن وعن النبي صلى الله عليه وسلم احترسوا من الناس بسوء الظن ومنه المباح كالظن في المسائل الاجتهادية قال أهل المعاني انما نكر كثيرا ليفيد معنى البعضية المصرح بها في قوله (ان بعض الظن إثم) ولو عرّف لأوهم أن المنهي عنه هو الظن الموصوف بالكثرة والذي يتصف بالقلة مرخص فيه والهمزة في الاثم عوض عن الواو كأنه يثم الاعمال أي يكسرها باحباطه تأديب آخر (ولا تجسسوا) وقد يخص الذي بالحاء المهملة بتطلب الخبر والبحث عنه كقوله فتحسسوا من يوسف وأخيه فبالجيم تفعل من الجس وبالحاء من الحس قال مجاهد معناه خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته وهذا الأدب كالسبب لما قبله فلما نهى عن ذلك نهى عن سببه أيضا تأديب آخر (ولا يغتب) يقال غابه واغتابه بمعنى والاسم الغيبة بالكسر وهي ذكر العيب بظهر الغيب وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كنت صادقا اغتبته وان كنت كاذبا فقد بهته ثم مثل ما يناله

فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لايلتكم لاينقصكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لايلتكم من أعمالكم شيأ يقول لن يظلمكم من أعمالكم شيأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى وان تطيعوا الله ورسوله قال ان تصدّقوا ايمانكم بأعمالكم يقبل ذلك منكم وقرأت قراء الأمصار لايلتكم من أعمالكم بغير همز ولا ألف سوى أبى عمرو فانه قرأ ذلك لايألتكم بألف اعتبارا منه فى ذلك بقوله وما ألتناهم من عملهم من شئ فمن قال ألت قال يألت وأما الآخرون فانهم جعلوا ذلك من لات يليت كما قال رؤبة بن العجاج

وليلة ذات ندى سريت * ولم يلتنى عن سراها ليت

والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ما عليه قراء المدينة والكوفة لايلتكم بغير ألف ولا همز على لغة من قال لات يليت لعلتين احداهما اجماع الحجة من القراء عليها والثانية أنها فى المصحف بغير ألف ولا تسقط الهمزة فى مثل هذا الموضع لانها ساكنة والهمزة اذا سكنت ثبتت كما يقال تأمرون وتأكلون وانما تسقط اذا سكن ما قبلها ولا يحمل حرف فى القرآن اذا أتى بلغة على آخر جاء بلغة خلافها اذا كانت اللغتان معروفتين فى كلام العرب وقد ذكرنا أن ألت ولات لغتان معروفتان من كلامهم وقوله ان الله غفور رحيم يقول تعالى ذكره ان الله ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه وتاب اليه من سالف ذنوبه فأطيعوه وانتهوا الى أمره ونهيه يغفر لكم ذنوبكم رحيم بخلقه التائبين اليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه فتوبوا اليه يرحمكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله غفور رحيم غفور للذنوب الكثيرة أو الكبيرة شك يزيد رحيم بعباده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ يقول تعالى ذكره للاعراب الذين قالوا آمنا ولم يدخل الايمان فى قلوبهم انما المؤمنون أيها القوم الذين صدّقوا الله ورسوله ثم لم يرتابوا يقول ثم لم يشكوا فى وحدانية الله ولا فى نبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه فى وجوب ذلك عليه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يقول جاهدوا المشركين بانفاق أموالهم وبذل مهجهم فى جهادهم على ما أمرهم الله به من جهادهم وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وقوله أولئك هم الصادقون يقول هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون فى قولهم انا مؤمنون لا من دخل فى الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك هم الصادقون قال صدّقوا ايمانهم بأعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم أتعلمون الله أيها القوم بدينكم يعنى بطاعتكم ربكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض يقول والله الذى تعلمونه أنكم مؤمنون علام جميع ما فى السموات السبع والأرضين السبع لا يخفى عليه منه شئ فكيف تعلمونه بدينكم والذى أنتم عليه من الايمان وهو لا يخفى عليه خافية فى سماء ولا أرض فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين والله بكل شئ عليم يقول والله بكل

المغتاب من عرض صاحبه على أفظع وجه فقال (أيحب) الى آخره وفيه أنواع من المبالغة منها الاستفهام للتقرير ومحبة المكروه ومنها اسناد الفعل الى (أحدكم) ففيه اشعار بأنه لا أحد يحب ذلك ومنها تقييد المكروه بأكل لحم الانسان ومنها تقييد الانسان بالأخ ومنها جعل الأخ أو اللحم ميتا ففيه مزيد تنفير للطبع وانما مثل بالأكل لأن العرب تقول لمن ذكر بالسوء ان الناس يأكلون فلانا ويمضغونه وفلان مضغة للماضغ شبهوا ادارة ذكره فى الفم بالأكل والميت لمزيد التنفير كما قلنا أولأن الغائب كالميت من حيث لا يشعر بما يقال فيه أما الفاء فى قوله (فكرهتموه) ففصيحة أو نتيجة لانها للالزام أى بل عافته نفوسكم فكرهتموه اوفتحققت بوجوب الاقرار وبحكم العقل وداعى الطبع كراهتكم للأكل أو اللحم أو الميت فليتحقق أيضا أن تكرهوا لما هو نظيره وهى الغيبة وقال ابن عباس هى ادام كلاب الناس وعنه أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوّى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ فأخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة «لبئر من آبار مكة» لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت قلت قد تبين فى الحديث أن فى الآية مبالغة أخرى وهى أنه أراد باللحم الميت المدوّد

ما كان وماهو كائن و بما يكون ذو علم وانما هذا تقدم من الله الى هؤلاء الأعراب بالنهى عن أن يكذبوا و يقولوا غير الذى هم عليه فى دينهم يقول الله محيط بكل شئ عالم به فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم فينالكم عقوبته فانه لا يخفى عليه شئ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يمنّ عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان يقول بل الله يمنّ عليكم أيها القوم أن وفقكم للايمان به و برسوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين فى قولكم آمنا فان الله هو الذى منّ عليكم بأن هداكم له فلا تمنوا علىّ باسلامكم وذكر أن هؤلاء الأعراب من بنى أسد آمتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا آمنا من غير قتال ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا فأنزل الله فيهم هذه الآيات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية يمنون عليك أن أسلموا أهم بنو أسد قال قد قيل ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف قال ثنا شعبة عن أبى بشر قال قلت لسعيد ابن جبير يمنون عليك أن أسلموا أهم بنو أسد قال يزعمون ذاك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبى عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب عند الحجاج جالسين فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت فى قومك بنى تميم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال انه لو علم بآخر الآية أجابه يمنون عليك أن أسلموا قالوا أسلمنا ولم نقاتلك بنو أسد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة لا تمنوا إنا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان و بنو فلان فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم قال فهذه الآيات نزلت فى الأعراب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله أيها الأعراب لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب ومن الداخل منكم فى ملة الاسلام رغبة فيه ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وجنده فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم فان الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم وتحدثون به أنفسكم و يعلم ما غاب عنكم فاستسر فى خبايا السموات والارض لا يخفى عليه شئ من ذلك والله بصير بما تعملون يقول والله ذو بصر بأعمالكم التى تعملونها أجهرا تعملون أم سرا طاعة تعملون أو معصية وهو مجازيكم على جميع ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وكفؤه وأن فى قوله يمنون عليك أن أسلموا فى موضع نصب بوقوع يمنون عليها وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله يمنون عليك اسلامهم وذلك دليل على صحة ما قلنا ولو قيل هى نصب بمعنى يمنون عليك لأن أسلموا لكان وجها يتجه وقال بعض أهل العربية هى فى موضع خفض بمعنى لأن أسلموا وأما أن التى فى قوله بل الله يمن عليكم أن هداكم فانها فى موضع نصب بسقوط الصلة لأن معنى الكلام بل الله يمن عليكم بأن هداكم للايمان

آخر تفسير سورة الحجرات

المتن المختصر وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر الحسى عن الامر المعنوى الذى أدركه بنور النبوة منهما واعلم ان الغيبة وان كانت منهية الا أنها مباحة فى حق الفاسق ففى الحديث اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذره الناس وروى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له واتقوا الله فيما نهاكم وتوبوا فيما وجد منكم وحين علم المؤمنين تلك الآداب الجميلة عمم الخطاب منعا من السخرية واللمز وغير ذلك على الاطلاق فقال (يا أيها الناس) الآية قال بعض الرواة ان ثابت بن قيس حين قال فلان ابن فلانة قال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال أنا يا رسول الله فقال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأسود وأحمر قال فانك لا تفضلهم الا بالتقوى والدين فأنزل الله هذه الآية وعن مقاتل لما كان يوم فتح مكة أمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا حتى أذن على ظهر الكعبة فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان انى لا أقول شيأ أخاف أن يخبر به رب السماء فأتى جبريل عليه السلام فأخبره وأقول الآية تزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء و يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى سوق المدينة غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط

﴿ تفسير سورة ق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ق فقال بعضهم هو اسم من أسماء الله تعالى اقسم به ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ق ون وأشباه هذا فانه قسم أقسمه الله وهو اسم من أسماء الله * وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ق قال اسم من أسماء القرآن * وقال آخرون ق اسم الجبل المحيط بالأرض وقد تقدم بياننا فى تأويل حروف المعجم التى فى أوائل سور القرآن بما فيه الكفاية عن اعادته فى هذا الموضع وقوله والقرآن المجيد يقول والقرآن الكريم كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير ق والقرآن المجيد قال الكريم واختلف أهل العربية فى موضع جواب هذا القسم فقال بعض نحويى البصرة ق والقرآن المجيد قسم على قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم وقال بعض نحويى أهل الكوفة فيها المعنى الذى أقسم به وقال ذكر أنها قضى والله وقال يقال ان قاف جبل محيط بالأرض فان يكن كذلك فكأنه فى موضع رفع أى هو قاف والله قال وكان ينبغى لرفعه أن يظهر لأنه اسم وليس بهجاء قال ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كما قال الشاعر

* قلت لها قفى فقالت قاف * ذكرت القاف ارادة القاف من الوقف أى انى واقفة

وهذا القول الثانى عندنا أولى القولين بالصواب لأنه لا يعرف فى أجوبة الأيمان قد وانما تجاب الايمان اذا أجيبت بأحد الحروف الاربعة اللام وان وما ولا أو بترك جوابها فيكون ساقطا

وقوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كذبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محق ولكنهم كذبوك تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم يعنى بشرا منهم من بنى آدم ولم يأتهم ملك برسالة من عند الله وقوله فقال الكافرون هذا شئ عجيب يقول تعالى ذكره فقال المكذبون بالله ورسوله من قريش اذ جاءهم منذر منهم هذا شئ عجيب أى مجئ رجل منا من بنى آدم برسالة الله الينا هلا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ يقول القائل لم يجر للبعث ذكر فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا اليه من ذلك فما وجه الخبر عنهم بانكارهم ما لم يدعوا اليه وجوابهم عما لم يسئلوا عنه قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فنذكر ما قالوا فى ذلك ثم نتبعه البيان ان شاء الله تعالى فقال فى ذلك بعض نحويى البصرة قال أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد لم يذكر أنه راجع وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب كأنه قيل لهم انكم ترجعون فقالوا أئذا كنا ترابا ذلك رجع بعيد وقال بعض نحويى الكوفة قوله أئذا متنا وكنا ترابا كلام لم يظهر قبله ما يكون هذا جوابا له ولكن معناه مضمر انما كان والله أعلم ق والقرآن المجيد لتبعثن بعد الموت فقالوا أئذا كنا ترابا بعثنا جحدوا البعث ثم قالوا ذلك رجع بعيد جحدوه أصلا قوله بعيد كما تقول للرجل يخطئ فى المسئلة لقد ذهبت مذهبا بعيدا من الصواب أى أخطأت * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن فى هذا الكلام

لا يمنعنى عن الصلوات الخمس خلف النبى صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد أيام فقيل هو فى ذمائه فجاءه وتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار أمر عظيم فنزلت وقوله (من ذكر وأنثى) فيه وجهان أحدهما من آدم وحواء فيدل على أنه لا تفاخر لبعض على بعض لكونهم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة والثانى كل واحد منكم أيها الموجودون وقت النداء خلقناه من أب وأم والتفاوت فى الجنس دون التفاوت فى الجنسين كالذباب والذئاب مثلا لكن التفاوت بين الناس بالكفر والايمان كالتفاوت الذى بين الجنسين لان الكافر كالانعام بل أضل والمؤمن هو الناس وغيره كالنسناس والحاصل أن الشئ اما أن يترجح على غيره بأمر يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما أن يترجح عليه بأمر هو قبله وهذا القسم اما أن يرجع الى القابل أو الى الفاعل كما يقال كان هذا من النحاس وهذا من الفضة وهذا عمل فلان فذكر الله سبحانه أنه لا ترجح بحسب الاصل القابل لانكم كلكم من ذكر وأنثى ولا بحسب الفاعل فان الله هو خالقكم فان كان تفاوت فبامور لاحقة وأحقها بالتمييز هو التقوى لما قلنا ولهذا يصلح للمناصب الدينية كالقضاء والشهادة كل شريف ووضيع اذا كان دينا عالما ولا يصلح لشئ منها فاسق وان كان قرشى النسب قارونى النشب ثم بين الحكمة التى من أجلها رتبهم

متروكا استغنى بدلالة ماذكر عليه من ذكره وذلك أن الله دل بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين
الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله بل عجبوا أن جاءهم
منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب على وعيده اياهم على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
فكأنه قال لهم اذ قالوا منكرين رسالة الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هذا شئ عجيب ستعلمون
أيها القوم اذا أنتم بعثتم يوم القيامة ما يكون حالكم فى تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم وانكاركم
نبوته فقالوا مجيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أئذا متنا وكنا ترابا نعلم ذلك ونرى ما تعدنا على
تكذيبك ذلك رجع بعيد أى ان ذلك غير كائن ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا فاستغنى بدلالة قوله
بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب من ذكر ما ذكرت من الخبر عن
وعيدهم وفيما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول فى قوله أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قالوا كيف يحيينا الله وقد صرنا عظاما ورفاتا وضللنا
فى الأرض دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث اذ توعدوا به وقوله قد علمنا ما تنقص
الارض منهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم وعندنا كتاب
بما تأكل الارض وتفنى من أجسامهم ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك حافظ لذلك كله وسماه
الله تعالى حفيظا لأنه لا يدرس ما كتب فيه ولا يتغير ولا يتبدل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى
عن أبيه عن ابن عباس قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم يقول ما تأكل الارض من لحومهم
وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
قوله ما تنقص الارض منهم قال من عظامهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة فى قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم يقول ما تأكل الارض منهم حدثنا ابن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قد علمنا ما تنقص الارض منهم قال يعنى
الموت يقول من يموت منهم أو قال ما تأكل الارض منهم اذا ماتوا حدثت عن الحسين قال
سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قال الله قد علمنا ما تنقص الارض
منهم يقول ما أكلت الارض منهم ونحن عالمون به وهم عندى مع علمى فيهم فى كتاب حفيظ

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ يقول تعالى ذكره ما أصاب هؤلاء المشركون
القائلون أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فى قيلهم هذا بل كذبوا بالحق وهو القرآن لما جاءهم
من الله كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل كذبوا بالحق لما جاءهم
أى كذبوا بالقرآن فهم فى أمر مريج يقول فهم فى أمر مختلط عليهم ملتبس لا يعرفون حقه من باطله
قد مرج أمر الناس اذا اختلط وأهمل وقد اختلفت عبارات أهل التأويل فى تأويلها وان
كانت متقاربات المعانى فقال بعضهم معناها فهم فى أمر منكر وقال المريج هو الشئ المنكر ذكر
من قال ذلك حدثنى محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سلم بن قتيبة عن وهب بن حبيب
الآمدى عن أبى حمزة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله أمر مريج قال المريج الشئ المنكر أما
سمعت قول الشاعر

فجالت والتمست به حشاها * فخر كأنه خوط مريج

على شعوب وقبائل وهى أن يعرف
بعضهم نسب بعض فلا يعتزى الى
غير آبائه فقال (وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا) أى ليقع بينكم
التعارف بسبب ذلك لا أن تتفاخروا
بالأنساب قيل الشعوب بطون
العجم والقبائل بطون العرب وقال
جار الله الشعب بالفتح الطبقة الاولى
من الطبقات الست التى عليها
العرب أولها شعب وهى أعم سمى
بذلك لأن القبيلة تتشعب منها
ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ
ثم فصيلة وهى الأخص مثال ذلك
خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ
والعباس فصيلة ﴿فائدة﴾ لا ريب أن
الخلق يستعمل فى الاصول أكثر
والجعل يستعمل فيما يتفرع عليه
ولهذا قال خلق السموات والارض
وجعل الظلمات والنور وقال
فى الآية خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل ولكنه
قال فى موضع آخر وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون فبين أن
الاصل فى الخلق والغرض الاقدم
هو العبادة ليعلم منه أن اعتبار النسب
وغيره مؤخر عن اعتبار العبادة فلهذا
قال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم)
وفيه معنيان أحدهما أن التقوى
تفيد الاكرام عند الله والثانى أن
الاكرام فى حكم الله يورث التقوى
والاول أشهر كما يقال ألذ الأطعمة
أحلاها أى اللذة بقدر الحلاوة لا
أن الحلاوة بقدر اللذة عن النبى صلى
الله عليه وسلم أنه طاف يوم فتح مكة
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله
الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية

* وقال آخرون بل معنى ذلك فى أمر مختلف ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى أمر مريج يقول مختلف * وقال آخرون بل معناه فى أمر ضلالة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فهم فى أمر مريج قال هم فى أمر ضلالة * وقال آخرون بل معناه فى أمر ملتبس ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى ابن يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير فى قوله فهم فى أمر مريج قال ملتبس حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أمر مريج قال ملتبس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهم فى أمر مريج ملتبس عليهم أمره حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال والتبس عليه دينه * وقال آخرون بل هو المختلط ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى أمر مريج قال المريج المختلط وانما قلت هذه العبارات وان اختلفت ألفاظها فهى فى المعنى متقاربات لأن الشئ المختلف ملتبس معناه مشكل واذا كان كذلك كان منكرا لأن المعروف واضح بين واذا كان غير معروف كان لاشك ضلالة لأن الهدى بين لا لبس فيه وقوله أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها يقول تعالى ذكره أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت المنكرون قدرتنا على احيائهم بعد بلائهم الى السماء فوقهم كيف بنيناها فسويناها سقفا محفوظا وزيناها بالنجوم ومالها من فروج يعنى ومالها من صدوع وفتوق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من فروج قال شق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومالها من فروج قلت له يعنى ابن زيد الفروج الشئ المتبرئ بعضه من بعض قال نعم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ وقوله والأرض مددناها يقول والارض بسطناها وألقينا فيها رواسى يقول وجعلنا فيها جبالا ثوابت رست فى الارض وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج يقول تعالى ذكره وأنبتنا فى الارض من كل نوع من نبات حسن وهو البهيج * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله بهيج يقول حسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقينا فيها رواسى والرواسى الجبال وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج أى من كل زوج حسن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قلت لابن زيد البهيج هو الحسن المنظر قال نعم وقوله تبصرة يقول فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس نبصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء وذكرى لكل عبد منيب يقول وتذكيرا من الله عظمته وسلطانه وتنبيها على وحدانيته لكل عبد منيب يقول لكل عبد رجع الى الايمان بالله والعمل بطاعته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تبصرة نعمة من الله يبصرها العباد وذكرى لكل عبد منيب أى مقبل بقلبه

وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى (ان الله عليم) بظواهركم (خبير) ببواطنكم وحق مثله أن يخشى ويتقى وحين حث عموم الناس على تقواه وبخ من فى ايمانه ضعف قال ابن عباس ان نفرا من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين فى السر وأفسدوا طريق المدينة بالقذاة وأغلوا أسعارها وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله هذه الآيات أى قالوا آمنا بشرائطه فأطلع الله نبيه على مكنون ضمائرهم وقال لن تؤمنوا ايمانا حقيقيا وهو الذى وافق القلب فيه اللسان (ولكن قولوا أسلمنا) يعنى اسلاما لغويا وهو الخضوع والانقياد خوفا من القتل ودخولا فى زمرة أهل الايمان والسلم ثم أكد النفى المذكور بقوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) وفيه فائدة زائدة هى أن يعلم أن الايمان متوقع منهم لأن لما حرف فيه توقع وانتظار ثم حثهم على الطاعة بقوله (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم) أى لا ينقصكم (من) ثواب (أعمالكم شيأ) يعنى الثواب المضاعف الموعود فى نحو قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ألت يألت بالهمز

الى الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله تبصرة وذكرى قال تبصرة من الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تبصرة قال بصيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن عطاء ومجاهد لكل عبد منيب قالا مجيب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾ يقول تعالى ذكره ونزلنا من السماء ماء مطرا مباركا فأنبتنا به بساتين أشجارا وحب الزرع المحصود من البر والشعير وسائر أنواع الحبوب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحب الحصيد هذا البر والشعير حدثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وحب الحصيد قال هو البر والشعير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحب الحصيد قال الحنطة وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله وحب الحصيد الحب هو الحصيد وهو مما أضيف الى نفسه مثل قوله ان هذا لهو حق اليقين وقوله والنخل باسقات يقول وأنبتنا بالماء الذى أنزلنا من السماء النخل طوالا والباسق هو الطويل يقال للجبل الطويل جبل باسق كما قال ابن نوفل لابن هبيرة

يا ابن الذين بفضلهم * بسقت على قيس فزاره

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله باسقات يقول طوال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والنخل باسقات قال النخل الطوال حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن شداد فى قوله والنخل باسقات قال بسوقها طولها فى اقامة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله والنخل باسقات قال الباسقات الطوال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله باسقات قال الطوال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والنخل باسقات قال بسوقها طولها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والنخل باسقات قال يعنى طولها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والنخل باسقات قال البسوق الطول وقوله لها طلع نضيد يقول لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكفرى نضيد يقول منضود بعضه على بعض متراكب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى ابى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لها طلع نضيد قال يقول بعضه على بعض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله نضيد قال المنضد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة لها طلع نضيد يقول بعضه على بعض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لها طلع نضيد ينضد بعضه على بعض وقوله رزقا للعباد يقول أنبتنا بهذا

اذا نقص وهى لغة غطفان يقال ألته السلطان حقه أشد الألت ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وقال قطرب ولته يلته بمعنى صرفه عن وجهه فيكون يلتكم على وزن يعدكم وعلى الوجه المتقدم على وزن يبعكم (ان الله غفور رحيم) لمن تاب وأخلص نيته ثم وصف المؤمنين المحقين بقوله (انما المؤمنون) ومعنى ثم فى قوله (ثم لم يرتابوا) كما فى قوله ربنا الله ثم استقاموا وارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة أى ثم لم يقع فى قلوبهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه وذلك بتشكيك بعض شياطين الجن والانس وقال جار الله وجه آخر لما كان زوال الريب ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مزيته واشعارا بأنهم مستقرون على ذلك فى الازمنة المتطاولة غضا جديدا وفى قوله (أولئك هم الصادقون) تعريض بأن المذكورين أولا كاذبون ولهذا قال قل لم تؤمنوا اشارة الى كذبهم فى دعواهم ورب تعريض لا يقاومه التصريح ثم أراد تجهيلهم بقوله (قل أتعلمون الله بدينكم) والباء قيل للسببية والاظهر أنه الذى فى قولهم ما علمت بقدومك أى ما شعرت ولا أحطت به وذكر فى أسباب النزول أنه لما نزلت الآية الاولى جاءت هؤلاء الأعراب وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية والاستفهام للتوبيخ أى كيف تعلمونه بعقيدتكم وهو عالم بكل خافية والتعليم افادة العلم على التدريج والمعالجة وقيل تعريض من لا يعلم بافهام المعنى

الماء الذي أنزلناه من السماء هذه الجنات والحب والنخل قوتا للعباد بعضها غذاء و بعضها فاكهة ومتاعا وقوله وأحيينا به بلدة ميتا يقول تعالى ذكره وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت فلا زرع فيها ولا نبت وقوله كذلك الخروج يقول تعالى ذكره كما أنبتنا بهذا الماء هذه الارض الميتة فأحييناها به فأخرجنا نباتها وزرعها كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قبل هؤلاء المشركين الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه قوم نوح وأصحاب الرس وقد مضى ذكرنا قبل أمر أصحاب الرس وأنهم قوم رسوا نبيهم في بئر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبي بكر عن عكرمة بذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أصحاب الرس والرس بئر قتل فيها صاحب يس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أصحاب الرس قال بئر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث عن سعيد ابن أبي هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة أنه قال ان أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف وأصحاب الرس كانتا أمتين فبعث الله اليهم نبيا واحدا شعيبا وعذبهما الله بعذابين وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وهم قوم شعيب وقد مضى خبرهم قبل وقوم تبع وكان قوم تبع أهل أوثان يعبدونها فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وكان من خبره وخبر قومه ما حدثنا به مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا عمران بن حدير عن أبي مجلز عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن تبع ما كان فقال ان تبعا كان رجلا من العرب وانه ظهر على الناس فاختار فتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم حتى أخذ منهم و بايعهم وان قومه استكبروا ذلك وقالوا قد ترك دينكم و بايع الفتية فلما فشا ذلك قال للفتية فقال الفتية بيننا و بينهم النار تحرق الكاذب و ينجو منها الصادق ففعلوا فعلق الفتية مصاحفهم في أعناقهم ثم غدوا الى النار فلما ذهبوا ان يدخلوها سفعت النار في وجوههم فنكصوا عنها فقال لهم تبع لتدخلنها فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها وأنه قال لقومه ادخلوها فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم فنكصوا عنها فقال لهم تبع لتدخلنها فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى اذا توسطوا أحاطت بهم فأحرقتهم فأسلم تبع وكان تبع رجلا صالحا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن أبي مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال سمعت ابراهيم بن محمد القرظي قال سمعت ابراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبد الله يحدث أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه و بين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار قال نعم قال وكانت في اليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم فيما بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فلما قالوا ذلك لتبع قال أنصفتم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم قال وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فرموهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فأطبقت حمير عند ذلك على دينه

لأن يعلم قوله (يمنون عليك) نزلت في المذكورين وفي أمثالهم يقال منّ عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانما قال أهل العربية اشتقاق المنة من المن الذي هو القطع لانه انما يسدي النعمة اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمل لطلب مثوبة وعوض ثم قال (بل الله يمن عليكم) حيث هداكم للايمان الذي ادعيتموه وفي اضافة الاسلام اليهم ازدراء باسلامهم وفي ايراد الايمان مطلقا غير مضاف اشارة الى الايمان المعهود الذي يجب أن يكون المكلف عليه وجواب الشرط محذوف أي (ان كنتم صادقين) في ادعاء الايمان الحقيقي فلله المنة عليكم ثم عرض بأنهم غير صادقين فقال (ان الله يعلم) الآية والمراد أنه لا يخفى عليه ضمائرهم والله أعلم بالصواب

فمن هنالك وغير ذلك كان أصل اليهودية باليمن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
عن بعض أصحابه أن الحبرين ومن خرج معهما من حمير انما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها
فهو أولى بالحق فدنا منهم رجال من حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا فلم يستطيعوا
ردها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وتنكص حتى رداها الى مخرجها الذى
خرجت منه فأطبقت عند ذلك على دينهما وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون
منه اذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع انما هو شيطان يعينهم ويلعب بهم فخل بيننا وبينه
قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم
باليمن كما ذكر لى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن لهيعة عن عمرو بن جابر الحضرمى
حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدى يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تلعنوا
تبعا فانه قد كان أسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن الحرث
ابن يزيد أن شعيب بن زرعة المعافرى حدثه قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له رجل
ان حمير تزعم أن تبعا منهم فقال نعم والذى نفسى بيده وانه فى العرب كالأنف بين العينين وقد كان
منهم سبعون ملكا وقوله كل كذب الرسل فحق وعيد يقول تعالى ذكره كل هؤلاء الذين ذكرناهم
كذبوا رسل الله الذين أرسلهم فحق وعيد يقول فوجب لهم الوعيد الذى وعدناهم على كفرهم بالله
وحل بهم العذاب والنقمة وانما وصف ربنا جل ثناؤه ما وصف فى هذه الآية من احلاله عقوبته
بهؤلاء المكذبين الرسل ترهيبا منه بذلك مشركى قريش واعلاما منه لهم أنهم ان لم ينيبوا من تكذيبهم
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنه محل بهم من العذاب مثل الذى أحل بهم وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله
فحق وعيد قال ما أهلكوا به تخويفا لهؤلاء القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفعيينا بالخلق الأول
بل هم فى لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه
من حبل الوريد﴾ وهذا تقريع من الله لمشركى قريش الذين قالوا أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد
يقول لهم جل ثناؤه أفعيينا بابتداع الخلق الاول الذى خلقناه ولم يكن شيأ فنعيا باعادتهم خلقا
جديدا بعد بلائهم فى التراب وبعد فنائهم يقول ليس يعيينا ذلك بل نحن عليه قادرون وبنحو الذى
قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية
عن على عن ابن عباس قوله أفعيينا بالخلق الاول يقول لم يعينا الخلق الاول حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أفعيينا بالخلق الاول يقول أفعيى علينا حين أنشأناكم خلقا جديدا
فتمتروا بالبعث حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن ابى ميسرة
أفعيينا بالخلق الاول قال إنا خلقناكم وقوله بل هم فى لبس من خلق جديد يقول تعالى ذكره
ما يشك هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أنا لم نعى بالخلق الأول ولكنهم فى شك من قدرتنا على
أن نخلقهم خلقا جديدا بعد فنائهم وبلائهم فى قبورهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
قوله بل هم فى لبس من خلق جديد يقول فى شك من البعث حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران
عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى ميسرة بل هم فى لبس قال الكفار من خلق جديد قال

أن

* (سورة ق مكية حروفها ألف وأربعمائة وسبعة وسبعون كلماتها ثلثمائة وخمس وسبعون آياتها خمس وأربعون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب

ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد

أن يخلقوا من بعد الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل هم فى لبس أى شك والخلق الجديد البعث بعد الموت فصار الناس فيه رجلين مكذب ومصدق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فى لبس من خلق جديد قال البعث من بعد الموت وقوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما تحدث به نفسه فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد يقول ونحن أقرب للانسان من حبل العاتق والوريد عرق بين الحلقوم والعلباوين والحبل هو الوريد فأضيف الى نفسه لاختلاف لفظ اسميه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد يقول عرق العنق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حبل الوريد قال الذى يكون فى الحلق وقد اختلف أهل العربية فى معنى قوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فقال بعضهم معناه نحن أملك به وأقرب اليه فى المقدرة عليه * وقال آخرون بل معنى ذلك ونحن أقرب اليه من حبل الوريد بالعلم بما توسوس به نفسه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴾ يقول تعالى ذكره ونحن أقرب الى الانسان من وريد حلقه حين يتلقى الملكان وهما المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقيل عنى بالقعيد الرصد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قعيد قال رصد واختلف أهل العربية فى وجه توحيد قعيد وقد ذكر من قبل متلقيان فقال بعض نحويى البصرة قيل عن اليمين وعن الشمال قعيد ولم يقل عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى أحدهما ثم استغنى كما قال نخرجكم طفلا ثم استغنى بالواحد عن الجمع كما قال فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وقال بعض نحويى الكوفة قعيد يريد قعودا عن اليمين وعن الشمال فجعل فعيل جمعا كما يجعل الرسول للقوم وللاثنين قال الله عز وجل إنا رسول رب العالمين لموسى وأخيه وقال الشاعر

ألكنى اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحى الخبر

فجعل الرسول للجمع فهذا وجه وان شئت جعلت القعيد واحدا اكتفاء به من صاحبه كما قال الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف

ومنه قول الفرزدق

انى ضمنت لمن أتانى ما جنى * وأبى وكان وكنت غير غدور

ولم يقل غدورين وقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد يقول تعالى ذكره ما يلفظ الانسان من قول فيتكلم به الا عندما يلفظ به من قول رقيب عتيد يعنى حافظ يحفظه عتيد معد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن اليمين وعن الشمال قعيد قال عن اليمين الذى يكتب الحسنات وعن الشمال الذى يكتب السيئات حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم التيمى فى قوله اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد

قال صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال أمسك لعله يتوب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن مجاهد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قال ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذى عن يمينه فيكتب الخير وأما الذى عن شماله فيكتب الشر * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال مع كل انسان ملكان ملك عن يمينه وملك عن يساره قال فأما الذى عن يمينه فيكتب الخير وأما الذى عن يساره فيكتب الشر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الى عتيد قال جعل الله على ابن آدم حافظين فى الليل وحافظين فى النهار يحفظان عليه عمله و يكتبان أثره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد حتى بلغ عتيد قال الحسن وقتادة ما يلفظ من قول أى ما يتكلم به من شئ الا كتب عليه وكان عكرمة يقول انما ذلك فى الخير والشر يكتبان عليه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال تلا الحسن عن اليمين وعن الشمال قعيد قال فقال يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل بما شئت أقلل أو أكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه حتى بلغ حسيبا عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن اليمين وعن الشمال قعيد قال كاتب الحسنات عن يمينه وكاتب السيئات عن شماله * قال ثنا مهران عن سفيان قال بلغنى أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا أذنب قال له لا تعجل لعله يستغفر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال جعل معه من يكتب كل ما لفظ به وهو معه رقيب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن هشام الحمصى أنه بلغه أن الرجل اذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال اكتب فيقول لا بل أنت اكتب فيمتنعان فينادى مناد يا صاحب الشمال اكتب ما ترك صاحب اليمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد﴾ وفى قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجهان من التأويل أحدهما وجاءت سكرة الموت وهى شدته وغلبته على فهم الانسان كالسكرة من النوم أو الشراب بالحق من أمر الآخرة فتبينه الانسان حتى تثبته وعرفه والثانى وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت وقد ذكر عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقرأ وجاءت سكرة الحق بالموت ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن واصل عن أبى وائل قال لما كان أبو بكر رضى الله عنه يقضى قالت عائشة رضى الله عنها هذا كما قال الشاعر

* اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر *

فقال أبو بكر رضى الله عنه لا تقولى ذلك ولكنه كما قال الله عز وجل وجاءت سكرة (١) الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وقد ذكر أن ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان أحدهما وجاءت سكرة الله بالموت فيكون الحق هو الله تعالى ذكره

كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا

(١) لعله سكرة الحق بالموت فانها قراءة الصدّيق رضى الله عنه الا أن تكون القراءة الأخرى رويت عنه أيضا تأمل كتبه مصححه

والثانى أن تكون السكرة هى الموت أضيفت الى نفسها كما قيل ان هذا لهو حق اليقين ويكون
تأويل الكلام وجاءت السكرة الحق بالموت وقوله ذلك ما كنت منه تحيد يقول هذه السكرة التى
جاءتك أيها الانسان بالحق هو الشئ الذى كنت تهرب منه وعنه تروغ وقوله ونفخ فى الصور
ذلك يوم الوعيد قد تقدم بياننا عن معنى الصور وكيف النفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين والذى
هو أولى الاقوال عندنا فيه بالصواب بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ذلك يوم الوعيد
يقول هذا اليوم الذى ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذى وعده الله الكفار أن يعذبهم فيه ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ يقول تعالى ذكره وجاءت يوم ينفخ فى الصور
كل نفس ربها معها سائق يسوقها الى الله وشهيد يشهد عليها بما عملت فى الدنيا من خير أو شر
* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا
مهران عن اسمعيل بن أبى خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضى
الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية سائق وشهيد قال سائق يسوقها الى الله وشاهد يشهد عليها بما عملت
* قال ثنا حكام عن اسمعيل عن أبى عيسى قال سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب
فقرأ هذه الآية وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال السائق يسوقها الى أمر الله والشهيد يشهد
عليها بما عملت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن
أبيه عن ابن عباس قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال السائق من الملائكة والشهيد
شاهد عليه من نفسه حدثنا ابن حميد قال ثنا سفيان عن مهران عن خصيف عن مجاهد
سائق وشهيد سائق يسوقها الى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما عملت حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سائق وشهيد سائق يسوقها الى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما
عملت حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال
ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله سائق وشهيد قال
الملكان كاتب وشهيد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها الى ربها وشاهد يشهد عليها بعملها حدثنا ابن
بشار قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وجاءت كل
نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها الى حسابها وشاهد يشهد عليها بما عملت حدثنا
ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها
وشاهد يشهد عليها بعملها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس
سائق وشهيد قال سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها وحدثت عن الحسين قال سمعت
أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدى والارجل والملائكة أيضا شهداء
عليهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سائق وشهيد قال ملك
وكل به يحصى عليه عمله وملك يسوقه الى محشره حتى يوافى محشره يوم القيامة واختلف أهل
التأويل فى المعنى بهذه الآيات فقال بعضهم عنى بها النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم عنى أهل
الشرك وقال بعضهم عنى بها كل أحد ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب

فنقبوا فى البلاد هل من محيص
ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب
أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما
فى ستة أيام وما مسنا من لغوب
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار
السجود واستمع يوم يناد المناد من
مكان قريب يوم يسمعون الصيحة
بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن
نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق
الارض عنهم سراعا ذلك حشر
علينا يسير نحن أعلم بما يقولون
وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد﴾ ۞ القراآت ميتا
بالتشديد يزيد وعيدى وما بعده
مثل التى فى ابراهيم يوم يقول بالياء

قال ثنى يعقوب بن عبدالرحمن الزهرى قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله وجاءت سكرة الموت بالحق الآية الى قوله سائق وشهيد فقلت له من يراد بهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له رسول الله فقال وما تنكر قال الله عز وجل ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى قال ثم سألت صالح بن كيسان عنها فقال لى هل سألت أحدا فقلت نعم قد سألت عنها زيد ابن أسلم فقال ما قال لك فقلت بل تخبرنى ما تقول فقال لأخبرنك برأيى الذى عليه رأيى فأخبرنى ما قال لك قلت قال يراد بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما علم زيد والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب انما يراد بهذا الكافر ثم قال اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك قال ثم سألت حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس فقال لى مثل ما قال صالح هل سألت أحدا فأخبرنى به قلت انى قد سألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان فقال لى ما قالا لك قلت بل تخبرنى بقولك قال لأخبرنك بقولى فأخبرته بالذى قالا لى قال أخالفهما جميعا يريد بها البر والفاجر قال الله وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال فانكشف الغطاء عن البر والفاجر فرأى كل ما يصير اليه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد يعنى المشركين * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بها البر والفاجر لأن الله أتبع هذه الآيات قوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه والانسان فى هذا الموضع بمعنى الناس كلهم غير مخصوص منهم بعض دون بعض فمعلوم اذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءتك أيها الانسان سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد واذا كان ذلك كذلك كانت بينة صحة ما قلنا وقوله لقد كنت فى غفلة من هذا يقول تعالى ذكره يقال له لقد كنت فى غفلة من هذا الذى عاينت اليوم أيها الانسان من الاهوال والشدائد فكشفنا عنك غطاءك يقول فجلينا ذلك لك وأظهرناه لعينيك حتى رأيته وعاينته فزالت الغفلة عنك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفوا فى المقول ذلك له فقال بعضهم المقول ذلك له الكافر * وقال آخرون هو نبى الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هو جميع الخلق من الجن والانس ذكر من قال هو الكافر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك وذلك الكافر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فكشفنا عنك غطاءك قال للكافر يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان فكشفنا عنك غطاءك قال فى الكافر * ذكر من قال هو نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد كنت فى غفلة من هذا قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كنت فى غفلة من هذا الأمر يا محمد كنت مع القوم فى جاهليتهم فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وعلى هذا التأويل الذى قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطابا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان فى غفلة فى الجاهلية من هذا الدين الذى بعثه به فكشف عنه غطاءه الذى كان عليه فى الجاهلية فنفذ بصره بالايمان وتبينه حتى تقرر ذلك عنده فصار حاد البصر به * ذكر من قال هو جميع الخلق من الجن والانس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يعقوب بن عبدالرحمن الزهرى قال سألت عن ذلك الحسين بن عبدالله

نافع وأبو بكر وحماد امتلأت بابدال الهمزة ألفا أبو عمرو ويزيد والاعشى والأصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يوعدون على الغيبة ابن كثير وادبار بكسر الهمزة أبو جعفر ونافع وابن كثير وحمزة وخلف وجبلة المنادى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فى الوصل ۞ الوقوف ق ط كوفى ولو جعل قسما فلا يوقف للعطف المجيد ه ج لأن بل قد يجعل جواب القسم تشبيها بان فى التحقيق وفى توكيد ما بعده وقد يجعل جوابه محذوفا أى لتبعثن ترابا ج لأن ذلك مبتدأ الأأن المقول واحد بعيد ه منهم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف حفيظ ه مريج ه فروج ه

ابن عبيد الله بن عباس فقال يريد به البر والفاجر فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال وكشف الغطاء عن البر والفاجر فرأى كل ما يصير اليه * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله فكشفنا عنك غطاءك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فكشفنا عنك غطاءك قال الحياة بعد الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك قال عاين الآخرة وقوله فبصرك اليوم حديد يقول فأنت اليوم نافذ البصر عالم بما كنت عنه فى الدنيا فى غفلة وهو من قولهم فلان بصير بهذا الامر اذا كان ذا علم به وله بهذا الامر بصر أى علم وقد روى عن الضحاك أنه قال معنى ذلك فبصرك اليوم حديد لسان الميزان وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف فى الدنيا شاهد عدل عليه فشبه بصره بذلك بلسان الميزان الذى يعدل به الحق فى الوزن ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب فى الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال قرينه هذا مالدىّ عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب﴾ يقول تعالى ذكره وقال قرين هذا الانسان الذى جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال قرينه هذا مالدىّ عتيد الملك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقال قرينه هذا مالدىّ عتيد الى آخر الآية قال هذا سائقه الذى وكل به وقرأ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقوله هذا مالدىّ عتيد يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قرين هذا الانسان عند موافاته ربه به رب هذا مالدىّ عتيد يقول هذا الذى هو عندى معدّ محفوظ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا مالدىّ عتيد قال والعتيد الذى قد أخذه وجاء به السائق والحافظ معه جميعا وقوله ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه وهو يقال ألقيا فى جهنم أو قال تعالى ألقيا فأخرج الأمر للقرين وهو بلفظ واحد مخرج خطاب الاثنين وفى ذلك وجهان من التأويل أحدهما أن يكون القرين بمعنى الاثنين كالرسول والاسم الذى يكون بلفظ الواحد فى الواحد والتثنية والجمع فردّ قوله ألقيا فى جهنم الى المعنى والثانى أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين فتقول للرجل ويلك أرحلاها وازجراها وذكر أنه سمعها من العرب قال وأنشدنى بعضهم

فقلت لصاحبى لاتحبسانا * بنزع أصوله واجتز شيحا

قال وأنشدنى أبو ثروان

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

قال فيروى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه فى ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة فجرى كلام الواحد على صاحبيه وقال ألا ترى الشعراء أكثر شئ قيلا ياصاحبىّ ياخليلىّ وقال امرؤ القيس

خليلىّ مرا بى على أم جندب * لنقضى لبانات الفؤاد المعذب

بهيج ٥ لا لأن تبصرة مفعول لأجله منيب ٥ الحصيد ٥ لا لأن النخل معطوف على الجنات والحب نضيد ٥ لا لأن المراد أنبتناها لأجل الرزق للعباد ط للعطف ميتا ط الخروج ٥ وثمود ٥ لوط ٥ لا تبع ط وعيد ٥ الاول ط جديد ٥ نفسه ج وجعل ما بعدها حالا أولى من الاستئناف فيوقف على الوريد واذ يتعلق بمحذوف وهو اذكر أو بقوله ما يلفظ فلا يوقف على قعيد عتيد ٥ بالحق ط تحيد ٥ الصور ط الوعيد ٥ وشهيد ٥ حديد ٥ عتيد ٥ لتقدير القول عنيد ٥ لا مريب ٥ لا بناء على أن ما بعده صفة أخرى ولو جعل مبتدأ لتضمنها معنى الشرط أو

ثم قال

ألم ترأني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فرجع الى الواحد وأول الكلام اثنان قال وأنشدني بعضهم

خليليّ قوما في عطالة فانظرا * أنارا ترى من ذي أبانين أم برقا

وبعضهم يروي أنارا ترى كل كفار عنيد يعني كل جاحد وحدانية الله عنيد وهو العاند عن الحق وسبيل الهدى وقوله مناع للخير كان قتادة يقول في الخير في هذا الموضع هو الزكاة المفروضة حدثنا بذلك بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والصواب من القول في ذلك عندي أنه كل حق وجب لله أو لآدمي في ماله والخير في هذا الموضع هو المال وإنما قلنا ذلك هو الصواب من القول لأن الله تعالى ذكره عم بقوله مناع للخير عنه أنه يمنع الخير ولم يخصص منه شيأ دون شئ فذلك على كل خير يمكن منعه طالبه وقوله معتد يقول معتد على الناس بلسانه بالبذاء والفحش في المنطق وبيده بالسطو والبطش ظلما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة معتد في منطقه وسيرته وأمره وقوله مريب يعني شاك في وحدانية الله وقدرته على ما يشاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مريب أي شاك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد﴾ يقول تعالى ذكره الذي أشرك بالله فعبد معه معبودا آخر من خلقه فألقياه في العذاب الشديد يقول فألقياه في عذاب جهنم الشديد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لديّ وقد قدمت اليكم بالوعيد﴾ يقول تعالى ذكره قال قرين هذا الانسان الكفار المناع للخير وهو شيطانه الذي كان موكلا به في الدنيا كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه شيطانه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قال قرينه قال الشيطان قيض له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذي جعل مع الله الها آخر هو المشرك قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه الشيطان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه شيطانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته قال قرينه من الجن ربنا ما أطغيته تبرأ منه وقوله ربنا ما أطغيته يقول ما أنا جعلته طاغيا متعديا الى ما ليس له وانما يعني بذلك الكفر بالله ولكن كان في ضلال بعيد يقول ولكن كان في طريق جائر عن سبيل الهدى جورا بعيدا وانما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر عن قول قرين الكافر له يوم القيامة اعلاما منه عباده تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا ما أطغيته قال تبرأ منه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله ابن أبي زياد قال ثنا عبد الله بن أبي بكر قال ثنا جعفر قال سمعت أبا عمران يقول في قوله ربنا ما أطغيته تبرأ منه وقوله لا تختصموا لديّ يقول تعالى ذكره قال الله لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم وصفة قرنائهم من الشياطين لا تختصموا لديّ اليوم وقد قدمت اليكم في الدنيا

نصبا على المدح فالوقف الشديد ه بعيد ه بالوعيد ه للعبيد ه مزيد ه بعيد ه حفيظ ه ج لاحتمال أن تكون من شرطية جوابها القول المقدر قبل ادخلوها أو موصولة بدلا من لكل منيب ه بسلام ط الخلود ه ط مزيد ه البلاد ط للاستفهام قال السجاوندي وعندي أن عدم الوقف أولى لأن النقب وهو البحث والتفتيش واقع على جملة الاستفهام محيص ه شهيد ه لغوب ه الغروب ج لاحتمال تعلق الجار بما قبله وبما بعده السجود ه قريب ه لا لأن ما بعده بدل بالحق ط الخروج ه المصير ه لا لتعلق الظرف سراعا ط يسير ه وعيد ه ۞ التفسير قيل ان قاف

قبل اختصامكم هــذا بالوعيد لمن كفر بي وعصاني وخالف أمري ونهيي في كتبي وعلى ألسن رسلي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا عبد الله بن أبي بكر قال ثنا جعفر قال سمعت أبا عمران يقول في قول الله وقد قدمت اليكم بالوعيد قال بالقرآن حدثني علي قال ثنا ابو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله لا تختصموا لدي قال انهم اعتذروا بغير عذر فأبطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد قال يقول قد أمرتكم ونهيتكم قال هذا ابن آدم وقرينه من الجن حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن الربيع قال قلت لأبي العالية لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد «قال أبو جعفر الطبري» أحسبه قال هم أهل الشرك وقال في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فهم أهل القبلة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله للمشركين وقرنائهم من الجن يوم القيامة اذ تبرأ بعضهم من بعض ما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولا قضائي الذي قضيته فيهم فيها كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ما يبدل القول لدي قد قضيت ما أنا قاض حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ما يبدل القول لدي قال قد قضيت ما أنا قاض وقوله وما أنا بظلام للعبيد يقول ولا أنا بمعاقب أحدا من خلقي بجرم غيره ولا حامل على أحد منهم ذنب غيره فمعذبه به وقوله يوم نقول لجهنم يقول وما أنا بظلام للعبيد في يوم نقول لجهنم هل امتلأت وذلك يوم القيامة ويوم نقول من صلة ظلام وقال تعالى ذكره لجهنم يوم القيامة هل امتلأت لما سبق من وعده اياها بأنه يملؤها من الجنة والناس أجمعين وأما قوله هل من مزيد فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه ما من مزيد قالوا وانما يقول الله لها هل امتلأت بعد أن يضع قدمه فيها فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط من تضايقها فاذا قال لها وقد صارت كذلك هل امتلأت قالت حينئذ هل من مزيد أي ما من مزيد لشدة امتلائها وتضايق بعضها الى بعض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم نقول لجهنم هــل امتلأت وتقول هل من مزيد قال ابن عباس ان الله الملك تبارك وتعالى قد سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما بعث الناس وأحضروا وسيق أعداء الله الى النار زمرا جعلوا يقتحمون في جهنم فوجا فوجا لا يلقى في جهنم شيء الا ذهب فيها ولا يملؤها شيء قالت ألست قد أقسمت لتملأني من الجنة والناس أجمعين فوضع قدمه فقالت حين وضع قدمه فيها قد قد فاني قد امتلأت فليس لي مزيد ولم يكن يملؤها شيء حتى وجدت مس ما وضع عليها فتضايقت حين جعل عليها ما جعل فامتلأت فما فيها موضع ابرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وتقول هل من مزيد قال وعدها الله ليملأنها فقال هلا وفيتك قالت وهل من مسلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يوم نقول لجهنم هــل امتلأت وتقول هل من مزيد كان ابن عباس يقول ان الله الملك قد سبقت

اسم جبل من زبرجد أخضر محيط بالارض وخضرة السماء منه وقيل قادر أو قاهر ونحو ذلك من أسماء الله مما أوله قاف وقيل قضى الامر وقيل قف يا محمد على أداء الرسالة والأقوال المشتركة بين الفواتح مذكورة واعراب فاتحة هــذه السورة كاعراب أول ص وبينهما مناسبة أخرى من قبل وقوع الاضراب بعد القسم ووجهه ما مر ومن قبل أن أكثر مباحث تلك السورة في المبدا والتوحيد وفي أول خلق البشر وأكثر أبحاث هــذه السورة في الحشر والخروج ولهذا سنت قراءتها في صلاة العيد لانه يوم الاجتماع وخروج الناس الى الفضاء والمجيد ذو المجد حقيقة في القرآن لانه أشرف من سائر

منه كلمة لأملأن جهنم لا يلقى فيها شئ الا ذهب فيها لا يملؤها شئ حتى اذا لم يبق من أهلها أحد
الا دخلها وهى لا يملؤها شئ أتاها الرب فوضع قدمه عليها ثم قال لها هل امتلأت يا جهنم فتقول
قط قط قد امتلأت ملأتنى من الجن والانس فليس فىّ مزيد قال ابن عباس ولم يكن يملؤها شئ
حتى وجدت مس قدم الله تعالى ذكره فتضايقت فما فيها موضع ابرة * وقال آخرون بل معنى
ذلك زدنى انما هو هل من مزيد بمعنى الاستزادة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا
يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن ثابت عن أنس قال يلقى فى جهنم وتقول هل من مزيد ثلاثا
حتى يضع قدمه فيها فينزوى بعضها الى بعض فتقول قط قط ثلاثا حدثنى يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد لانها قد
امتلأت وهل من مزيد هل بقى أحد قال هذان الوجهان فى هذا والله أعلم قال قالوا هذا وهذا
* وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هو بمعنى الاستزادة هل من شئ أزداده
وانما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنى
أحمد بن المقدام العجلى قال ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى قال ثنا أيوب عن محمد عن أبى
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة لم يظلم الله أحدا من خلقه شيئا
ويلقى فى النار تقول هل من مزيد حتى يضع عليها قدمه فهنالك يملؤها ويزوى بعضها الى بعض
وتقول قط قط حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت أبى يحدث
عن قتادة عن أنس قال ما تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع الله عليها قدمه فتقول قد قد
وما يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنه فضول الجنة حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال
اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة مالى انما يدخلنى فقراء الناس وسقطهم وقالت النار مالى
انما يدخلنى الجبارون والمتكبرون فقال أنت رحمتى أصيب بك من أشاء وأنت عذابى أصيب بك
من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فأما الجنة فان الله ينشئ لها من خلقه ما شاء وأما النار فيلقون فيها
وتقول هل من مزيد ويلقون فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها قدمه فهنالك تملأ ويزوى
بعضها الى بعض وتقول قط قط حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ثور
عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال احتجت الجنة والنار فقالت
الجنة مالى لا يدخلنى الا فقراء الناس وقالت النار مالى لا يدخلنى الا الجبارون والمتكبرون فقال
للنار أنت عذابى أصيب بك من اشاء وقال للجنة أنت رحمتى أصيب بك من أشاء ولكل واحدة
منكما ملؤها فأما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها ما شاء وأما النار فيلقون فيها وتقول هل من مزيد
حتى يضع قدمه فيها هنالك تمتلئ وينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى
فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قد قد بعزتك
وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة حدثنا ابن المثنى
قال ثنا عبد الصمد قال ثنا أبان العطار قال ثنا قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين فيها قدمه فينزوى بعضها الى
بعض فتقول بعزتك قط قط وما يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنه فى فضل الجنة
* قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا قتادة عن أنس قال

الكتب أو مجاز باعتبار قارئه
وعالمه والعامل به ومعنى (منذر منهم)
أى من جنسهم أو من بينهم فتوجه
العجب الى الانذار بالبعث أولا
ثم الى كون المنذر منهم ولعل الاول
أدخل عندهم فى استحقاق التعجب
منه فلهذا أشاروا اليه بقولهم (هذا)
الرجع أو البعث (شئ عجيب) أبهم
الضمير أولا فى عجبوا ثم فسره ثانيا
فى قوله فقال الكافرون أو اقتصر
على الضمير أولا للتعليم بهم ثم وضع
الظاهر موضع المضمر تسجيلا
عليهم بالكفر ثم زادوا فى التعجب
والتعجيب بقولهم (أئذا متنا)
والتقدير أنبعث وقت الموت
والصيرورة ترابا (ذلك) الرجع أى
البعث (رجع بعيد) أى يستبعد
فى العقول وقيل انه من كلام الله

ما

ماتزال جهنم تقول هل من مزيد فذكر نحوه غير أنه قال أو كما قال حدثنا زياد بن أيوب قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتجت الجنة والنار فقالت النار يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة يدخلني الفقراء والمساكين فأوحى الله عز وجل الى الجنة أنت رحمتي أصيب بك من أشاء وأوحى الى النار أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتزال جهنم تقول هل من مزيد دليل واضح على أن ذلك بمعنى الاستزادة لا بمعنى النفي لأن قوله لاتزال دليل على اتصال قول بعد قول ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وأدنيت الجنة وقربت للذين اتقوا ربهم فخافوا عقوبته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأزلفت الجنة للمتقين يقول وأدنيت غير بعيد وقوله هذا ما توعدون يقول يقال لهم هذا الذي توعدون أيها المتقون أن تدخلوها وتسكنوها وقوله لكل أواب يعني لكل راجع من معصية الله الى طاعته تائب من ذنوبه وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم هو المسبح وقال بعضهم هو التائب وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته غير أنا نذكر في هذا الموضع مالم نذكره هنالك حدثني سليمن ابن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لكل أواب قال لكل مسبح حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مسلم الأعور عن مجاهد قال الأواب المسبح حدثنا الحسن بن عرفة قال ثني يحيى بن عبد الملك ابن أبي غنية قال ثني أبي عن الحكم بن عتيبة في قول الله لكل أواب حفيظ قال هو الذاكر الله في الخلاء حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن يونس بن خباب عن مجاهد لكل أواب حفيظ قال الذي يذكر ذنوبه فيستغفر منها * قال ثنا مهران عن خارجة عن عيسى الحناط عن الشعبي قال هو الذي يذكر ذنوبه في خلاء فيستغفر منها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ أي مطيع لله كثير الصلاة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لكل أواب حفيظ قال الأواب التواب الذي يؤب الى طاعة الله ويرجع اليها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن يونس ابن خباب في قوله لكل أواب حفيظ قال الرجل يذكر ذنوبه فيستغفر الله لها وقوله حفيظ اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم حفظ ذنوبه حتى تاب منها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبي سنان عن أبي اسحق عن التميمي قال سألت ابن عباس عن الأواب الحفيظ قال حفظ ذنوبه حتى رجع عنها * وقال آخرون معناه أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حفيظ قال حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الأواب بأنه حفيظ ولم يخص به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع فالواجب أن يعم كما عم جل ثناؤه فيقال هو حفيظ لكل ما قربه الى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التي سلفت منه للتوبة منها والاستغفار وقوله من خشي

عز وجل والرجع بمعنى الجواب أي جواب هؤلاء الكفار في دعوى المنذر جواب بعيد عن حيز العقل لدلالة البراهين الساطعة على وجود الحشر والنشر منها شمول علم الله تعالى بأجزاء الميت على التفصيل والى هذا أشير بقوله (قد علمنا ما تنقص الارض) من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدى ماتنقص الارض منهم بالموت ويدفن في الارض منهم (وعندنا كتاب) هو اللوح المحفوظ من التغيير ومن الشياطين ثم أتبع الاضراب الاول اضرابا آخر فقال (بل كذبوا) والمقصود أن تكذيبهم (بالحق) الذي هو محمد أو القرآن أو الاخبار

الرحمن بالغيب يقول من خاف الله فى الدنيا من قبل أن يلقاه فأطاعه واتبع أمره وفى من فى قوله من خشى وجهان من الاعراب الخفض على اتباعه كل فى قوله لكل أواب والرفع على الاستئناف وهو مراد به الجزاء من خشى الرحمن بالغيب قيل له ادخل الجنة فيكون حينئذ قوله ادخلوها بسلام جوابا للجزاء أضمر قبله القول وجعل فعلا للجميع لأن من قد تكون فى مذهب الجميع وقوله وجاء بقلب منيب يقول وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه راجع مما يكرهه الله الى ما يرضيه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء بقلب منيب أى منيب الى ربه مقبل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ادخلوها بسلام ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهم والغضب والعذاب وما كنتم تلقونه فى الدنيا من المكاره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ادخلوها بسلام قال سلموا من عذاب الله وسلم عليهم وقوله ذلك يوم الخلود يقول هذا الذى وصفت لكم أيها الناس صفته من ادخالى الجنة من أدخله هو يوم دخول الناس الجنة ماكثين فيها الى غير نهاية كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك يوم الخلود خلدوا والله فلا يموتون وأقاموا فلا يظعنون ونعموا فلا ييأسون وقوله لهم ما يشاؤن فيها يقول لهؤلاء المتقين ما يريدون فى هذه الجنة التى أزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم وتلذه عيونهم وقوله ولدينا مزيد يقول وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التى وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم اياه وقيل ان ذلك المزيد النظر الى الله جل ثناؤه ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد ابن سهيل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى قال ثنا النضر بن عربى جده عن أنس أن الله عز وجل اذا أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار هبط الى مرج من الجنة أفيح فمد بينه وبين خلقه حجبا من لؤلؤ وحجبا من نور ثم وضعت منابر النور وسرر النور وكراسى النور ثم أذن لرجل على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذى قد أذن له على الله فقيل هذا المجعول بيده والمعلم الأسماء والذى أمرت الملائكة فسجدت له والذى له أبيحت الجنة آدم عليه السلام قد أذن له على الله تعالى قال ثم يؤذن لرجل آخر بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذى قد أذن له على الله فقيل هذا الذى اتخذه الله خليلا وجعل عليه النار بردا وسلاما ابراهيم قد أذن له على الله قال ثم أذن لرجل آخر على الله بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذى قد أذن له على الله فقيل هذا الذى اصطفاه الله برسالاته وقربه نجيا وكلمه موسى عليه السلام قد أذن له على الله قال ثم يؤذن لرجل آخر معه مثل جميع مواكب النبيين قبله بين يديه أمثال الجبال يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم قيل من هذا الذى قد أذن له على الله فقيل هذا أول شافع وأول مشفع وأكثر الناس واردة وسيد ولد آدم وأول من تنشق عن ذؤابتيه الأرض وصاحب لواء الحمد أحمد صلى الله عليه وسلم قد أذن له على الله قال فجلس النبيون على منابر النور وجلس سائر الناس على كثبان المسك الأذفر الأبيض ثم ناداهم الرب تعالى من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى ملائكتى انهضوا الى عبادى فأطعموهم قال فقربت اليهم من لحوم طير كأنها

بالبعث فى أول وهلة من غير تدبر أفظع من تعجبهم والمريج أمر دينهم المضطرب المخلوط بالشبهات والشكوك ولهذا نسبوا القرآن تارة الى السحر وأخرى الى الشعر أو الكهانة وقالوا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ثم استدل على حقية المبدا والمعاد بوجوه أخر منها بناء السماء ورفعها بلا عمد ولا فروج أى شقوق وفتوق ولكنها صحيحة الاستدارة من جميع الجوانب وليس فى الآية دلالة على امتناع الخرق على السماء لأن الاخبار عن عدم الوقوع لا ينافى امكانه نعم انه مناف لوجود نحو الأبواب فيها ظاهرا اللهم الا ان تدعى المغايرة بين الفروج والابواب وفى قوله (فوقهم) مزيد توبيخ لهم

البخت لاريش ولاعظم فأكلوا قال ثم ناداهم الرب من وراء الحجاب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا اسقوهم قال فنهض اليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون بأباريق الذهب والفضة بأشربة مختلفة لذيذة لذة آخرها كلذة أولها لا يصدعون عنها ولا ينزفون ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا فكهوهم قال فقرب اليهم على أطباق مكللة بالياقوت والمرجان من الرطب الذى سمى الله أشد بياضا من اللبن وأطيب عذوبة من العسل قال فأكلوا ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا اكسوهم قال ففتحت لهم ثمار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوها قال ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم قال فهاجت عليهم ريح يقال لها المثيرة بأباريق المسك الأذفر فنفحت على وجوههم من غير غبار ولا قتام قال ثم ناداهم الرب عز وجل من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا وعزتى لأتجلين لهم حتى ينظروا الى قال فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد قال فتجلى لهم الرب عز وجل ثم قال السلام عليكم عبادى انظروا الى فقد رضيت عنكم قال فتداعت قصور الجنة وشجرها سبحانك أربع مرات وخر القوم سجدا قال فناداهم الرب تبارك وتعالى عبادى ارفعوا رؤسكم فانها ليست بدار عمل ولا دار نصب انما هى دار جزاء وثواب وعزتى وجلالى ما خلقتها الا من أجلكم وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا الا ذكرتكم فوق عرشى حدثنا على بن الحسين بن أبجر قال ثنا عمر بن يونس اليمامى قال ثنا جهضم بن عبد الله بن أبى الطفيل قال ثنى أبو طيبة عن معاوية العبسى عن عثمان بن عمير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل عليه السلام وفى كفه مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت يا جبريل ما هذه قال هذه الجمعة قلت فما هذه النكتة السوداء فيها قال هى الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم تدعوه يوم المزيد قال ان ربك تبارك وتعالى اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه ثم حف الكرسى بمنابر من نور ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم تجىء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثب فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا الى وجهه وهو يقول أنا الذى صدقتكم عدتى وأتممت عليكم نعمتى فهذا محل كرامتى فسلونى فيسألونه الرضا فيقول رضاى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى سلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى مقدار منصرف الناس من الجمعة حتى يصعد على كرسيه فيصعد معه الصديقون والشهداء وترجع أهل الجنة الى غرفهم درة بيضاء لا نظم فيها ولا فصم أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء منها غرفها وأبوابها فليسوا الى شىء أحوج منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا منه كرامة وليزدادوا نظرا الى وجهه ولذلك دعى يوم المزيد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث بن أبى سليم عن عثمان بن عمير عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو حديث على بن الحسين حدثنا الربيع بن سليمن قال ثنا أسد ابن موسى قال ثنا يعقوب بن ابراهيم عن صالح ابن حيان عن أبى بريدة عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون

ونداء عليهم بغاية الغباوة ومنها مد الارض أى دحوها ومنها خلق الجبال الرواسخ ومنها خلق أصناف النبات مما يبتهج به ويروق الناظر لخضرته ونضرته كل ذلك ليتبصر به ويتذكر من يرجع الى ربه ويفكر فى بدائع المخلوقات ويرتقى الى الصانع من المصنوعات ومنها انزال ماء المطر الكثير المنافع المنبت للجنات والحبات والحصيد صفة موصوف محذوف أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة وغيرها من الأقوات ونحوها والباسقات التى طالت فى السماء والطلع أول ما يبدو من ثمر النخيل والنضيد الذى نضد بعضه فوق بعض والمراد كثرة الطلع وتراكمه المستتبع لكثرة الثمر ثم شبه باحياء

عن محمد قال حدثنا أو قال قولوا ان أدنى أهل الجنة منزلة الذى يقال له تمن و يذ كره أصحابه فيتمنى و يذ كره أصحابه فيقال له ذلك ومثله معه قال قال ابن عمر ذلك لك وعشرة أمثاله وعند الله مزيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى أنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل فى الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أن يتحوّل ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبيه فينظر وجهه فى خدها اصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيردّ السلام و يسألها من أنت فتقول أنا من المزيد وانه ليكون عليها سبعون ثوبا أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وان عليها من التيجان وان أدنى لؤلؤة فيها لتضىء ما بين المشرق والمغرب وقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن يقول تعالى ذكره وكثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش من القرون هم أشدّ من قريش الذين كذبوا محمدا بطشا فنقبوا فى البلاد يقول نخربوا فى البلاد فساروا فيها فطافوا وتوغلوا الى الأقاصى منها قال امرؤ القيس

لقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فنقبوا فى البلاد قال أثروا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فنقبوا فى البلاد قال يقول عملوا فى البلاد ذاك النقب وقوله هل من محيص يقول جل ثناؤه فهل كان لهم بتنقيبهم فى البلاد من معدل عن الموت ومنجى من الهلاك اذا جاءهم أمرنا وأضمرت كان فى هذا الموضع كما أضمرت فى قوله وكأين من قرية هى أشدّ قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم بمعنى فلم يكن لهم ناصر عند اهلاكهم وقرأت القراء قوله فنقبوا بالتشديد وفتح القاف على وجه الخبر عنهم وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك فنقبوا بكسر القاف على وجه التهديد والوعيد أى طوفوا فى البلاد وتردّدوا فيها فانكم لن تفوتونا بأنفسكم * و بنحو الذى قلنا فى تأويل قوله من محيص قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكم أهلكنا قبلهم من قرن حتى بلغ هل من محيص قد حاص الفجرة فوجدوا أمر الله متبعا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله فنقبوا فى البلاد هل من محيص قال حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله لهم مدركا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هل من محيص قال هل من منجى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد ﴾ يقول تعالى ذكره ان فى اهلاكنا القرون التى أهلكناها من قبل قريش لذكرى يتذكر بها لمن كان له قلب يعنى لمن كان له عقل من هذه الأمة فينتهى عن الفعل الذى كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم خوفا من أن يحل بهم مثل الذى حل بهم من العذاب و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى من هذه الأمة يعنى بذلك القلب القلب الحىّ حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة لمن كان له قلب قال من كان له قلب من هذه الأمة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لمن كان له قلب قال قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التى ضرب الله بها من عصاه من

الارض خروج الموتى كما قال فى الروم وكذلك تخرجون ثم هدّدهم بأحوال الامم السالفة وقدمر قصصهم مرارا وأما حديث أصحاب الرس فلم يذكر الا فى الفرقان وحديث تبع فى الدخان وأراد بفرعون قومه لأن المعطوف عليه أقوام (فحق وعيد) مثل فحق عقاب وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ثم دل على الحشر بضرب آخر من البيان وهو أن الذى لم يعى أى لم يعجز عن الخلق الاول بالنسبة الى أىّ مخلوق فرض كيف يعجز عن الاعادة واللبس الخلط والشبهة وتنكير اللبس والخلق الجديد للتعظيم أى لبس عظيم وخلق له شأن وحق عليه أن يهتم به ولا يغفل عنه ثم شرع فى تقرير خلق الانسان الدال على شمول علم الله

الامم والقلب فى هذا الموضع العقل وهو من قولهم مالفلان قلب وماقلبه معه أى ماعقله معه وأين ذهب قلبك يعنى أين ذهب عقلك وقوله أو ألقى السمع وهو شهيد يقول أو أصغى لاخبارنا اياه عن هذه القرون التى أهلكناها بسمعه فيسمع الخبر عنهم كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم وعصوا رسله وهو شهيد يقول وهو متفهم لما يخبر به عنهم شاهد له بقلبه غير غافل عنه ولا ساه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد يقول ان استمع الذكر وشهد أمره قال (١) فى ذلك يجزيه ان عقله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أو ألقى السمع قال وهو لا يحدث نفسه شاهد القلب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو ألقى السمع وهو شهيد قال العرب تقول ألقى فلان سمعه أى استمع بأذنيه وهو شاهد يقول غير غائب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قال يسمع ما يقول وقلبه فى غير ما يسمع * وقال آخرون عنى بالشهيد فى هذا الموضع الشهادة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو ألقى السمع وهو شهيد يعنى بذلك أهل الكتاب وهو شهيد على ما يقرأ فى كتاب الله من بعث محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أو ألقى السمع وهو شهيد على ما فى يده من كتاب الله أنه يجد النبى صلى الله عليه وسلم مكتوبا * قال ثنا ابن ثور قال قال معمر وقال الحسن هو منافق استمع القول ولم ينتفع حدثنا أحمد بن هشام قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن السدى عن أبى صالح فى قوله أو ألقى السمع وهو شهيد قال المؤمن يسمع القرآن وهو شهيد على ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو ألقى السمع وهو شهيد قال ألقى السمع يسمع ما قد كان مما لم يعاين من الأحاديث عن الأمم التى قد مضت كيف عذبهم الله وصنع بهم حين عصوا رسله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق فى ستة أيام وما مسنا من اعياء كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن أبى سنان عن أبى بكر قال جاءت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا ماخلق الله من الخلق فى هذه الأيام الستة فقال خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء وخلق السموات والملائكة يوم الخميس الى ثلاث ساعات يعنى من يوم الجمعة وخلق فى أول الثلاث الساعات الآجال وفى الثانية الآفة وفى الثالثة آدم قالوا صدقت ان أتممت فعرف النبى صلى الله عليه وسلم ما يريدون فغضب فأنزل الله وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون * قال ثنا مهران عن سفيان وما مسنا من لغوب قال من سآمة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما مسنا من لغوب يقول من ازحاف حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وما مسنا من لغوب يقول وما مسنا من نصب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى

سبحانه وعظيم قدرته على بدئه واعادته والوسوسة الصوت الخفى والباء فى به للتعدية وما مصدرية أى نعلم جعل نفسه اياه موسوسا والقرب مجاز عن العلم التام كقولهم هو منى مقعد القابلة ومعقد الازار وما فى الآية أدل على الافراط فى القرب لان الوريد جزء من بدن الانسان يريد أن علمه ينفذ فى بواطن الاشياء نفوذ الدم فى العروق والوريد العرق الحامل للدم سوى الشرايين سمى وريدا لان الروح أو الدم يرده والوريدان عرقان يكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها يتشعبان من الرأس يتصلان بالوتين والحبل العرق أيضا شبه بواحد الحبال والاضافة للبيان كاضافة العام الى الخاص قال جار الله اذ منصوب

(١) لعله فان فى ذلك مجزئة الخ تأمل كتبه مصححه

وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وما مسنا من لغوب قال نصب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد خلقنا السموات والأرض الآية أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفرى على الله وذلك أنهم قالوا ان الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استراح يوم السابع وذلك عندهم يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله من لغوب قالت اليهود إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ففرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت فأكذبهم الله وقال وما مسنا من لغوب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام كان مقدار كل يوم ألف سنة مما تعدّون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما مسنا من لغوب قال لم يمسنا فى ذلك عناء ذلك اللغوب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء اليهود وما يفترون على الله ويكذبون عليه فان الله لهم بالمرصاد وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس يقول وصل بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس لصلاة الفجر وقبل غروبها العصر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب العصر وقوله ومن الليل فسبحه اختلف أهل التأويل فى التسبيح الذى امر به من الليل فقال بعضهم عنى به صلاة العتمة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن الليل قال العتمة * وقال آخرون هى الصلاة بالليل فى أى وقت صلى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد ومن الليل فسبحه قال من الليل كله * والقول الذى قاله مجاهد فى ذلك أقرب الى الصواب وذلك أن الله جل ثناؤه قال ومن الليل فسبحه فلم يحدّ وقتا من الليل دون وقت واذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل واذا كان الامر فى ذلك على ما وصفنا فهو بأن يكون أمرا بصلاة المغرب والعشاء أشبه منه بأن يكون أمرا بصلاة العتمة لانهما يصليان ليلا وقوله وأدبار السجود يقول سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك واختلف أهل التأويل فى معنى التسبيح الذى أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود فقال بعضهم عنى به الصلاة قالوا وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى اسحق عن الحرث قال سألت عليا عن أدبار السجود فقال الركعتان بعد المغرب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن جريج عن مجاهد قال قال على رضى الله عنه أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن سلام عن الاجلح عن أبى اسحق عن الحرث قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن الحرث عن على رضى الله عنه فى قوله وأدبار السجود قال الركعتان بعد المغرب * قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان

عن

بأقرب والمراد أنه أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به وفيه أن كتابة الملكين لاحاجة اليها لعلام الغيوب وانما هى لأغراض أخر كالزام العبد واستحيائه منهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنييك أى عطفيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لاتستحيى من الله ولا منهما ويجوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب فكأنه قيل لايخفى عليه شئ لأن حفظته موكلون به والتلقى التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس والتقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاختصر المفاعلة واما بالنسبة الى الملك الآخر

عن أبي اسحق عن الحرث عن عاصم بن ضمرة عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثني علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا حماد قال ثنا علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال أدبار السجود ركعتان بعد صلاة المغرب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علوان بن أبي مالك عن الشعبي قال أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس وابراهيم بن مهاجر عن مجاهد أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم في هذه الآية ومن الليل فسبحه وأدبار السجود و إدبار النجوم قال الركعتان قبل الصبح والركعتان بعد المغرب قال شعبة لا أدري أيتهما أدبار السجود ولا أدري أيتهما إدبار النجوم حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأدبار السجود قال كان مجاهد يقول ركعتان بعد المغرب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأدبار السجود قال هما السجدتان بعد صلاة المغرب حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب أدبار السجود حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد قال أخبرنا حيوة بن شريح قال أخبرنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري يقول سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أدبار السجود قال هما ركعتان بعد المغرب حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية قال ثنا جرير قال ثنا حمير بن يزيد الرحبي عن كريب بن يزيد الرحبي قال وكان جبير بن نفير يمشي اليه قال كان اذا صلى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب أخف وفسر إدبار النجوم وأدبار السجود حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن عيسى بن يزيد عن أبي اسحق الهمداني عن الحسن وأدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يقال أدبار السجود الركعتان بعد المغرب * قال ثنا عنبسة عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد وأدبار السجود الركعتان بعد المغرب * قال ثنا جرير عن عطاء قال قال علي أدبار السجود الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمرو ابن أبي سلمة قال سئل الأوزاعي عن الركعتين بعد المغرب قال هما في كتاب الله فسبحه وأدبار السجود حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن الحسن عن علي رضي الله عنه في قوله وأدبار السجود قال الركعتان بعد المغرب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وأدبار السجود قال ركعتان بعد المغرب * وقال آخرون عني بقوله وأدبار السجود التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات دون الصلاة بعدها ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس في فسبحه وأدبار السجود قال هو التسبيح بعد الصلاة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأدبار السجود قال كان ابن عباس يقول التسبيح قال ابن عمرو في حديثه

واما بالاضافة الى الانسان والعتيد الحاضر قال أكثر المفسرين انهما يكتبان كل شئ حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا الحسنات والسيآت وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وحين حكى انكارهم البعث واحتج عليهم بالدلائل الباهرة أخبر عن قرب القيامتين الصغرى والكبرى بأن عبر عنهما بلفظ الماضي وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) ونفخ في الصور وسكرات الموت حالاته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية أي أحضرت السكرة حقيقة الأمر وجلية الحال من تحقق وقوع الموت أو من سعادة الميت أو ضدها كما نطق بها الكتاب والسنة أو المراد وجاءت ملتبسة بالغرض الصحيح الذي هو ترتب الجزاء على الأعمال (ذلك) المجيء (ما كنت منه تحيد) أي تميل وتهرب أيها الانسان ولا ريب أن هذا الهرب للفاجر يكون بالحقيقة

فى اثر الصلوات كلها وقال الحرث فى حديثه فى دبر الصلاة كلها * وقال آخرون هى النوافل فى أدبار المكتوبات ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأدبار السجود النوافل * وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة قول من قال هما الركعتان بعد المغرب لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ولولا ما ذكرت من اجماعها عليه لرأيت أن القول فى ذلك ما قاله ابن زيد لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة بل عم أدبار الصلوات كلها فقال وأدبار السجود ولم تقم بأنه معنىّ به دبر صلاة دون صلاة حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل واختلفت القراء فى قراءة قوله وأدبار السجود فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة سوى عاصم والكسائى وادبار السجود بكسر الألف على أنه مصدر أدبر يدبر إدبارا وقرأه عاصم والكسائى وأبو عمرو وأدبار بفتح الألف على مذهب جمع دبر وأدبار * والصواب عندى الفتح على جمع دبر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة يوم ينادى بها منادينا من موضع قريب وذكر أنه ينادى بها من صخرة بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى على ابن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشر عن قتادة عن كعب قال واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب قال ملك قائم على صخرة بيت المقدس ينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب قال كنا نحدث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة وهى أوسط الارض وحدثنا أن كعبا قال هى أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يوم ينادى المنادى من مكان قريب قال بلغنى أنه ينادى من الصخرة التى فى بيت المقدس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب قال هى الصيحة حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد ابن مسلم قال ثنى بعض أصحابنا عن الأغر عن مسلم بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه بريدة قال ملك قائم على صخرة بيت المقدس واضع اصبعيه فى أذنيه ينادى قال قلت بماذا ينادى قال يقول يا أيها الناس هلموا الى الحساب قال فيقبلون كما قال الله كأنهم جراد منتشر وقوله يوم يسمعون الصيحة بالحق يقول تعالى ذكره يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحق يعنى بالامر بالاجابة لله الى موقف الحساب وقوله ذلك يوم الخروج يقول تعالى ذكره يوم خروج أهل القبور من قبورهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير﴾ يقول تعالى ذكره انا نحن نحيى الموتى ونميت الأحياء والينا مصير جميعهم يوم القيامة يوم تشقق الارض عنهم سراعا يقول جل ثناؤه والينا مصيرهم يوم تشقق الارض فاليوم من صلة مصير وقوله تشقق الارض عنهم يقول تصدع الأرض عنهم وقوله سراعا ونصبت سراعا على الحال من الهاء والميم فى قوله عنهم والمعنى يوم تشقق الارض عنهم فيخرجون منها سراعا فاكتفى بدلالة قوله يوم تشقق الارض عنهم على ذلك من ذكره وقوله ذلك حشر علينا يسير يقول جمعهم ذلك جمع فى موقف الحساب علينا يسير سهل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن

وللبر يكون بسبب نفرة الطبع الا أنه اذا فكر فى أمر نفسه وما خلق هو لأجله علم أن الموت راحة وخلاص عن عالم الآفات والبليات قوله (ذلك يوم الوعيد) اشارة الى النفخ والمضاف محذوف أى وقت النفخ الثانى آن زمان الوعيد والسائق والشاهد ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر أو الى الجنة أو النار كما قال وسيق والآخر يشهد عليه بأعماله ويجوز أن يكون ملكا واحدا جامعا بين الأمرين ويجوز أن يكون الرقيب المذكور والجملة حال من كل لأنه لعمومه كالمعرفة ثم يقال للانسان (لقد كنت) فى الدنيا (فى غفلة من هذا) الأمر (فكشفنا عنك) بقطع العلائق الحسية ومفارقة النفس الناطقة (غطاءك) وهو الاشتغال بعالم المحسوسات (فبصرك اليوم حديد) غير كليل متيقظ غير نائم وقال ابن زيد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب

من يخاف وعيد ﴾ يقول تعالى ذكره نحن يا محمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فريتهم على الله وتكذيبهم بآياته وانكارهم قدرة الله على البعث بعد الموت وما أنت عليهم بجبار يقول وما أنت عليهم بمسلط كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما أنت عليهم بجبار قال لا تتجبر عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أنت عليهم بجبار فان الله عز وجل كره الجبرية ونهى عنها وقدم فيها وقال الفراء وضع الجبار في موضع السلطان من الجبرية وقال أنشدني المفضل

ويوم الحزن اذ حشدت معد * وكان الناس الا نحن دينا
عصينا حرمة الجبار حتى * صحبنا الخوف أكفا معلمينا

ويروى الحوف وقال أراد بالجبار المنذر لولايته قال وقيل ان معنى قوله وما أنت عليهم بجبار لم تبعث لتجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا فذكر وقال العرب لا تقول فعال من أفعلت لا يقولون هذا خراج يريدون مخرج ولا يقولون دخال يريدون مدخل انما يقولون فعال من فعلت و يقولون خراج من خرجت ودخال من دخلت وقتال من قتلت قال وقد قالت العرب في حرف واحد دراك من أدركت وهو شاذ قال فان قلت الجبار على هذا المعنى فهو وجه قال وقد سمعت بعض العرب يقول جبره على الامر يريد أجبره فالجبار من هذه اللغة صحيح يراد به يقهرهم ويجبرهم وقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد يقول تعالى ذكره فذكر يا محمد بهذا القرآن الذي أنزلته اليك من يخاف الوعيد الذي أوعدته من عصاني وخالف أمري حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو الملائي عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن عن عمرو بن قيس قال قالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فذكر مثله

آخر تفسير سورة ق

﴿ تفسير سورة الذاريات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع ﴾ يقول تعالى ذكره والذاريات ذروا يقول والرياح التي تذرو التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب وأذرت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل الى علي رضي الله عنه فقال ما الذاريات ذروا فقال هي الريح حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا رضي الله عنه وخرج الى الرحبة وعليه بردان فقالوا لو أن رجلا سأل وسمع القوم قال فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات ذروا فقال هي الرياح حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالي ومحمد بن بشار قالا ثنا محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا موسى بن يعقوب الزمعي

ولا الايمان أي كنت قبل الوحي في غفلة من هذا العلم ثم بين أن الشيطان الذي هو قرين كل فاجر لقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يقول لأهل المحشر أو لسائر القرناء قد أعتدت قريني لجهنم وهيأته لها ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فعتيد بدل أو خبر ثان أو خبر مبتدا محذوف ويحتمل أن يقول الشيطان لقرينه هذا البلاء النازل بك مما أعددته لك (ألقيا) خطاب من الله للملكين السائق والشهيد أو للواحد على عادة قول العرب خليلي وقفا وذلك أن أكثر الرفقاء يكون ثلاثة وقال المبرد التثنية للتأكيد كأنه قيل ألق ألق نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لاتحادهما وجوز أن يكون الألف بدلا من نون التأكيد الخفيفة اجراء للوصل مجرى الوقف يؤيده قراءة الحسن ألقين عنيد ذي عناد أو معاند (مناع للخير) كثير المنع للمال

قال ثنا أبو الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم أخبره قال سمعت عليا رضي الله عنه يخطب الناس فقام عبد الله بن الكواء فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى والذاريات ذروا قال هي الرياح حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الذاريات ذروا فقال الريح حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي والذاريات ذروا قال الريح * قال مهران حدثنا عن سماك عن خالد بن عرعرة قال سألت عليا رضي الله عنه عن الذاريات ذروا فقال الريح حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم ابن أبي بزة قال سمعت أبا الطفيل قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول لا تسألوني عن كتاب ناطق ولا سنة ماضية الا حدثتكم فسأله ابن الكواء عن الذاريات فقال هي الرياح حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق عن زائدة عن عاصم عن علي بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا رضي الله عنه فقال والذاريات ذروا قال هي الريح حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الله بن رفيع عن أبي الطفيل قال قال ابن الكواء لعلي رضي الله عنه ما الذاريات ذروا قال الريح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني يحيى بن أيوب عن أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن أبي الصهباء البكري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال وهو على المنبر لا يسألني أحد عن آية من كتاب الله الا أخبرته فقام ابن الكواء وأراد أن يسأله عما سأل عنه صبيغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما الذاريات ذروا قال علي الرياح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن رجلا سأل عليا عن الذاريات فقال هي الرياح حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال سأل ابن الكواء عليا فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذاريات ذروا قال كان ابن عباس يقول هي الرياح حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله والذاريات قال الرياح وقوله فالحاملات وقرا يقول فالسحاب التي تحمل وقرها من الماء وقوله فالجاريات يسرا يقول فالسفن التي تجري في البحار سهلا يسيرا فالمقسمات أمرا يقول فالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل الى علي رضي الله عنه فقال ما الجاريات يسرا قال هي السفن قال فالحاملات وقرا قال هي السحاب قال فالمقسمات أمرا قال هي الملائكة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا رضي الله عنه وقيل له ما الحاملات وقرا قال هي السحاب قال فالجاريات يسرا قال هي السفن قال فالمقسمات أمرا قال هي الملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن سماك عن خالد بن عرعرة عن علي بنحوه حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الله الهلالي ومحمد بن بشار قالا ثنا محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا موسى الزمعي قال ثني أبو الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم أخبره قال سمعت عليا يخطب الناس فقام عبد الله بن الكواء فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى فالحاملات وقرا قال هي السحاب فالجاريات يسرا قال هي السفن فالمقسمات أمرا قال الملائكة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة قال سمعت أبا الطفيل قال

عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله وقيل نزلت في الوليد ابن المغيرة كان يمنع بني أخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم في الاسلام لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) ظالم (مريب) مشكك أو شاك في دين الله قوله (قال قرينه) جاء على طريقة الاستئناف بخلاف ما تقدم فانه جاء على طريق العطف كأن قرينه وهو الفاجر قال يا رب انه أطغاني فأجاب القرين وهو الشيطان (ربنا ما أطغيته) ما أوقعته في الطغيان (ولكن كان) في الأزل (في ضلال بعيد) وقالت المعتزلة ولكنه اختار الضلالة على الهدى ذكر كلاما آخر مستأنفا كأن سائلا سأل فماذا قال الله فقيل (قال لا تختصموا) وهذا هو الذي دل على أن ثمة مقاولة من الكافر لكنها طويت لدلالة الاختصام عليها والمعنى لا تختصموا في موقف الحساب (و) الحال أني (قد قدمت اليكم) وفيه أن اختصامهم كان يجب

سمعت عليا رضى الله عنه فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى الطفيل قال قال ابن الكواء لعلى فذكر نحوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن وهب بن عبد الله عن أبى الطفيل قال شهدت عليا رضى الله عنه وقام اليه ابن الكواء فذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن عاصم عن على بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا فذكر نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يحيى بن أيوب عن أبى صخر عن أبى معاوية البجلى عن أبى الصهباء البكرى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن رجلا سأل عليا فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل عن على مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل قال سئل على فذكر مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فالحاملات وقرا قال السحاب قوله فالمقسمات أمرا قال الملائكة حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فالحاملات وقرا قال السحاب تحمل المطر فالجاريات يسرا قال السفن فالمقسمات أمرا قال الملائكة ينزلها بأمره على من يشاء قوله انما توعدون لصادق يقول تعالى ذكره ان الذى توعدون أيها الناس من قيام الساعة وبعث الموتى من قبورهم لصادق يقول لكائن حق يقين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله انما توعدون لصادق والمعنى لصدق فوضع الاسم مكان المصدر وان الدين لواقع يقول وان الحساب والثواب والعقاب لواجب والله مجاز عباده بأعمالهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وان الدين لواقع قال الحساب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وذلك يوم القيامة يوم يدان الناس فيه بأعمالهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وان الدين لواقع قال يوم يدين الله العباد بأعمالهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان الدين لواقع قال لكائن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك﴾ يقول تعالى ذكره والسماء ذات الخلق الحسن وعنى بقوله ذات الحبك ذات الطرائق وتكسير كل شئ حبكه وهو جمع حباك وحبيكة * يقال لتكسير الشعرة الجعدة حبك وللرملة اذا مرت بها الريح الساكنة والماء القائم والدرع من الحديد لها حبك ومنه قول الراجز

كأنما جللها الحوّاك * طنفسة فى وشيها حباك * (١) أذهبها الحقوق الدين الداك

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظ قائليه فيه ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قوله والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والسماء ذات الحبك قال

أن يكون قبل ذلك فى الدنيا كما قال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والباء فى (بالوعيد) اما مزيدة أو للتعدية على أن قدّم بمعنى تقدّم او هو حال والمفعول جملة قوله (ما يبدّل) الى آخره أى قدّمت اليكم هذا الكلام مقرونا بالوعيد قال فى الكشاف فان قلت ان قوله وقد قدّمت حال من ضمير لا تختصموا فاجتماعهما فى زمان واحد واجب وليس كذلك لأن التقديم فى الدنيا والاختصام فى الآخرة قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أنى قدّمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم فى الآخرة وأقول لا حاجة الى هذا التكلف والسؤال ساقط بدونه لأن مضىّ الماضى ثابت فى أىّ حال فرض بعده وقوله (لدىّ) اما أن يتعلق بالقول أى ما يبدّل القول الذى هو لدىّ يعنى ألقيا فى جهنم أو لأملأنّ جهنم أو الحكم الأزلى بالسعادة والشقاوة واما أن يتعلق بقوله ما يبدّل أى لا يقع

(١) لم نعثر على هذا الشطر وفيه ما لا يخفى لحرر كتبه مصححه

حسنها واستواؤها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير والسماء ذات الحبك قال حبكها حسنها واستواؤها * قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عمر ابن سعيد بن مسروق أخي سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير والسماء ذات الحبك قال ذات الزينة حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن قوله والسماء ذات الحبك قال حبكت بالخلق الحسن حبكت بالنجوم حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله والسماء ذات الحبك قال حبكت بالخلق الحسن حبكت بالنجوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان بن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن في قوله والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن حبكت بالنجوم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عمران بن حدير قال سئل عكرمة عن قوله والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال ما أحسن ما حبكه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من ورائكم الكذاب المضل وان رأسه من ورائه حبك حبك يعني بالحبك الجعودة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والسماء ذات الحبك قال استواؤها وحسنها * قال ثنا مهران عن علي بن جعفر عن الربيع بن أنس والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن * قال ثنا مهران عن سعيد عن قتادة قال حبكها نجومها وكان ابن عباس يقول الحبك ذات الخلق الحسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والسماء ذات الحبك أي ذات الخلق الحسن وكان الحسن يقول حبكها نجومها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والسماء ذات الحبك قال المتقن البنيان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والسماء ذات الحبك يقول ذات الزينة ويقال أيضا حبكها مثل حبك الرمل ومثل حبك الدرع ومثل حبك الماء اذا ضربته الريح فنسجته طرائق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذات الحبك قال الشدة حُبِّكَت شدت وقرأ قول الله تبارك وتعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والسماء ذات الحبك قال ذات الخلق الحسن ويقال ذات الزينة * وقيل عني بذلك السماء السابعة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي وأبو داود قالا ثنا عمران القطان عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو والسماء ذات الحبك قال السماء السابعة حدثني القاسم بن بشير بن معروف قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران القطان عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان عن عمرو البكالي هكذا قال القاسم عن عبد الله بن عمرو نحوه وقوله انكم لفي قول مختلف يقول انكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن فمن مصدق به ومكذب كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة انكم لفي قول مختلف قال مصدق بهذا القرآن ومكذب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انكم لفي قول مختلف قال يتخرصون يقولون هذا سحر ويقولون هذا أساطير فبأي قولهم يؤخذ قتل الخراصون هذا الرجل لا بد له من أن يكون فيه أحد

هؤلاء

التبديل عندي والمعاني كما مرت ويجوز أن يراد لا يكذب لدي ولا يفترى بين يدي فاني عالم بمن طغى وبمن أطغى ويحتمل أن يراد لا تبديل للكفر بالايمان فان ايمان اليأس غير مقبول فقولكم ربنا والهنا لا يفيدكم (يوم نقول) منصوب بظلام أو باذكر قال أهل المعاني سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تقرير المعنى في النفس وقوله (هل من مزيد) أي من زيادة أو هو اسم مفعول كالمبيع لبيان استكثار الداخلين كما أن من يضرب غيره ضربا مبرحا أو شتمه شتما فاحشا يقول له المضروب هل بقي شئ آخر يدل عليه قوله سبحانه لأملأن جهنم فلا بد أن يحصل الامتلاء فكيف يبقى في جهنم موضع خال حتى تطلب المزيد ويحتمل أنها تطلب الزيادة بعد امتلائها غيظا على العصاة وتضييقا للمكان عليهم أو لعل هذا الكلام يقع قبل ادخال الكل

هؤلاء فما لكم لا تأخذون أحد هؤلاء وقد رميتموه بأقاويل شتى فبأى هذا القول تأخذون هذا الرجل الآن فهو قول مختلف قال فذكر أنه تخرص منهم ليس لهم بذلك علم قالوا فما منع هـذا القرآن أن ينزل باللسان الذى نزلت به الكتب من قبلك فقـال الله أأعجمى وعربى لو جعلنا هـذا القرآن أعجميا لقلتم نحن عرب وهـذا القرآن أعجمى فكيف يجتمعان وقوله يؤفك عنـه من أفك يقول يصرف عن الايمـان بهذا القرآن من صرف ويدفع عنه من يدفع فيحرمه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يؤفك عنه من أفك قال ابن عمرو فى حديثه يوفى أو يؤفن أو كلمة تشبهها وقال الحرث يؤفن بغير شك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن يؤوك عنه من أفك قال يصرف عنه من صرف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يؤفك عنه من أفك فالمأفوك عنه اليوم يعنى كتاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يؤفك عنه من أفك قال يؤفك عنـه المشركون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون﴾ يقول تعـالى ذكره لعن المتكهنون الذين يتخرصون الكذب والبـاطل فيتظننونه واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله قتـل الخراصون فقال بعضهم عنى به المرتابون ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قتل الخراصون يقول لعن المرتابون * وقال آخرون فى ذلك بالذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قتل الخراصون قال الكهنة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قتل الخراصون قال الذين يتخرصون الكذب كقوله فى عبس قتل الانسان وقد حدثنى كل واحد منهما بالاسناد الذى ذكرت عنه عن مجاهد قوله قتل الخراصون قال الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قتل الخراصون أهل الظنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قتـل الخراصون قال القوم الذين كانوا يتخرصون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت طائفة انمـا هو ساحر والذى جاء به سحر وقالت طائفة انما هو شاعر والذى جاء به شعر وقالت طائفة انمـا هو كاهن والذى جاء به كهانة وقالت طائفة أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا يتخرصون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الذين هم فى غمرة ساهون يقول تعالى ذكره الذين هم فى غمرة الضلالة وغلبتها عليهم متمـادون وعن الحق الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ساهون قد لهوا عنـه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم فى البيان عنه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عبـاس قوله الذين هم فى غمرة ساهون يقول فى ضلالتهم يتمـادون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين هم فى غمرة ساهون قال فى غفلة لاهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة الذين هم فى غمرة ساهون يقول فى غمرة وشـبهة حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان غمرة ساهون قال فى غفلة حدثنى

وفيه لطيفة وهى أن جهنم تغيظ على الكفار فتطلبهم ثم يبقى فيها موضع لعصاة المسلمين فتطلب الامتلاء من الكفار كيلا ينقص ايمان العاصى حرها فاذا أدخل العصاة النار سكن غيظها وسكن غضبها وعند هـذا يصح ما ورد فى الاخبار وان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبـار فيها قدمه والمؤمن جبار يتكبر على ما سوى الله تعالى ذليل متواضع لله وروى أنه لا يلقى فيها فوج الاذهب ولا يملؤها شئ فتقول قد أقسمت لتملأنى فيضع تعـالى فيها قدمه أى ما قدّمه فى قوله سـبقت رحمتى غضـبى أى يضع رحمتـه فتقول قط قط ويزوى بعضها الى بعض ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنون فضول الجنـة قلت لا ريب أن جهنم الحـرص والشهوة والغضب لا تقر ولا تسكن ولا تنتهى الى حدّ معـلوم بل تقول دائمـا بلسان الحال هل من مزيد الا أن يفيض الله سبحانه عليها من

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى غمرة ساهون قال ساهون عما أتاهم وعما نزل عليهم وعما أمرهم الله تبارك وتعالى وقرأ قول الله جل ثناؤه بل قلوبهم فى غمرة من هذا الآية وقال ألا ترى الشئ اذا أخذته ثم غمرته فى الماء حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى غمرة ساهون قلبه فى كنانة وقوله يسألون أيان يوم الدين يقول تعالى ذكره يسأل هؤلاء الخراصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب ويوم يدين الله العباد بأعمالهم كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أيان يوم الدين قال الذين كانوا يجحدون أنهم يدانون أو يبعثون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يسألون أيان يوم الدين قال يقولون متى يوم الدين أو يكون يوم الدين وقوله يوم هم على النار يفتنون يقول تعالى ذكره يوم هم على نار جهنم يفتنون واختلف أهل التأويل فى معنى قوله يفتنون فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به أنهم يعذبون بالاحراق بالنار ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله يوم هم على النار يفتنون يقول يعذبون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون قال فتنتهم أنهم سألوا عن يوم الدين وهم موقوفون على النار ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون فقالوا حين وقفوا ياويلنا هذا يوم الدين قال الله تبارك وتعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يفتنون قال كما يفتن الذهب فى النار حدثنى يعقوب قال ثنى هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله يوم هم على النار يفتنون قال يعذبون فى النار يحرقون فيها ألم تر أن الذهب اذا ألقى فى النار قيل فتن حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن حصين عن عكرمة يوم هم على النار يفتنون قال يعذبون حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد يوم هم على النار يفتنون يقول ينضجون بالنار حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الحصين عن عكرمة يوم هم على النار يفتنون قال يحرقون حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان يوم هم على النار يفتنون يقول يحرقون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى يوم هم على النار يفتنون قال يطبخون كما يفتن الذهب بالنار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم هم على النار يفتنون قال يحرقون بالنار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد يوم هم على النار يفتنون قال يحرقون * وقال آخرون بل عنى بذلك أنهم يكذبون ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم هم على النار يفتنون يقول يطبخون ويقال أيضا يفتنون يكذبون كل هذا يقال واختلف أهل العربية فى وجه نصب اليوم فى قوله يوم هم على النار يفتنون فقال بعض نحويى البصرة نصبت على الوقت والمعنى فى أيان يوم الدين أى متى يوم الدين فقيل لهم فى يوم هم على النار يفتنون لأن ذلك اليوم يوم طويل فيه الحساب وفيه فتنتهم على النار * وقال بعض نحويى الكوفة انما نصبت يوم هم لأنك أضفته الى شيئين واذا أضيف اليوم والليلة الى اسم له فعل وارتفعا نصب اليوم وان كان فى موضع خفض أو رفع

سجال هدايته ورحمته فيتنبه صاحبها وينتهى عن طلب الفضول ويقف فى حد معين ويقنع بما تيسر وكذا الترقى فى مدارج الكمالات ليس ينتهى الى حد معلوم الا اذا استغرق فى بحر العرفان وكان هنالك ما كان كما قال (وأزلفت الجنة للمتقين) أى قربت للمتقين يحتمل أن تكون الواو للاستئناف وأن تكون للعطف على تقول والمضى لتحقيق الوقوع المستدعى لمزيد البشارة ولم يكن المنذرون مذكورين فى الآية المتقدمة فلم يحتج الى تحقيق الانذار وقوله (غير بعيد) نصب على الظرف أى مكانا غير بعيد عنهم أو على الحال ووجه تذكيره مع تأنيث ذى الحال كما تقرر فى قوله ان رحمة الله قريب أنه على زنة المصدر كالزفير والصهيل أو هو على حذف الموصوف أى شيأ غير بعيد قال جار الله معناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل وذلك أنه يجوز

اذا أضيف الى فعل أو يفعل واذ قال ورفعه فى موضع الرفع وخفضه فى موضع الخفض يقول لو قيل يوم هم على النار يفتنون فرفع يوم لكان وجها ولم يقرأ به أحد من القراء * وقال آخر منهم انما نصب يوم هم على النار يفتنون لأنه اضافة غير محضة فنصب والتأويل رفع ولو رفع لجاز لأنك تقول متى يومك فتقول يوم الخميس ويوم الجمعة والرفع الوجه لأنه اسم قابل اسما فهذا الوجه * وأولى القولين بالصواب فى تأويل قوله يوم هم على النار يفتنون قول من قال يعذبون بالاحراق لأن الفتنة أصلها الاختبار وانما يقال فتنت الذهب بالنار اذا طبختها بها لتعرف جودتها فكذلك قوله يوم هم على النار يفتنون يحرقون بها كما يحرق الذهب بها وأما النصب فى اليوم فلأنها اضافة غير محضة على ماوصفنا من قول قائل ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذوقوا فتنتكم يقال لهم ذوقوا فتنتكم وترك يقال لهم لدلالة الكلام عليها ويعنى بقوله فتنتكم عذابكم وحريقكم * واختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم بالذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فتنتكم قال حريقكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذوقوا فتنتكم ذوقوا عذابكم هذا الذى كنتم به تستعجلون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ذوقوا فتنتكم يقول يوم يعذبون فيقول ذوقوا عذابكم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ذوقوا فتنتكم يقول حريقكم حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان ذوقوا فتنتكم يقول احتراقكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذوقوا فتنتكم قال ذوقوا عذابكم * وقال آخرون عنى بذلك ذوقوا تعذيبكم أو كذبكم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ذوقوا فتنتكم يقول تكذيبكم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ذوقوا فتنتكم يقول حريقكم ويقال كذبكم وقوله هذا الذى كنتم به تستعجلون يقول تعالى ذكره يقال لهم هذا العذاب الذى توفونه اليوم هو العذاب الذى كنتم به تستعجلون فى الدنيا وقوله ان المتقين فى جنات وعيون يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه فى الدنيا فى بساتين وعيون ماء فى الآخرة وقوله آخذين ما آتاهم ربهم يقول تعالى ذكره عاملين ما امرهم به ربهم مؤدين فرائضه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس فى قوله آخذين ما آتاهم ربهم قال الفرائض وقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين يقول انهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين يقول كانوا الله قبل ذلك مطيعين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس انهم كانوا قبل ذلك محسنين قال قبل الفرائض محسنين يعملون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون فقال بعضهم معناه كانوا قليلا من الليل لايهجعون وقالوا ما بمعنى الجحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا يحيى

أن يتناول العزيز ذل ّتما من بعض الوجوه الا أن الغالب عليه العز فاذا قيل عزيز غير ذليل أزيل ذلك الوهم وهكذا فى كل تأكيد فمعنى الآية أن الجنة قريب منهم بكل الوجوه وجميع المقايسات وقال آخرون انه صفة مصدر محذوف أى ازلافا غير بعيد عن قدرتنا وذلك أن المكان لا يقرب وانما يقرب منه فذكر الله سبحانه أن ازلاف المكان ليس ببعيد عن قدرتنا بطى ّ المسافة وغير ذلك ويحتمل أن يقال الازلاف بمعنى قرب الحصول كمن يطلب من الملك أمرا خطيرا فيقول الملك بعيد عن ذلك أو قريب منه ولا ريب أن الجنة بعيدة الحصول للمكلف لولا فضل الله ورحمته ولهذا قال صلى الله عليه وسلم مامن عبد يدخل الجنة الا بفضل الله فقيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته وقوله غير بعيد يراد به القرب المكانى كأنه تعالى ينقل الجنة من السماء الى الارض فيحصل فيها المؤمن ومماسنح لهذا الضعيف وقت كتبه تفسير هذه الآية أن الشئ

ابن سعيد وابن أبي عدى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال يتيقظون يصلون مابين هاتين الصلاتين مابين المغرب والعشاء حدثني زريق بن الشحب قال ثنا عبدالوهاب بن عطاء قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بنحوه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا أبوداود قال ثنا بكير بن أبي السمط عن قتادة عن محمد بن على فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا لاينامون حتى يصلوا العتمة * قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن مطرف فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون، قال قل ليلة أتت عليهم الاصلوا فيها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال مطرف بن عبدالله فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قل ليلة تأتى عليهم لا يصلون فيها لله امامن أولها وامامن وسطها حدثنا أبوكريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال لم يكن يمضى عليهم ليلة الايأخذون منها ولو شيأ * قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كانوا يصيبون فيها حظا حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا حفص بن عاصم عن أبى العالية فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال لاينامون بين المغرب والعشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام ومهران عن أبى جعفر عن الربيع كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا يصيبون من الليل حظا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى عروبة عن مطرف فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كان لهم قليل من الليل مايهجعون كانوا يصلونه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا قليلا ماينامون ليلة حتى الصباح حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال قليل مايرقدون ليلة حتى الصباح لايتهجدون * وقال آخرون بل معنى ذلك كانوا قليلا من الليل يهجعون ووجهوا ما التى فى قوله مايهجعون الى أنها صلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال قال الحسن كابدوا قيام الليل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لاينامون منه الاقليلا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن بعض أصحابنا عن الحسن فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال لاينامون من الليل الاأقله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالوهاب قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال قل ليلة أتت عليهم هجوعا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبوعاصم قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الأحنف بن قيس فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا لاينامون الاقليلا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبوداود قال ثنا الحكم بن عطية عن قتادة قال قال الأحنف بن قيس وقرأ هذه الآية كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال لست من أهل هذه الآية حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن الحسن فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال قيام الليل حدثنا أبوكريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن يونس عن الحسن قال نشطوا فمدوا الى السحر حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال مدوا فى الصلاة ونشطوا حتى

ربما يقرب من شخص ولكن لايوهب منه وقد يملكه ولكن لايكون قريبا منه فذكر الله سبحانه فى الآية أن الجنة تقرب لأجل المتقين غير بعيد الحصول لهم بل كاقربت دخلوها وحصلوا فيها لا كما قيل

على أن قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذى ود

وفى المثل البعيد القريب خير من القريب البعيد وذلك لانهم حصلوا استعداد دخول الجنة وهو التقوى بخلاف الفاجر فانه لاينفعه القرب من الجنة لان ملكاته الذميمة تحول بينه وبينها ولك أن تشبه حالهما بحال الكبريت الجيد والحطب الرطب اذا قربا من الجمر وذلك أن تعتبر هذا الحالة فى الدنيا فان أهل الصلاح وأرباب النفوس المطمئنة يقبلون بل يستقبلون كل خير يعرض عليهم وأهل الشقاوة وأصحاب النفوس الأمارة يكون حالهم بالعكس يفرون من الخيرات والكمالات ويألفون الشرور واللذات الزائلات وجه آخر

كان الاستغفار بسحر * قال ثنا مهران عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال كانوا لا ينامون من الليل الا قليلا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كان الحسن والزهري يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقد يجوز أن تكون ما على هذا التأويل في موضع رفع و يكون تأويل الكلام كانوا قليلا من الليل هجوعهم وأما من جعل ما صلة فانه لا موضع لها و يكون تأويل الكلام على مذهبه كانوا يهجعون قليل الليل واذا كانت ما صلة كان القليل منصوبا بيهجعون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال ما ينامون * وقال آخرون بل معنى ذلك كانوا يصلون العتمة وعلى هذا التأويل ما في معنى الجحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال قال رجل من أهل مكة سماه قتادة قال صلاة العتمة * وقال آخرون بل معنى ذلك كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلا من الناس وقالوا الكلام بعد قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا مستأنف بقوله من الليل ما يهجعون فالواجب أن تكون ما على هذا التأويل بمعنى الجحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون يقول ان المحسنين كانوا قليلا ثم ابتدئ فقيل من الليل ما يهجعون و بالأسحار هم يستغفرون كما قال والذين آمنوا بالله و رسله أولئك هم الصديقون ثم قال والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الزبير عن الضحاك بن مزاحم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا من الناس قليلا حدثنا ابو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن الزبير بن عدي عن الضحاك بن مزاحم في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا قليلا من الناس من يفعل ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الزبير بن عدي عن الضحاك بن مزاحم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا قليلا من الناس اذ ذاك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال الله ان المتقين في جنات وعيون الى محسنين كانوا قليلا يقول المحسنون كانوا قليلا هذه مفصولة ثم استأنف فقال من الليل ما يهجعون وأما قوله يهجعون فانه يعني ينامون والهجوع النوم و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس كانوا قليلا من الليل ما يهجعون يقول ينامون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال ينامون حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من الليل ما يهجعون الهجوع النوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا قليلا ما ينامون من الليل قال ذاك الهجع قال والعرب تقول اذا سافرت اهجع بنا قليلا قال وقال رجل من بني تميم لأبي يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تبارك وتعالى قوما فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم قال فقال أبي طوبى لمن رقد اذا نعس واتقى الله اذا استيقظ * وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قول من قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهم وأثنى عليهم به فوصفهم

وهو أن الجنة قربت لهم حال كون كل واحد منهم غير بعيد عن لقاء الله و رضاه وفيه أن المتقين هم أهل الله وخاصته ليسوا بمن شغلوا بالجنة عن الاستغراق في لجة العرفان بل لهم مع النعيم المقيم لقاء الرب الكريم قوله عز من قائل (هذا ما توعدون) قال جار الله انه جملة معترضة وقوله (لكل أواب حفيظ) بدل من قوله للمتقين قلت ولو جعل خبرا ثانيا لهذا لم يبعد والمشار اليه الثواب أو الازلاف والأواب الرجاع الى الله بالاعراض عما سواه والحفيظ الحافظ لحدود الله أو لأوقات عمره أو لما يجده من المقامات والأحوال فلا ينكص على عقبيه فيصير حينئذ مريد الطريقة قوله (من خشي) قدمر وجوه اعرابه في الوقوف وجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن الي وحذف حرف النداء للتقريب والترحيب وقرن بالخشية اسمه الدال على وفور الرحمة للثناء على الخاشي من جهة الخشية أولا ومن جهة خشيته مع علمه بسعة

بكثرة العمل وسهر الليل ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم مع أن الذى اخترنا فى ذلك هو أغلب المعانى على ظاهر التنزيل وقوله و بالأسحار هم يستغفرون اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه و بالأسحار يصلون ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله و بالأسحار هم يستغفرون يقول يقومون فيصلون يقول كانوا يقومون و ينامون كما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه فهذا نوم وهذا قيام وطائفة من الذين معك كذلك يقومون ثلثا و نصفا وثلثين يقول ينامون و يقومون حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن جبلة بن سحيم عن ابن عمر قوله و بالأسحار هم يستغفرون قال يصلون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و بالأسحار هم يستغفرون قال يصلون * وقال آخرون بل عنى بذلك أنهم أخروا الاستغفار من ذنوبهم الى السحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال مدّوا فى الصلاة ونشطوا حتى كان الاستغفار بسحر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله و بالأسحار هم يستغفرون قال هم المؤمنون قال و بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم يعقوب حين سألوه أن يستغفر لهم قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا قال سوف أستغفر لكم ربى قال قال بعض أهل العلم انه أخر الاستغفار لهم الى السحر قال وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التى تفتح فيها أبواب الجنة السحر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول السحر هو السدس الأخير من الليل وقوله وفى أموالهم حق للسائل والمحروم يقول تعالى ذكره وفى أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم حق لسائلهم المحتاج الى ما فى أيديهم والمحروم و بنحو الذى قلنا فى معنى السائل قال أهل التأويل وهم فى معنى المحروم مختلفون فمن قائل هو المحارف الذى ليس له فى الاسلام سهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبى اسحق عن قيس بن كركم عن ابن عباس سألته عن السائل والمحروم قال السائل الذى يسأل الناس والمحروم الذى ليس له فى الاسلام سهم وهو محارف حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وفى أموالهم حق للسائل والمحروم قال المحروم المحارف حدثنا سهل ابن موسى الرازى قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن قيس بن كركم عن ابن عباس قال السائل السائل والمحروم المحارف الذى ليس له فى الاسلام سهم حدثنا سهل بن موسى قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى اسحق عن قيس بن كركم عن ابن عباس قال المحروم المحارف الذى ليس له فى الاسلام سهم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن قيس بن كركم عن ابن عباس فى هذه الآية للسائل والمحروم قال السائل الذى يسأل والمحروم المحارف حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا اسحق يحدّث عن قيس بن كركم عن ابن عباس بنحوه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى المحروم قال المحارف وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والمحروم هو الرجل المحارف الذى لا يكون له مال الا ذهب قضى الله له ذلك حدثنا

ابن

جوده ورحمته ومن جهة الخشية مع الغيب وقد مر مرارا وقد يقال انها الخشية فى الخلوة حيث لا يراه أحد قال أهل الاشتقاق ان تركيب خ ش ى يلزمها الهيبة ومنه الشيخ للسيد ولكبير السن وتركيب الخوف يدل على الضعف ومنه الخفاء وكل موضع ذكر فيه الخشية أريد بها معنى عظمة المخشى عنه وكل موضع ذكر فيه الخوف فانه أريد ضعف الخائف كقوله يخافون ربهم من فوقهم أو ضعف المخوف منه كقوله لا تخف ولا تحزن يريد أنه لا عظمة لهم وقال انا نخاف من ربنا يوما لأن عظمة اليوم بالنسبة الى عظمة الله هينة ووصف القلب بالمنيب باعتبار صاحبه أو لأن الانابة المعتبرة هى الرجوع الى الله بالقلب لا اللسان والجوارح (ادخلوها بسلام) أى سالمين من الآفات أو مع سلام من الله وملائكته (ذلك) اشارة الى قوله يوم تقول أى ذلك اليوم (يوم) تقدير (الخلود) فى النار أو فى الجنة و يجوز أن يكون اشارة الى وقت القول أى حين

ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن قيس بن كركم قال سألت بن عباس عن قوله للسائل والمحروم قال السائل الذي يسأل والمحروم المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم حدثني محمد بن عمرو المقدمي قال ثنا قريش بن أنس عن سليمن عن قتادة عن سعيد بن المسيب المحروم المحارف حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم قال في المحروم هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه أو يعطيه شيأ حدثنا ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن عاصم عن أبي قلابة قال جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا المحروم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن نافع قال المحروم المحارف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال المحروم المحارف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال المحروم هو المحارف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر قال سألت سعيد بن جبير عن المحروم فلم يقل فيه شيأ فقال عطاء هو المحدود المحارف * ومن قائل هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيأ ذكر من قال ذلك (١) حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع بن يزيد عن عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشج عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن المحروم فقال المحارف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفي أموالهم حق للسائل والمحروم هذان فقيرا أهل الاسلام سائل يسأل في كفه وفقير متعفف ولكليهما عليك حق يا ابن آدم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري للسائل والمحروم قال السائل الذي يسأل والمحروم المتعفف الذي لا يسأل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور قال قال معمر وحدثني الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان والاكلة والاكلتان قالوا فمن المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد غنى ولا يعلم بحاجته فيتصدق عليه فذلك المحروم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله للسائل والمحروم قال السائل الذي يسأل بكفه والمحروم المتعفف ولكليهما عليك حق يا ابن آدم * وقائل هو الذي لا سهم له في الغنيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا فجاء قوم يشهدون الغنيمة فنزلت هذه الآية وفي أموالهم حق للسائل والمحروم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن سفيان عن قيس بن مسلم الجدلي عن الحسن بن محمد قال بعثت سرية فغنموا ثم جاء قوم من بعدهم قال فنزلت للسائل والمحروم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابراهيم أن أناسا قدموا على علي رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل فقال اقسموا لهم قال هذا المحروم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد أن قوما في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة فجاء قوم بعد فنزلت وفي أموالهم حق للسائل والمحروم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن ابراهيم قال المحروم الذي لا فيء له في الاسلام وهو محارف من الناس * قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قوله للسائل والمحروم قال المحروم الذي لا يجري عليه شيء من الفيء وهو محارف من الناس * وقائل هو الذي لا ينمى له مال ذكر من قال

يقال لهم ادخلوها هو وقت تقدير الخلود في الجنة يؤيده قوله بعده (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) مما لم يخطر بالقلوب ويجوز أن يراد به الذي ذكر في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويروى أن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطر عليهم الحور فتقول الحور نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد ثم عاد الى التهديد بوجه أجمل وأشمل قائلا (وكم أهلكنا) الآية ومعنى الفاء في قوله (فنقبوا) للتسبيب عما قبله من الموت كقوله هو أقوى من زيد فغلبه أي شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وأورثتهم ذلك وساروا في اقطار الارض وسألوا (هل من محيص) أي مهرب من عذاب الله فعلموا أن لا مفر (ان في ذلك) الذي ذكر من اول السورة الى ههنا أو من حديث النار والجنة أو من اهلاك الامم الخالية (لذكرى لمن كان له قلب) واع فان الغافل في حكم عديم القلب والقاء السمع الاصغاء الى الكلام وفي قوله (وهو شهيد) اشارة الى أن مجرد الاصغاء لا يفيد ما لم

(١) هذا الأثر يناسب القول الأول فلعله مؤخر من تقديم فتنبه كتبه مصححه

ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين قال سألت عكرمة عن السائل والمحروم قال السائل الذي يسألك والمحروم الذي لا ينمي له مال * وقائل هو الذي قد ذهب ثمره وزرعه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم قال المحروم المصاب ثمره وزرعه وقرأ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه حتى بلغ بل نحن محرومون وقال أصحاب الجنة انا الضالون بل نحن محرومون حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم في قول الله والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم قال ليس ذلك بالزكاة ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد اخراج الزكاة والمحروم الذي يصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته فيكون له حق على من لم يصبه ذلك من المسلمين كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم قالوا بل نحن محرومون وقال أيضا لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون * وكان الشعبي يقول في ذلك ما حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال قال الشعبي أعياني أن أعلم ما المحروم * والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حرم الرزق واحتاج وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره فصار ممن حرمه الله ذلك وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسئلة ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم كما قال جل ثناؤه وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ يقول تعالى ذكره وفي الارض عبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ما عاينوا ورأوا اذا ساروا فيها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وفي الارض آيات للموقنين قال يقول معتبر لمن اعتبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفي الارض آيات للموقنين اذا سار في أرض الله رأى عبرا وآيات عظاما

وقوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وفي سبيل الخلاء والبول في أنفسكم عبرة لكم ودليل لكم على ربكم أفلا تبصرون الى ذلك منكم ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري قال ثنا أبو أسامة عن ابن جريج عن ابن المرتفع قال سمعت ابن الزبير يقول وفي أنفسكم أفلا تبصرون قال سبيل الغائط والبول حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن جريج عن محمد بن المرتفع عن عبد الله ابن الزبير وفي أنفسكم أفلا تبصرون قال سبيل الخلاء والبول * وقال آخرون بل معنى ذلك وفي تسويته الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خلقتم لعبادته ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقرأ قول الله تبارك ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون قال وفينا آيات كثيرة هذا السمع والبصر واللسان والقلب لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر وهذا الكلام الذي يتلجلج به وهذا القلب أي شئ هو انما هو مضغة في جوفه يجعل الله فيه العقل أفيدري أحد ماذاك العقل وما صفته وكيف هو * والصواب من القول في ذلك أن يقال معنى ذلك وفي أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم وأنه لا اله لكم سواه اذ كان لا شئ يقدر على أن يخلق مثل خلقه اياكم أفلا تبصرون يقول أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم وقوله وفي السماء رزقكم يقول تعالى ذكره وفي السماء المطر والثلج اللذان بهما

يكن المصغي حاضرا بفطنته وذهنه وفي الآية ترتيب حسن لانه ان كان ذا قلب ذكي يستخرج المعاني بتدبره وفكره فذاك والا فلابد أن يكون مستمعا مصغيا الى كلام المنذر ليحصل له التذكر قال المفسرون زعمت اليهود أن الله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فرد الله عليهم بقوله (ولقد خلقنا) الى قوله وما مسنا من لغوب أي اعياء ثم سلى رسوله فأمره بالصبر على أذى الكفار وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى مع كمال قدرته واستغنائه صبر على أذى الجهلة الذين نسبوه الى اللغوب والاحتياج الى الاستراحة فكيف لا يصبر رسوله على ايذاء أمته بل كيف لا يصبر أحدنا على أذى أمثالنا وخاصة ان كانوا مسلطين علينا اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا وادفع عنا بقدرتك شر كل ذي شر واغوثاه واغوثاه واغوثاه وقد سبق نظير الآية

تخرج الارض رزقكم وقوتكم من الطعام والثمار وغيرذلك * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا النضر قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله وفى السماء رزقكم قال المطر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله وفى السماء رزقكم وما توعدون قال الثلج وكل عين ذائبة من الثلج لا تنقص حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال ثنا سفيان عن عبد الكريم عن الحسن قال فى السحاب فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وأعمالكم * قال أخبرنا سفيان عن اسمعيل بن أمية قال أحسبه أوغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول ومطرنا ببعض عثانين الأسد فقال كذبت بل هو رزق الله حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مجاهد وفى السماء رزقكم وما توعدون قال رزقكم المطر * قال ثنا مهران عن سفيان وفى السماء رزقكم قال رزقكم المطر * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن عند الله الذى فى السماء رزقكم وممن تأوله كذلك واصل الأحدب حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة من أهل الرأى عن سفيان الثورى قال قرأ واصل الأحدب هذه الآية وفى السماء رزقكم وما توعدون فقال ألا ان رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيأ فلما كان اليوم الثالث اذا هو بدوخلة رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الموت بينهما واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وما توعدون فقال بعضهم معنى ذلك وما توعدون من خير أوشر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن مجاهد وما توعدون قال وما توعدون من خير أوشر حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفى السماء رزقكم وما توعدون يقول الجنة فى السماء وما توعدون من خير أوشر * وقال آخرون بل معنى ذلك وما توعدون من الجنة والنار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا النضر قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وما توعدون قال الجنة والنار حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان وما توعدون من الجنة * وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندى القول الذى قاله مجاهد لأن الله عم الخبر بقوله وما توعدون عن كل ما وعدنا من خير أوشر ولم يخصص بذلك بعضا دون بعض فهو على عمومه كما عمه الله جل ثناؤه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ يقول تعالى ذكره مقسما لخلقه بنفسه فورب السماء والارض ان الذى قلت لكم أيها الناس ان فى السماء رزقكم وما توعدون لحق كما حق أنكم تنطقون وقد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدىّ عن عوف عن الحسن فى قوله فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدّقوه وقال الفراء للجمع بين ما وأن فى هذا الموضع وجهان أحدهما أن يكون ذلك نظير جمع العرب بين الشيئين من الاسماء والأدوات كقول الشاعر فى الاسماء

من النفر اللائى الذين اذا هم * يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا

فجمع بين اللائى والذين وأحدهما مجزئ من الآخر وكقول الآخر فى الأدوات

ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالى أينق جرب

فجمع بين ما و بين ان وهما جحدان يجزئ أحدهما من الآخر وأما الآخر فهو لو أن ذلك أفرد بما

فى آخر طه ودلالتها على الصلوات الخمس ظاهرة (وأدبار السجود) أعقاب الصلوات فان السجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة والأظهر أنه الأدعية والاذكار المشتملة على تنزيه الله تعالى وتقديسه وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن ابن عباس هى الوتر بعد العشاء ومن قرأ بكسر الهمزة أراد انقضاء الصلاة وتمامها وهو مصدر وقع موقع الظرف أى وقت انقضاء السجود كقولك آتيك خفوق النجم قال أهل النظم ان النبى صلى الله عليه وسلم له شغلان أحدهما عبادة الله والثانى هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له اصبر وأقبل على شغلك الآخر وهو العبادة ثم بين غاية التسبيح بقوله (واستمع) يعنى اشتغل بتنزيه الله وانتظر المنادى كقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ومفعول استمع متروك أى كن مستمعا لما أخبرك به من أهوال القيامة ولا تكن مثل هؤلاء المعرضين قال جار الله وفى ترك المفعول وتقديم

لكان خبرا عن أنه حق لا كذب وليس ذلك المعنى به وانما أريد به انه لحق كما حق أن الآدمى ناطق ألا ترى أن قولك أحق منطقك معناه أحق هو أم كذب وأن قولك أحق أنك تنطق معناه للاستثبات لا لغيره فأدخلت أن ليفرق بها بين المعنيين قال فهذا أعجب الوجهين الى واختلفت القراء فى قراءة قوله مثل ما أنكم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة مثل مانصبا بمعنى انه لحق حقا يقينا كأنهم وجهوها الى مذهب المصدر وقد يجوز أن يكون نصبها من أجل أن العرب تنصبها اذا رفعت بها الاسم فتقول مثل من عبد الله وعبد الله مثلك وأنت مثله ومثله رفعا ونصبا وقد يجوز ان يكون نصبها على مذهب المصدر انه لحق كنطقكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض أهل البصرة رفعا مثل ما أنكم على وجه النعت للحق * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يخبره انه محل بمن تمادى فى غيه وأصر على كفره فلم يتب منه من كفار قومه ما أحل بمن قبلهم من الأمم الخالية ومذكرا قومه من قريش باخباره اياهم أخبارهم وقصصهم وما فعل بهم هل أتاك يا محمد حديث ضيف ابراهيم خليل الرحمن المكرمين يعنى بقوله المكرمين أن ابراهيم عليه السلام وسارة خدماهم بأنفسهما وقيل انما قيل المكرمين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ضيف ابراهيم المكرمين قال أكرمهما براهيم وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ وقوله اذ دخلوا عليه يقول حين دخل ضيف ابراهيم عليه فقالوا له سلاما أى اسلموا اسلاما قال سلام واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة قال سلام بالألف بمعنى قال ابراهيم لهم سلام عليكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سلم بغير ألف بمعنى قال أنتم سلم وقوله قوم منكرون يقول قوم لا نعرفكم ورفع قوم منكرون باضمار أنتم وقوله فراغ الى أهله يقول عدل الى أهله ورجع وكان الفراء يقول الروغ وان كان على هذا المعنى فانه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفيا ذهابه أو مجيئه وقال ألا ترى أنك (١) تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ وقوله فجاء بعجل سمين يقول فجاء ضيفه بعجل سمين قد أنضجه شيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين قال كان عامة مال نبى الله ابراهيم عليه السلام البقر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ وقوله فقربه اليهم قال ألا تأكلون وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه وهو فقربه اليهم فأمسكوا عن أكله فقال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة يقول فأوجس فى نفسه ابراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم يعنى باسحق وقال عليم بمعنى عالم اذا كبر وذكر الفراء أن بعض المشيخة كان يقول اذا كان للعلم منتظرا قيل انه لعالم عن قليل وغاية وفى السيد سائد والكريم كارم قال والذى قال حسن قال وهذا أيضا كلام عربى حسن قد قاله الله فى عليم وحكيم وميت وروى عن مجاهد فى قوله بغلام عليم ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا

الامر بالاستماع تعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب (يوم ينادى) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور والمنادى قيل الله كقوله ويوم يناديهم فيقول أين شركائى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم والاظهر انه اسرافيل صاحب الصيحة ينفخ فى الصور فينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادى بالحشر والمكان القريب صخرة بيت المقدس يقال انها أقرب الى السماء باثنى عشر ميلا وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية وهذا يؤيد القول بأن المنادى هو الله لقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد والصيحة النفخة الثانية كما قال ان كانت

(١) أى على وجه الاستكراه وتأمل

عن

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بغلام عليم قال اسمعيل وانما قلت عنى به اسحق لان البشارة كانت بالولد من سارة واسمعيل لهاجر لا لسارة قوله فأقبلت امرأته فى صرة يعنى سارة وليس ذلك اقبال نقلة من موضع الى موضع ولا تحول من مكان الى مكان وانما هو كقول القائل أقبل يشتمنى بمعنى أخذ فى شتمى وقوله فى صرة يعنى فى صيحة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى صرة يقول فى صيحة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها يعنى بالصرة الصيحة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى صرة قال صيحة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأقبلت امرأته فى صرة أى أقبلت فى رنة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله صرة قال أقبلت ترن حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن العلاء بن عبد الكريم اليامى عن ابن سابط قوله فأقبلت امرأته فى صرة قال فى صيحة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأقبلت امرأته فى صرة قال الصرة الصيحة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى صرة يعنى صيحة وقد قال بعضهم ان تلك الصيحة أوه مقصورة الألف وقوله فصكت وجهها اختلف أهل التأويل فى معنى صكها والموضع الذى ضربته من وجهها فقال بعضهم معنى صكها وجهها لطمها اياه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فصكت وجهها يقول لطمت * وقال آخرون بل ضربت بيدها جبهتها تعجبا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال لما بشر جبريل سارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ضربت جبهتها عجبا فذلك قوله فصكت وجهها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فصكت وجهها قال جبهتها حدثنى ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن العلاء بن عبد الكريم اليامى عن ابن سابط قوله فصكت وجهها قال قالت هكذا وضرب سفيان بيده على جبهته * قال ثنا مهران عن سفيان فصكت وجهها قال وضعت يدها على جبهتها تعجبا والصك عند العرب هو الضرب وقد قيل ان صكها وجهها أن جمعت أصابعها فضربت بها جبهتها وقالت عجوز عقيم يقول وقالت أتلد وحذفت أتلد لدلالة الكلام عليه وبضمير أتلد رفعت عجوز عقيم وعنى بالعقيم التى لا تلد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سليمن أبو داود قال ثنا شعبة عن مشاش قال سمعت الضحاك يقول فى قوله عجوز عقيم قال لا تلد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا رجل من أهل خراسان من الازد يكنى أبا ساسان قال سألت الضحاك عن قوله عقيم قال التى ليس لها ولد

﴿تم الجزء السادس والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء السابع والعشرون أوله القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا كذلك)﴾

الا صيحة واحدة فاذا هم جميع وقوله (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء أى بسبب الحق الذى هو البعث ويجوز أن يتعلق بالسماع أى يسمعونها باليقين وقيل الباء للقسم أى بالله الحق قوله (سراعا) حال من المجرور أى ينكشف عنهم مسرعين (ذلك) الشق أو الحشر (حشر علينا يسير) لا على غيرنا وهو رد على قولهم ذلك رجع بعيد (نحن أعلم بما يقولون) أى من المطاعن والانكار وفيه تهديد لهم وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (وما انت عليهم بجبار) أى بمسلط حتى تقسرهم على الايمان وانما أنت داع ولعل فى تقديم الظرف اشارة الى أنه كالمسلط على المؤمنين ولهذا وقع ايمانهم وهذا مما يقوى طرف المجبرة وقيل أراد انك رؤف رحيم بهم لست فظا غليظا والاول أولى بدليل قوله (فذكر) الى آخره أى اترك هؤلاء وأقبل على دعوة من ينتفع بتذكيرك والله أعلم

﴿فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى﴾

﴿تم فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير﴾

﴿فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير﴾

﴿تم فهرست الجزء السادس والعشرين من تفسير النيسابورى﴾